السيد سعيد الأعرجي

خطوات الشيطان

دار الرسول الأكرم (ص)



مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

خطوات الشيطان

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

دار الرسول الأكرم (ص)

طباعة - نشر - توزيع

حارة حريك - شارع القسيس - خلف البلدية - ص.ب.: ١١/٨٦٠١ بيروت - لبنان

هاتف : ٠٣/٨١٤٢٩٤ - تلفاكس : ٠١/٥٤١٩٣٠ - E-mail: dar_alrasool@hotmail.com

خطوات الشيطان

تأليف السيد سعيد الأعرجي

دار الرسول الأكرم (ص)


بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

١) خطوات الشيطان:

هذا البحث الذي بين أيدينا يتحدث عن الشيطان وخطواته ـ لغة واصطلاحاً فقد قال تعالىٰ: «يَـاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَـانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَـانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَٱلْـمُنْكَرِ وَلَـوْلَا فَـضْلُ ٱللهِ عَـلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَـٰكِنَّ ٱللهَ يُزَكِّى مَـنْ يَشَـآءُ وَاللَّـهُ سَـمِيعٌ عَلِيمٌ»[1].

حيث يجري الحديث في هذا البحث عن خطوات الشيطان وطرقه وآثاره وآثامه واساليبه و وساوسه وكل مايؤدي إلىٰ معاصي الله سبحانه، كما أنّه يستعرض الشواهد القرآنية والحديثية إلىٰ هذه الخطوات، ومتعلقاتها وظروفها وبعد تشخيص الداء «الشيطان وخطواته) نستعرض كيف الدواء و الاستشفاء مما

---

١ ـ سورة النور، ٢١.

ورد في القرآن الكريم في العشرات من الآيات وكـذلك مـما ورد عـلىٰ لسـان الرسول الأعظمﷺ وسيرته العطرة وكذلك مما جاء في أخبار أهل البيتﷺ في نهج البلاغة و الصحيفة السجادية و غيرهما وكذلك سـيرة السـلف الصـالح مـن العلماء.

٢) أهميّة البحث:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَـانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَـدُوّاً إِنَّـمَا يَـدْعُوا حِـزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَـابِ السَّعِيرِ﴾[١].

إنّ بحث خطوات الشيطان من البحوث الحسّاسة والمهمة في حياة الإنسان كما أنّه يعد من البحوث الساذجة والمهملة في الكتب القديمة حيث تجيب على أسئلة ليست ذات أهمية في حياة الفرد المسلم و لا تنفعه تلك المنفَعة لذا وجدت نفسى لزاماً ان ألفت الانظار إلىٰ هذا الخطر المحدق والذي لاينفك لحظة واحدة عن الإنسان ويجري منه مجرىٰ الدم في العروق ويدبّ فيه دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصمّاء.

اذاً علينا ان نعرف عدواً خطراً مستتراً كي نقيَ أنفسنا وأهلينا وأعزاءنا منه، ان نحذّر الجميع وايّانا منه وان عدواً خفيّاً لأشدّ ضراوة من عدو سافر للعيان فمن أراد مرضاة الله ودخول الجنة ومرافقة الابرار وصُحبة الانبياء والاطهار عليه أن يعرف الشيطان كي يحذره ويتجنبه ولا يطيعه ولايخطو خطواته.

---

١ ـ سورة فاطر: ٦.

٣) هدف البحث:

إنّ هدف هذا البحث هو التعرف على الشيطان كيف نشخّصه؟

من هو الشيطان؟ ما هو دور الشيطان في حياة الإنسان؟ كيف يؤثر عليه؟كيف يخرجه من عز الطاعة إلىٰ ذل المعصية؟ هل ان الجنّة بمعنى الطاعة والنار بمعنى المعصية أم لا؟ كيف كان الشيطان يتعامل مع الانبياء و الاولياء؟

الحديث عن الجن باعتبار انَّ الشيطان كان من الجن.

وبعد التعرف علىٰ ذلك:

ننتقل إلى الحذر فالوقايةُ خير من العلاج.

كيف نحذر الشيطان؟

كيف نتمرّد عليه ونعصيه و لا نطيعه في شيء؟

ثم إذا وقعنا في طاعته و في المعصية كيف نتخلّص منه ومنها كيف نعالج ذلك.

كيف لا يصيبنا القنوط.

ويهمّني أن يكون البحث كتاباً متناولاً ومتداولاً تتناقله الاكف والأيدي وبرنامجاً عمليّاً يوميّاً ينتفع به كل أحد مهما كان مستواه الثقافي و العلمي. وان أحرص أن يكون سهلاً سلساً ميسوراً

لا ان تكون رسالة ماجستير على الرفوف يقع عليها التراب

ولا ينتفع بها إلّا النزر الاقل من القليل.

فهي مفردة من مفردات القرآن في تفسيره قال تعالىٰ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا

﴿ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[١].

٤) اشكالية البحث:

لقد فتشت منذ زمن فما وجدت بحثاً كاملاً وشاملاً ومبلوراً عن الشيطان وحيث ان مصادرهذا البحث نَجدها مبثوثه في بطون الكتب القديمه علماً ان اكثر من مائة آية قد تحدثت عن الشيطان و خطواته فضلاً عما جاء في احاديث الرسول الأعظمﷺ وفي نهج البلاغة و الصحيفة السّجادية واحاديث أهل البيتعليهم السلام وكذلك في التفسير الروائى وماجاء علىٰ لسان الانبياء عليهم افضل الصلاة والسلام.

ان الحصول علىٰ مصادر هذا البحث ليس امراً هيناً ميسوراً بالرغم من اهميته وخطورته و ليس بعيداً ان الشيطان يغفّل اعداءه لتسليط الاضواء عليه وتحذير الناس من مغبّة طاعته وقد نهانا الله سبحانه عن ذلك قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[٢]

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾[٤].

---

١ ـ سورة الانعام، ١٩.
٢ ـ فاطر، ٦.
٣ ـ البقرة، ٢٠٨.
٤ ـ البقرة، ٢٦٨.

وقال تعالىٰ: ﴿...وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـانُ لَهُ قَرِيناً فَسَآءَ قَرِيناً﴾[١]

وقال تعالىٰ: ﴿...وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَـانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ ٱللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً﴾[٢].

إلىٰ آخره من عشرات الايات التي تتحدث عن الشيطان وكـيده ومكـره وخطواته.

٥) الاسئلة الاصلية والفرعية او فروض و منهجيّة البحث

ينبغي ان تكون فروض البحث ومنهجته من خلال ما عرضه القرآن الكريم في عشرات الآيات وكذلك ماجاء في السنة النبوية الشريفة وفي نهج البـلاغة و غيرها وان يعكس البحث فـي فهرسته مايلي:

خطوات الشيطان. مامعنى خطوات الشيطان لغة واصطلاحاً.

خلق الشيطان

الشيطان من هو؟ الجن، من هو الجن؟

كيف يتعامل الشيطان مع الإنسان؟

هل ان الإنسان هو المسؤول عن اعماله أم الشيطان؟

هل ان الشيطان اداة اختبار أم لا؟

كيف يتبرّأ الشيطان من اتباعه؟

كيف يتعامل الشيطان مع الانبياء؟

---

١ ـ النساء، ٣٨.

٢ ـ النساء، ١١٩.

كيف تعامل الشيطان مع آدمعليه السلام؟

ما هي مراحل تأثير الشيطان علىٰ الإنسان؟

ما هي الاهداف التي ارادها القرآن الكريم في عرضه لاساليب الشيطان؟

ما هو دور الشيطان على الصعيد الشخصي والفردي؟

ما هو دور الشيطان في الميدان الاجتماعي؟

٦) سابقة البحث:

منذ سنوات طوال كانت تدور في خلدي أسئلة كثيرة حول الشيطان وخطواته وخلقه، وأساليبه ولماذا خلقه الله؟ وكيف أستطاع ان يُخرج آدمعليه السلام وزوجه من الجنة؟ ولو لم يكن الشيطان قد خُلِق فماذا حصل؟ وهكذا...

وحينما أبحث أجد أن هذا العنوان مهمل وليست هناك مؤلفات بارزة تعالج هذه البحوث وتجيب علىٰ هذه الاسئلة، سيما اسئلة الشباب وباسلوبهم السلس السهل فعزمت ان أخوض الغمار ولكن بتردد لعاملين.

الأوّل: بلاء الشيطان حيث كنت أتوقع ان يضع لي عقبات كثيرة ومشاكل مثيرة ولكني كنت أقنع نفسى وأردد قوله تعالىٰ: ﴿.. إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفاً﴾[1].

الثاني: كان سؤال يتردد أيضاً علىٰ ذهني وهو:

هل غفل فطاحل العلماء واساتذه الفكر عن هذا البحث لرأب الصدع

١ ـ النساء، ٧٦.

الخطير ومواجه العدو الشرس كي أطرقه أنا؟ واذا كان كذلك فلماذا تركوه جانباً؟

وشاء الله سبحانه ان أتصدىٰ لالقاء محاضرات يومية في مسجد السبطين عليهما السلام في جنوب العاصمة طهران من بعد صلاتي المغرب والعشاء منذ تسع سنوات تقريباً فكنت ولمدة شهرين أتحدث عن الشيطان لعنه الله وما جاء ذكره في القرآن الكريم حتىٰ تبلور الموضوع بشكل جيد فطلبوا مني أن أطبعه كتاباً منفرداً لكي ينتفع به المؤمنون وفعلت ذلك حيث طبع في بيروت منذ أربع سنوات ثم في قم طبعه أُخرىٰ منذ ثلاث سنوات ولكنه كان مختصراً.

بعد ان عرضته علىٰ بعض العلماء والاساتذه ذوي الاختصاص فأبدوا ملاحظاتهم واظهروا استحسانهم له فطبعته تحت عنوان (الشيطان، اساليبه، آثاره) وتم التعريف عليه في حينها من خلال صحيفة الجهاد ومجلة آفاق الحضارة الإسلاميّة ـ العدد (١٢) صفحة (٤٦٢) من عام ١٣٨٢ هـ ش.

(معهد العلوم الانسانية والدراسات الثقافية) التابعة إلىٰ وزارة العلوم في الجمهورية الإسلاميّة.

كما ان نفس المجلة (آفاق الحضارة الإسلاميّة) ـ العدد (١٥) فروردين ١٣٨٤ هـ ش نشرت بحثاً تحت عنوان (خطوات الشيطان) ٣٣ صفحة ابتداءاً من صفحة ٥٣ إلىٰ صفحة ٨٧.

٧) اسلوب التحقيق:

إنّ اسلوب التحقيق المعتمد هو الأُسلوب التحليلى حيث استعراض النصوص القرآنية والاحاديث النبوية ثم نستل منها ما هو منسجم و مرتبط

بالتحقيق، او نستقرؤها أحياناً كمقدمة لها وتكون هي شاهد علىٰ ذلك.

وأحياناً اخرىٰ نستنطق القرآن الكريم و القرآن يجيبنا، و نستشفى به وهو يقدم لنا دواء دائنا و كذلك احاديث الرسول الأعظمﷺ وأهل بيته الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام.

٨) تعريف المصطلحات:

علىٰ ما اعتقد انه ليست هناك مصطلحات غامضة في هذا البحث او التحقيق علىٰ أخي وعزيزي المطلع، واذا كانت هناك فإني قد أوضحتها في محلها لغةً واصطلاحاً من قبيل:

الشيطان، ابليس، الجن، الاستعاذة، التلبيس، الغرور، الارتباط الواقعي، الارتباط التجريدي... و هكذا. فالبحث يمتاز بالسهولة والسلاسة والوضوح التام، وبدون أي غموض او تعقيد، و إليك توضيح بعض المصطلحات:

توضيح بعض المصطلحات

هنا توضيح لبعض المصطلحات التي وردت في هذا الكتاب او هذه الرسالة:

خطوات: جمع خطوه، من خطىٰ يخطو أي مشىٰ، وهنا بمعنىٰ: أعمال، او ذنوب، او طاعة، او من اتبع آثاره، او كل ما يغضب الله سبحانه، وما يوسوس به في صدور الناس، وما ينقلهم إلى المعاصي.[1]

الشيطان: من شطن أي تباعد، وهو كل عات متمرّد من الجن والدواب، وأن الشيء إذا استُقبح شُبّه بالشيطان، لايُري ولكن يُستشعر به.[2]

ابليس: نسبة إلىٰ كلمة أبْلَسَ أي يئس و ندم، وأبلس من رحمة الله: اي يئس من رحمة الله، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْـمُجْرِمُونَ﴾[3][4].

الجن: من الجَنْ (بالفتح) وهو السَتر، وفي عرف القرآن نوع من

---

١ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ج ٤، ص ١٤٧ ـ ١٤٨ / مجمع البيان ـ الطبرسي ج ١، ص ٤٥٩.

٢ ـ لسان العرب ـ ابن منظور، ج ٤، ص ١٤٧ ـ ١٤٨ / مجمع البيان ـ الطبرسي ج ١، ص ٤٥٩.

٣ ـ الروم، ٣٠.

٤ ـ مجمع البيان ـ الطبرسي ج ٨، ص ٤٦٥ ـ ٤٦٦.

الموجودات ذوات الشعور والارادة مستورة عن حواسنا بحسب طبعها، وهم غير الملائكة وهم مكلّفون كالبشر قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1][2].

الاستعاذة: مشتقة من العوذ وهو: الالتجاء والاستجارة او الالتصاق، فعلىٰ الأوّل: التجي إلىٰ رحمته و عصمته وعلى الثاني معناه. ألصق نفسى بفضل الله ورحمته.[3]

التلبيس: اظهار الباطل في صورة الحق، والتلبيس كالتدليس والتخليط، واللبس الخلط، ولبس عليه الامر أي اختلط عليه الامر حتىٰ لايعرف جهته.[4]

الغرور: نوع جهل يوجب اعتقاد الفاسد صحيحاً والرديء جيداً وسببه وجود شبهة أوجبت ذلك.[5]

الوسوسة: هي الدعاء إلىٰ أمرٍ بصوت خفي، او كلام خفي تميل إليه النفوس والطباع يلقيه الشيطان في خواطر و مشاعر الناس.[6]

النزغ: وهو الاغراء والافساد، والكلام الذي يُغري بين الناس ونَزَغَ الشيطان أي أفسد، والنَزْغُ شبه الوخز والطعن والنَزْغُ أوله وسوسه وآخره مَس.[7]

١ ـ سورة الذاريات، ٥٦ .
٢ ـ لسان العرب ـ ابن منظور، ج ٢، ص ٣٨٥.
٣ ـ مجمع البيان ـ الطبرسي ـ ج ١، ص ٨٩ / التفسير الكبير ـ الفخر الرازي ج١، ص ٦٤/٦٥.
٤ ـ تلبيس ابليس ـ ابن الجوزى البغدادى، ص ٤٩ ـ ٥٠.
٥ ـ لسان العرب ـ ابن منظور، ج ١٠، ص ٤١.
٦ ـ مجمع البيان ـ الطبرسي ج ١٠، ص ٨٦٧.
٧ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ج ١٤، ص ١٠٨.

المس: هو الاصابة و الاضرار بالبدن قال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[١][٢].

الهوى: هو حب الشيء و اشتهاؤه، من دون فرق في أن يكون المُعلَّقُ أمراً حسناً او قبيحاً، و لأن النفس بمقتضىٰ طبعها تميل إلى الشهوات و الاهـواء لولا العقل و الشرع، فالهوىٰ هو الرأي الشخصى المنفصل عن الشارع المقدس و عن التشريع فيكون مطيّة للشيطان و يورد صاحبه الهلكة.[٣]

الارتباط الواقعي: هو الارتباط الحقيقي المتجذِّر العميق الذي تترتب عليه التضحية و الفداء، و لا يتزلزل لتغيّر الظروف.[٤]

الارتباط التجريدي: هو الارتباط الظاهري الشكلي المـزاجـي المـتأثر بالاحداث و يعيش الحالة السطحية الفوقّية.[٥]

الاثم الباطنـي: وهو ما يفكر فيه الإنسان (بعقله) من شك و شرك وحسد وحقد وريبة وسوء ظن و النيّـة في الاقدام على المنكرات قال تـعالىٰ: ﴿وَذَرُواْ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾[٦][٧].

القلب السليم: هو ذلك القلب الذي يلقىٰ الله ربه وليس فيه أحد سواه، و

---

١ ـ سورة ص، ٤١.
٢ ـ مجمع البيان ـ الطبرسي ج ٨ص ٧٤٥
٣ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ج ١٥، ص ١٦٨.
٤ ـ لسان العرب ـ ابن منظور، ج ١٥، ص ٣٦٩ ـ ٣٧٣.
٥ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ج ٢، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٨.
٦ ـ الانعام، ١٢٠.
٧ ـ مجمع البيان ـ الطبرسي ج ٤، ص ٢٥٥.

سلم من حب الدنيا، و السليم من السلم و السلامة و هي التعري من الآفات الظاهرة والباطنة.[١]

الانس: الانس أو الإنسان بمعنىٰ واحد و يعني بالانسان آدمﷺ وهو اسم جنس و يجمع اناس و ناس و حكىٰ سيبويه، الناس الناس أي الناس بكل مكان و علىٰ كل حال.[٢]

النار: جاءت من النور و جمعها أنور و انوار و نيران و لها ايقاد و أوار.

قال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾[٣][٤].

ولها وقود و حطب قال تعالىٰ: ﴿فَاتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلقَاسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾[٦]، فهي جوهر مُضيء حار محرق[٧].

---

١ ـ مجمع البيان ـ الطبرسي ج ٧، ص ٣٠٥.
٢ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ج ١، ص ٢٣١ ـ ٢٣٦.
٣ ـ الواقعة، ٧١.
٤ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ج ١٤، ص ٣٢١ ـ ٣٢٥.
٥ ـ البقرة، ٢٤.
٦ ـ الجن، ١٥.
٧ـ مجمع البيان ـ الطبرسي ج ١، ص ١٤٤.

الخلاصة

قال تعالىٰ: ﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَـٰانِ وَمَنْ يَـتَّبِعْ خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَـٰانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَـٰكِنَّ ٱللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَآءُ وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١].

ان موضوع الشيطان بصورة عامة وخطواته بصورة خاصة من المواضيع الحساسة والمهمة في حياة الإنسان ولكن مع شديد الاسف والاسىٰ نجد ان بحث خطوات الشيطان يُعد من المباحث المهملة والساذجة ولم يعر لها اهـميّة تـذكر حيث تجيب الكتب القديمة منها وحتىٰ المعاصرة علىٰ اسئلة ليست ذات أهمية في حياة الفرد المسلم الذي يشتاق الى الله سبحانه وتعالىٰ حيث لاتنفعه تلك المنفعة العملية المهمة في حياته ولابعد مماته، واما في كتب التفاسير هناك اجابات وقع فيها الخلط واخرىٰ وقع فيها الالتباس وعدم التمييز بين جهات التكوين و جهات التشريع حيث يعطفون الكلام الاعتباري على الكلام التشريعي فتكون النـتيجة مختلطة ملتبسة غيرواضحة المعالم.

إذن ما الحل؟

الحل هو ان نلجأ إلى القرآن بشكل مباشر نستنطقه، فانه يجيبنا ويكشـف عن مكنوناته ومكوناته ويضيىء، بانوار هدايته طريقنا فهو الكتاب الذي يضمن

١ ـ سورة النور، ٢١.

للبشر السلام والسعادة والنظام، انه يرفع من مكانة البشر، ويزيد في رفاهيتهم بل ويساعدهم على التوصل اليها، يضاف إلىٰ ذلك ان القرآن هو مرجع لكل علماء اللغة والمعاجم، ودليل لعلماء النحو، ومستند اعلىٰ للفقيه والمجتهد، ونموذج يحتذىٰ للاديب، وغاية البحث المواظب للحكيم، ومعلّم للواعظ المبشِّر، ومثابة لكل رجل ذي خلق و دين، منه اشتقت العلوم الاجتماعية ومبادئ الادارة العامة للدولة، وعليه ترتكز العلوم الدينيّة علىٰ ضوء هدايته اكتشفت اسرار الكون وقوانين الطبيعة ان القرآن هو المعجزة الخالدة للدين الخالد، انه المصدر النبيل والشريف للشرع النبيل والشريف[١].

ثم ننتقل بعد ذلك إلىٰ ما ورد عن رسول الله ﷺ وأهل بيته الكرام ـ ماورد في نهج البلاغة وفي الصحيفة السجاديّة بعد ان نستعرض خطوات الشيطان ماهي لغة واصطلاحاً، من هو الشيطان؟ من هو الجن؟ خلق الشيطان، كيف يتعامل الشيطان مع الإنسان، الإنسان مسؤول عن جميع افعاله، الشيطان اداة اختبار، براءة الشيطان من اتباعه، كيف كان الشيطان مع الانبياء، كيف كان مع آدم عليه السلام؟ ما معنىٰ الاستعاذة؟ وكيف نستعيذ بالله وماهو أثرها؟ ماهي مراحل تأثير الشيطان على النفس الانسانية؟

ماهي الغاية من عرض القرآن الكريم لاساليب الشيطان؟

ثم عرض وجهات نظر مختلفة عن الشيطان وما هو دورالشيطان في الميدان الاجتماعي. ثم دور العبادة وكيف يكون الارتباط واقعياً ومتىٰ يكون

---

١ ـ القرآن من التفسير الموروث إلىٰ تحليل الخطاب الديني ـ محمد اركون صفحة (١٤) ترجمه وتعليق هاشم صالح ـ دارالطليعة ـ بيروت.

تجريدياً.

ومنافذ الشيطان واقسام القلوب وفي الختام يكون الحديث عن ثمرة هذا الموضوع ودعاء:

اللهي أشكو إليك عدوّاً يُضلُّني وشيطاناً يغويني قد ملأ بالوساس صدري، وأحاطت هواجسهُ بقلبي يعاضدُ لي الهوىٰ ويزيّن لي حُبَّ الدنيا ويحولُ بيني وبين الطاعة والزلفىٰ(١).

١ ـ الإمام السجادعليه السلام ـ في مناجات الشاكين ـ مصاف بي پايان باشيطان د.فتح الله نجّار زادكان (محمدى) مؤسسه بوستان ـ كتاب قم.

الفصل الأوّل

بحوث تمهيديّة

- الشيطان لغة
  اصطلاحاً
- ابليس لغة
  اصطلاحاً
- الجن لغة
  اصطلاحاً
- النار لغة
  اصطلاحاً
- الإنس لغة
  اصطلاحاً

أوّلاً: الشيطان

لغةً:

الشيطان في اللغةً من شطن، والنون فيه اصلية اي تباعد، ومنه بئر شطون وشطنت الدار و غربة شطون. وقيل بل النون فيه زائد من شاط يشيط اي احترق غضباً.

فالشيطان او ابليس من الجن و الجن مخلوق من النار كما دل عليه قوله تعالىٰ ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾(١) وقال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾(٣) من ذلك اختص بفرط القوة الغضبية والحميّة الذميمة وامتنع من السجود لآدم، قال ابوعبيدة: الشيطان اسم لكل عارم من الجن والانس والحيوانات(٤).

---

١ ـ سورة الكهف، ٥٠.

٢ ـ سورة الرحمن، الآية ١٥.

٣ ـ سورة الحجر، ٢٧.

٤ ـ معجم مفردات الفاظ القرآن الكريم / الراغب الاصفهاني ص ٢٦٧ و ٢٦٨ .

اصطلاحاً:

الشيطان في الاصطلاح الشرير، وقد غلب استعماله في إبليس الّذي يصفه القرآن الكريم وذريته. فهوخلق من خلق الله مكلف كالانسان قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١].

والشيطان: كلّ عات متمرد من الجن والإنس والدّواب، وإنّ الشّيء إذا أستقبح شبّه بالشيطان، الشيطان، لايُرىٰ ولكنه يُستشعر أنّه أقبح مايكون من الاشياء ولو رؤيَ لرؤيَ في أقبح صورة قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَـٰطِينِ﴾[٢] أي في قباحتها[٣]. والشّيطان نفسه إبليس، وسمي إبليس إبليساً نسبة إلىٰ كلمة أبلس: أي يئس و ندم وأبلس من رحمة الله: أي يئس من رحمة الله وندم قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[٤].

---

١ ـ سورة الذاريات، ٥٦ .

٢ ـ سورة الصّافات، ٦٥ .

٣ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ج ٧، ص ١٢١ .

٤ ـ سورة الروم، ١٢ .

ثانياً: ابليس

لغةً:

و إبليس لعنه الله مشتق منه لأنّه أبلس من رحمة الله أي أويس[١].

والشيطان من الجَن (بالفتح) وهو الإستتار وهو في عرف القرآن نوع من الموجودات ذوات الشّعور و الإرادة مستورةً عن حواسنا بحسب طبعها وهم غير الملائكة[٢].

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّـٰيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٣] وكان معروفاً باسم (عزازيل).

وسمي الشيطان أيضاً خنّاساً لأنّه يوسوس للإنسان فإذا ذكر الله تعالىٰ رجع وتأخر (أي خنس وسكن) ثم إذا غفل عاد إلى وسوسته[٤] وسُمي بـ(طاووس الملائكة) لكثرة عبادته.

ومن أسماء الشّيطان الغَرور قال تعالىٰ: ﴿.. وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ..﴾[٥] وكنيتُهُ (أبو مُرّة).

ومن جملة أسمائه الخبيث والمهلك والهاوية واطلق عليه انجيل يوحنا الإصحاح ١٢ فقرة ٣١ لقب (رئيس العالم) ولهذه التسمية أو الصّفة ما يبررها إن

---

١ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ج ٧، ص ٤٨٢.
٢ ـ الميزان في تفسير القرآن ـ الطّباطبائي ج ٧، ص ٣٢١.
٣ ـ سورة الاعراف، الآية ٢٧.
٤ ـ الميزان في تفسير القرآن ـ الطّباطبائي ج ٢٠، ص ٣٩٧.
٥ ـ سورة فاطر، ٥.

أريد بالعالم عالم الشّر.

وفي قاموس الكتاب المقدس (الشّيطان كائن حقيقي، وهو أعلىٰ شأناً من الإنسان، ورئيس رتبة من الأرواح النجسة.. أما أعوانه فهم عصبة الأرواح السّاقطة وهو يوقع النّاس في الخطيئة عن طريق الغش والاحتيال ويظهر بمظهر النور والتنين والصّور المقبولة للناس) وتجدر الإشارة إلىٰ ان الشّيطان اسم جنس يشمل ابليس وغيره. ونحن لم نر كائناً من جنس خاص يسمىٰ شيطاناً، ولكن الوحي أخبر عنه، والعقل لا ينفيه فوجب التصديق[١].

اصطلاحاً:

وقد ورد عن أبي الحسن علي بن موسىٰ الرِّضاﷺ أنّه ذكر ان اسم إبليس (الحارث) وانما قول الله عزّوجلّ (يا ابليس) يا عاصي وسمي ابليس لأنّه أبلس من رحمة الله عزّوجلّ (أي يئس منها)[٢].

إذن من اسماء الشيطان ابليس.

ومعنىٰ الرّجيم ورد عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسني أنه قال: سمعت أبا الحسن بن محمد العسكرىﷺ يقول: معنىٰ الرّجيم انه مرجوم باللعن، مطرود من مواضع الخير، لا يذكره مؤمن إلّا لعنه[٣].

وفي الحديث أيضاً: «اذا ولد المولود لبني آدم قرن إبليس به شيطاناً وقرن

---

١ ـ في ظلال الصّحيفة السجادية، محمد جواد مغنية، ص ١٦٤ .
٢ ـ معاني الأخبار ـ الشيخ الصّدوق صفحة ١٣٨ .
٣ ـ معاني الأخبار للشيخ الصدّوق، صفحة ١٣٩ .

الله به ملكاً فالشيطان جاثم علىٰ إذن قلبه الأيسر والملك قـائم عـلىٰ إذن قـلبه الأيمن فهما يدعوانه»[١].

ثالثاً الجن:

لغةً:

جنن: جَنَّ الشيء يجنُّهُ جَنّاً ستره، وكل شيء سُتر عنك فقد جُنَّ عـنك، و جَنّهُ الليل يجنُّه جَنّاً و جنوناً.. وأجنهُ سترهُ[٢].

اصطلاحاً:

هي موجودات ذوات شعور و ارادة و مكلّفة و مستوره عن حواسنا بحسب طبعها و الجن هم جيل رقاق الاجسام خفيفة علىٰ صـورة مـخصوصة بـخلاف صورة الإنسان و الملائكة فإن الملك مخلوق من النور و الانس من الطين و الجن من النار[٣].

---

١ ـ بحار الأنوار ـ محمد باقر المجلسي ج ٦٣، صفحة ١٤٠.
٢ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ج ٢، ص ٣٨٥.
٣ ـ مجمع البيان ـ الطبرسي ج ١٠، ص ٥٥٣.

رابعاً النار:

لغة:

النار بمعنىٰ الرأي، و انور المتجرّد أي نيّر الجسم، و نار فهو نيِّر، و أنار فهو منير و النار معروفة أنثىٰ، وفي التنزيل ﴿أَن بُورِكَ مَن فِى النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ والنار هنا نور الله، وقد تذكّرُ النار و الجمع انور و نيران[١]

اصطلاحاً:

جوهر مضيء حار محرق و اصله من النور يقال نار و أنار واستنار[٢].

وبعض أهل الكشف قالوا «ان النار مخلوقة من صفة غضب الله»[٣]

لها وقود و حطب و انها تخبو و تستعر و لها أوار و ايقاد، قال تعالىٰ: ﴿فَاتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾[٥].

وقال تعالىٰ: ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيراً﴾[٦]

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾[٧]

---

١ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ج ١٤، ص ٣٢٢.
٢ ـ مجمع البيان ـ الطبرسي ج ١، ص ١٤٤ .
٣ ـ تفسير القرآن الكريم ـ صدرالدين الشيرازى ج ٣، ص ١٩٠ .
٤ ـ سورة البقرة، ٢٤ .
٥ ـ سورة الجن، ١٥ .
٦ ـ سورة الأسراء، ٩٧.
٧ ـ الواقعة، ٧١.

خامساً الانس:

لغةً:

الانس و الإنسان بمعنى واحد، ويعني بالانس ابوالبشر آدمعليه السلام وهو اسم جنس و يجمع أُناس و ناس و أناس، وحكىٰ سيبويه، الناس الناس أي الناس بكل مكان و علىٰ كل حال[١].

اصطلاحاً:

هو ما اودعه الله سبحانه هذا المخلوق (خليفة) و ما يقطعه هذا الموجود في مسير وجوده، فهو وجود متحول متكامل يسير في مسير وجوده المتبدل المتغيّر و يقطعه مرحلة مرحلة[٢].

---

١ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ج ١، ص ٢٣١ ـ ٢٣٦.
٢ ـ الميزان ـ الطباطبائي ج ١، ص ١١١ ـ ١١٢.

الفصل الثاني

الخلق والماهيّة

١ ـ الخلق والماهيّة
٢ ـ خلق الشيطان
٣ ـ خلق الجن
٤ ـ الفرق بين الشيطان والجن
٥ ـ اسماء الشيطان
٦ ـ الشيطان اداة اختبار
٧ ـ معنى التلبيس والغرور

اولاً: خلق الشّيطان

لماذا خلق الله سبحانه وتعالىٰ الشّيطان؟

ولماذا هذه العداوة بينه وبين الإنسان؟

كان الشّيطان مخلوقاً غير مميز عن سِنخ الملائكة حيث يعتبرونه واحداً منهم، كان يطير معهم و سمي بطاووس الملائكة لكثرة عبادته، ما إن خلق الله سبحانه وتعالىٰ الإنسان (آدمعليه السلام) حتّىٰ بانت خلقته وظهرت كوامنه، حيث تميّز عن الملائكة بعدم السّجود والإنقياد والطّاعه لله تعالىٰ وانفصل عنهم، وتنبه الملائكة بانّه ليس ملكاً إذن فهو ليس منهم، بدأ دوره بعد أن كان مغموراً تحرك بكل ما أُوتى من قوة ونشاط وبكل ما استطاع من حول وطول تجاه إضلال الإنسان وغوايته.

لماذا حصلت هذه العداوة بينه و بين الإنسان؟ لماذا كلّ هذا التخاصم والتنافر؟

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1].

---

١ ـ يوسف، ٥.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنْسَانَ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولاً﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَـانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾[٣].

أصبح الإنسان محفوفاً بمخلوق يهدده ويخاصمه ويـؤذيه ويـعاديه مـنذ ولادته وحتّىٰ وفاته وللإجابة على الدّاعي أو السّبب لهذه الخصومة يستدعي منّا مقدمة تمهيدية لإيضاح المطلب وهي كما يلي:

نحن حينما ننظر إلىٰ عالم الخلقة بصورة كلية نجده جميلاً، فإنّ أيَّ مخلوق من مخلوقات الله جلّ شأنه حينما ننظر إليه نراه آية من آياته المباركة ومظهراً من مظاهراسمائه الحسنىٰ، كذلك الشّيطان أساس خلقته خير محض بـاعتبار ان الله تبارك وتعالىٰ لايصدر منه إلّا الخير، فهذا المخلوق شيء طبيعي كبقية المخلوقات، ولكن إذا مزجناه مع بقية المخلوقات يكون مثله مثل من مَزج الملح بـالسكر او مزج الخل بالعسل.الملح، السّكر، الخل، العسل كُلٌّ بمفرده شيء طبيعي وصـالح ونافع وطيب المذاق ولكن بالممازجة يفقد الشّيء مميزاته وخصائصه أحياناً، قال تعالىٰ: ﴿الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسَـٰنِ مِن طِينٍ﴾[٤].

إذن من بعد أن أحسن الله كلّ شيء في خَلقٍ خَلَقَهُ أي أحكم كل شيء خَلَقَهُ وأتقنه (عن ابن عباس ومجاهد) وقيل معناه علم كيف يخلق كلّ شـيء قـبل أن

---

١ ـ سورة الأسراء، ٥٣.

٢ ـ سورة الفرقان، ٢٩ .

٣ ـ سورة فاطر: ٦.

٤ ـ سورة السجدة، ٧ .

خَلَقَه من غير أن يعلّمه أحد (عن مقاتل والسّدي) من قولهم فلان يحسن كذا أي يعلمه، وقيل الّذي جعل كل شيء في خلقه حسناً[١] وقال الرّاغب ـ الحسن عبارة عن كل مبهج ـ بصيغة الفاعل ـ مرغوب فيه وذلك ثلاثة أضـرب (أي أنـواع أو اشكال أو أقسام) مستحسن مـن جـهة العـقل، ومسـتحسن مـن جـهة الهـوى، ومستحسن من جهة الحسن.

وهذا تعريف له من جهة خاصيته وانقسامه بانقسام الإدراكات الإنسانية، وحقيقته ملائمة أجزاء الشّيء بعضها لبعض والمجموع للغرض والغاية الخارجـة منه، فحَسن الوجه تلاؤم اجزائه من العين و الحاجب والأنـف والفـم وغـيرها، وحسن العدل ملائمة العدل للغرض من الإجتماع المدني وهو نيل كلّ ذي حـقّ حقّه والتدبر في خلقة الأشياء، وكل منها في نفسه متلائم الأجزاء بعضها لبـعض والمجموع من وجوده مجهز بما يلائم كماله وسعادته تجهيزاً لا أتم ولا أكمل منه يعطي أن كلاً منها حسن في نفسه حُسْناً لا أتم وأكمل منه بالنظر إلىٰ نفسه.

وأمّا ما نرىٰ من المساءة والقبح في الأشياء فلأحد أمرين أمّا لكون الشّيء السّيء ذا عنوان عدمي تَعود إليه المساءة لا لوجوده في نفسه كالظلم والزّنا، فإن الظّلم ليس بسيء قبيح من جهة نفس العمل الخارجى الّذي هومشترك بينه وبين النكاح بل بما أنّ فيه مخالفة للنهي الشّرعي أو للمصلحة الإجتماعية. أو بقياسه إلىٰ شيء آخر فيعرضه المساءة والقبح من طريق المقايسة كقياس الحنظل إلىٰ البطيخ وقياس الشّوك إلىٰ الورد وقياس العقرب إلىٰ الإنسان فإنَ المساءة إنما تطرأ هذه

---

١ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ـ الطّبرسي ج ٨، ص ٥١٢ .

الأشياء من طريق القياس إلى الوجه الأول بالحقيقة، وكيف كان فإنّ الشّيء بما أنّه موجود مخلوق لايتصف بالمساءة وتدل عليه الآية الشّريفة ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾[١]

إذا أضيف إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٢].

فينتجان ما يلي:

أولاً: ـ ان الخلقة تلازم الحُسن فكل مخلوق حَسَنٌ من حيث هو مخلوق.

ثانياً: ـ ان كلّ سيّء وقبيح ليس بمخلوق من حيث هو سيء قبيح كالمعاصي والسّيئات من حيث هي معاصٍ و سيئات، والأشياء السّيئة من جهة القياس[٣].

بعد ذلك نقول بأنَّ الشّيطان الّذي هو بنفسه جميل فما هي المنافع الّتي تربو علىٰ أضراره؟

نحن نعلم ان الله سبحانه وتعالىٰ أوجد هذا العالم مكوناً من أجزاء وجعله مُركّباً من عناصر شتىٰ، وبتعبيرآخرأن العالم ليس حقيقة بسيطة كالأمر الإلهى بل هو موجودات مختلفة فيما بينهما، ولكي يكون العالمُ عالماً ينبغي أن يكون هناك تفاوت بين المخلوقات قال تعالىٰ: ﴿...وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾[٤].

وقال تعالىٰ: ﴿... وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ

---

١ ـ سورة السجدة، ٧.
٢ ـ سورة الزمر، ٦٢ .
٣ ـ الميزان في تفسير القرآن ـ الطّباطبائي ج ١٦، ص ٢٤٩ .
٤ ـ سورة البقرة، ٢٥١ .

فِي مَآ ءَاتَـٰكُمْ...﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾[2].

إذن هناك تفاوت في الوجود بين أجزاء العالم وإذا لم يكن هناك تفاوت ينتفي التميز فيما بينهم حيث يكونون كلّهم برتبة وجودية واحدة ولا فرق بينهم وبين أي واحد منهم عن الآخر، فيكون العالم كلّه رتبة بسيطة واحدة ممّا يؤدّي بالتالي إلىٰ فنائه وزواله ولاداعي لخلقه.

فالإختلاف في الرّتب ضروري حيث يكون هناك كبير وصغير وعدم ووجود وطاعة ومعصية وخير وشر وكمال ونقص وانسجام وتخاصم وقوي وضعيف وهكذا... ممّا يؤدّي إلىٰ بقاء العالم، ومن هنا يسمىٰ هذا العالم بعالم التضاد والتزاحم ـ دارالتدافع والتمانع والتضاد ـ حيث تنشأمن هذا العالم هذه المفارقات، فمن الحكمة الإلهية وجود هذه التزاحمات والتخاصمات في النظام الكوني وبالأضداد تعرف الأشياء، فهي إذن لازم من لوازم وجوده.

نحن لانستطيع ان نفهم طاعة إذا لم تكن هناك معصية، الطّاعة لها مصداق خارجي (مثال تطبيقي واقعي عملي) فلايمكننا معرفته إلّا من بعد أن نعرف مصداق المعصية حيث تعرف الاشياء بأضدادها. إذا لم يكن هناك وازع ـ دافع ـ لدىٰ الإنسان ان يفعل الشّر حيث لايوجد في سريرته هذا الأمر وهو الشّر، معنىٰ ذلك ان الطّاعة لازمة ولايمكنه ان ينفك عنها وبهذا يكون أمره بالطاعة لاغياً

١ ـ سورة الأنعام، ١٦٥ .
٢ ـ سورة لقمان، ٢٠ .

لاداعي له لأنّه لا يقدر اساساً علىٰ فعل المعصية فما معنىٰ أن نأمره بالطاعة، كما هو عليه لدى الملائكة إذ لا يمكنها ان تعصي الله طرفة عين، وإذا اصبح صدور الطّاعة من الإنسان امراً ضرورياً فيكون أمره بالطاعات من قبيل النبوات والعبادات والتكاليف وكلّ شيء أمراً لاغياً، فتُلغىٰ النبوات والرّسالات السّماوية ويُلغىٰ الثواب والعقاب، وينتفي الخوف من المعاد وتنتفي الإنسانية من الأرض والعالم كلّه، لأنّ العالم متقوم بالإنسان وخلق الله سبحانه وتعالىٰ العالم من أجله ـ أي من أجل الإنسان ـ وسخره له.

إذن لابد ان تكون في سريرة الإنسان دعوة إلىٰ الشّر ولابد أن يكون بإمكان الإنسان أن يأتي بالمعاصي كما أن بإمكانه ان يأتى بالطاعات، حتّىٰ يأتي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[1]

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[2].

إضافة إلىٰ ذلك وجود فريقين، فريق يدعوه إلىٰ الخير وفريق آخر يدعوه إلىٰ الشّر، فريق يقول له: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[3].

وفريق يقول له: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[4] و ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[5].

وبالتالي أصبحت لدىٰ الإنسان الطّاعة والمعصية علىٰ حد سواء حيث

---

١ ـ سورة الانسان، ٣.

٢ ـ سورة البلد، ١٠.

٣ ـ الحجر، ٩٩.

٤ ـ سورة المؤمنون، الآية

٥ ـ سورة الجاثية، ٢٤.

يمكنه فعل أيهما شاء، يستطيع ان يأتي بالفرائـض وان يـنتهي عـن المـحرمات ويستطيع عمل العكس ان يأتي بالمحرمات ولا يقيم الفرائـض وكـلا الفـريقين يشجعه من جانب ويثبّط عزيمته من جانب آخر، لذا:

أولاً: ينبغي صدور الأوامر والنواهي حتّىٰ نستطيع ان نحقق الطّـاعة فـي الخارج، وإذا لم يكن امكاناً للإمتثال وعدمه في حقّ الإنسان فلا مـعنىٰ للامـر والنهي لأن الأمر بالشيء فرع إمكانيّة مخالفته والنهي عن الشّيء فـرع إمكـانية الإتيان به.

ثانياً: اقتضت الضرورة والحاجة إلىٰ أن تكون هناك دعوة إلىٰ الشّر ودعوة إلىٰ الخير والإنسان يقف عـلىٰ مـفرق الطّـريقين يـمكنه الإمـتثال كـما يـمكنه الإمتناع...

والشّيطان يشكل تياراً وسطاً للبشرية يقودها نحو التية والضلال، فإذا لم يكن هناك شيطان إذن تنتفي الحاجة إلىٰ خلق الإنسان علىٰ الأرض في دارالدّنيا وخلق الدّنيا بخصائصها يقتضي وجود الشّيطان كما إنّـه إذا خـلق الله عـزّوجلّ الإنسان ذا طرف واحد كالطاعة مثلاً فإنّنا نصل إلىٰ نتيجة إنتفاء وجوده ووجود الدّنيا.

إذن لابد أن يكون في دارالدّنيا دعوة إلىٰ الشّر ولكي يكون الشّيطان مظهراً من مظاهرها مجسداً للشر وليس له إلّا الدّعوة فقط، ليس له إلّا ان يعرض ضلاله على العباد.

ثانياً: خلق الجن

بعد أن عرفنا ان الشّيطان من الجن وليس من الملائكة أو من الأنس أو من جنس آخر فما هو الجن؟

كيف يعيش وكيف يتكاثر؟ وهل هو يشبه البشر أم لا؟[١] الجن نوع من الخلق مستورون عن حواسنا ويصدِّق ويؤكد ذلك القرآن الكريم بوجودهم ويذكر أنهم مخلوقون قبل الإنسان وانهم مخلوقون من النّار كما ان الإنسان مخلوق من التراب قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾[٢].

قال الراغب: السَمُوم الريح الحارة تؤثر تأثير السمّ. انتهىٰ. وأصل الجن الستر وهو معنىٰ سارٍ في جميع ما اشتق منه كالجن والمجنة والجنة والجنين والجنان وجن عليه الليل وغير ذلك.

والجنّ طائفة من الموجودات مستورة بالطبع عن حواسنا ذات شعور و إرادة تكرر في القرآن الكريم ذكرهم و نسب إليهم أعمال عجيبة و حركات سريعة كما في قصّة سليمان عليه السلام و هم مكلفون و يعيشون و يموتون ويحشرون تدل علىٰ ذلك كله آيات كثيرة متفرقة في كلامه تعالىٰ.

وأما الجانّ فهل هو الجن بعينه أو هو أبوالجن كما أن آدم عليه السلام أبوالبشر كما عن ابن عباس، أو هو إبليس نفسه كما عن الحسن، أو الجان نسل إبليس من الجن أو هو نوع من الجن كما ذكره الراغب أقوال مختلفة لا دليل علىٰ أكثرها.

---

١ ـ الميزان في تفسير القرآن ـ الطّباطبائي ج ٢٠، ص ٣٩١.

٢ ـ سورة الحجر، ٢٧.

والذي يهدى إليه التدبر في كلامه تعالىٰ أنه قابل في هاتين الآيتين الإنسان بالجان فجعلهما نوعين اثنين لايخلوان عن نوع من الارتباط في خلقتهما، ونظير ذلك قوله: ﴿خَلَقَ الإنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[1].

ولا يخلو سياق ما نحن فيه من الآيات من دلالة علىٰ أن إبليس كان جانّاً وإلا لغي قوله: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِنْ قَبْلُ﴾ الخ، وقد قال تعالىٰ: في موضع آخر من كلامه في إبليس: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[2] فأفاد أن هذا الجانّ المذكور هو الجن نفسه أو هو نوع من أنواع الجنّ ثم ترك سبحانه في سائر كلامه ذكر الجانّ من أصله ولم يذكر إلا الجن حتىٰ في موارد يعمُّ الكلام فيها إبليس وقبيله كقوله تعالىٰ: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنْسِ وَٱلْجِنِّ﴾[3] وقوله: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾[4] وقوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ـ إلىٰ أن قال ـ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلإنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَانفُذُوا﴾[5].

وظاهر هذه الآيات من جهة المقابلة الواقعة فيها بين الإنسان والجان تارة وبين الإنس والجن أُخرىٰ أن الجنّ والجان واحد و إن اختلف التعبير.

وظاهر المقابلة بين قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَـٰنَ﴾ الخ، وقوله: ﴿وَٱلْجَآنَّ

١ ـ سورة الرحمن، الآية ١٥.
٢ ـ سورة الكهف، ٥٠.
٣ ـ سورة الانعام، ١١٢ .
٤ ـ سورة حم السجدة، ٢٥ .
٥ ـ سورة الرحمٰن، ٣١ ـ ٣٣ .

خَلَقْنَهُ مِن قَبْلُ﴾ الخ أن خلق الجان من نار السموم المراد به الخلق الابتدائي وبدء ظهور النوع كخلق الإنسان من صلصال ؛ وهل كان استمرار الخلقة في أفراد الجان المستتبع لبقاء النوع علىٰ سنة الخلق الأول من نار السموم بخلاف الإنسان حيث بدأ خلقه من تراب ثم استمر بالنطفة؟ كلامه سبحانه خال عن بيانه ظاهراً غيرما في بعض كلامه من نسبة الذرية إلىٰ ابليس كما قال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾[١]، ونسبة الموت إليهم كما في قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾[٢] والمألوف من نوع فيه ذرية وموت هو التناسل والكلام بعد في هذا التناسل هل هو بسفاد كسفاد نوع من الحيوان أو بغير ذلك؟

وقوله: ﴿خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ﴾ مقطوع الإضافة أي من قبل خلق الإنسان والقرينة هي المقابلة بين الخلقين.

وعد منشأ خلق الجان في الآية هو نار السموم لا ينافي ما في سورة الرحمٰن من عده مارجاً من نار أي لهيباً مختلطاً بدخان فإن الآيتين تلخصان أن مبدأ خلقه ريح سموم اشتعلت فكانت مارج نار[٣].

والجان هو إبليس كما ذكر الحسن وقتاده وقيل هو أبو الجن كما ان آدم أبوالبشر ويعود إلى حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السَّموم من بين الملائكة وخلق الجن الّذين ذكروا في القرآن من مارج من نار و قيل

---

١ ـ سورة الكهف، ٥٠ .

٢ ـ سورة فصّلت، ٢٥ .

٣ ـ الميزان في تفسير القرآن (الطباطبائي) ج ١٢، ص ١٥١ .

السَّموم النّار الملتهبة عن أبي مسلم[١] والجن يعيشون ويموتون و يبعثون كالإنس قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾[٢]، إذن أُمم الجن كأُمم الإنس أصابها ويصيبها الهلاك والموت علىٰ حد سواء وإن فيهم ذكوراً وأناثاً ويتكاثرون بالتوالد والتناسل قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾[٣].

ان الرّجل من العرب كان إذا نزل الوادي في سفره ليلاً قال: أعوذ بعزيز هذا الوادى من شر سفهاء قومه، ونقل عن مقاتل ان أول من تعوّذ بالجن قوم من اليمن ثم بنو حنيفة ثم فشا في العرب و لايبعد أن يكون العوذ بـالجن الإسـتعانة بـهم ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾ أي فزاد الجنُ الإنسَ إثماً علىٰ إثمهم الّذي كانوا عليه من الكفر والمعاصي، عن أبن عباس وقتاده، وقيل رهقا أي طغياناً عن مجاهد وقيل فَرَقاً وخوفاً عن الرّبيع وابن زيد وقيل شراً عن الحسن وقيل زادوهم ذلاً وضـعفاً[٤] وللجن شعور وإرادة، و إنهم يقدرون علىٰ حركات سريعة وأعمال شاقة كما ورد في قصة سليمان عليه السّلام وتسخير الجن له وقصة ملكة سبأ (بـلقيس)، قـال تعالىٰ: ﴿... وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ٱعْمَلُوٓا ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[٥].

---

١ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، الطّبرسي م ٣، ج ٦، ص ٥١٦ .
٢ ـ سورة الاحقاف، ١٨ .
٣ ـ سورة الجن، ٦ .
٤ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ـ الطّبرسى ج ١٠، ص ٥٥٥ .
٥ ـ سورة سبأ، ١٢ ـ ١٣ .

وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾[1].

قال مارد قوي داهية من الجن أنا آتيك بعرشها قبل ان تقوم من مجلسك هذا الّذي تقضي فيه و اني علىٰ حمله لقوي وعلىٰ الإتيان به في هذه المدة قادر وعلىٰ ما فيه من الذهب والجواهر أمين، و في هذا دلالة علىٰ ان القدرة قبل الفعل لأنّه أخبر بأنّه قوي عليه قبل ان يجيء به وكان سليمان يجلس في مجلس للقضاء غدوة (أي صباحاً) إلىٰ نصف النهار[2].

والجن مكلفون كالإنس منهم مؤمنون ومنهم كافرون ومنهم صالحون وآخرون طالحون قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3]

أي لم أخلق الجن والإنس إلّا لعبادتی فهم من حيث التكليف علىٰ حد سواء قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَباً * يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾[4].

أي قل يا محمدﷺ أوحي إليّ أنّه استمع القرآن طائفة من الجن وهم خلق أو جيل رقاق الأجسام خفيفة علىٰ صورة مخصوصة بخلاف صورة الإنسان والملائكة، فإن الملك مخلوق من النور و الإنسان من الطّين والجن من النّار، فقال

---

١ ـ سورة النمل، ٣٨ ـ ٣٩.
٢ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ـ الطّبرسي ج ٧، ص ٣٤٨.
٣ ـ سورة الذاريات، ٥٦ .
٤ ـ سورة الجن، ١ ـ ٢ .

الجن بعضهم لبعض ﴿.. إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءاناً عَجَباً ..﴾ ومايدعو إلىٰ العجب منه لخفاء سببه وخروجه عن العادة في مثله من حيث المعنىٰ والفصاحة والنظام لايقدر أحد علىٰ الإتيان بمثله ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ...﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَـٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً﴾[2].

أي ومن الجن مسلمون ومنهم جائرون ظالمون خارجون عن الطّريق، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ...﴾[3].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُنذِرِينَ * قَالُواْ يَـٰقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِى إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَـٰقَوْمَنَا أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللهِ وَآمِنُواْ بِهِ...﴾[4].

ومعناه يا محمدﷺ إذْ وجهنا إليك جماعة من الجن تستمع القرآن أو معناه صرفناهم إليك عن بلادهم بالتوفيق والألطاف حتّىٰ أتوك أو صرفناهم إليك عن استراق السّمع من السّماء برجوم الشهب ولم يكونوا بعد عيسىٰ عليه السلام قد صرفوا عنه، فقالوا ما هذا الّذي حدث في السّماء إلّا من أجل شئ قد حدث في الأرض فضربوا في الأرض حتّىٰ وقفوا على النّبي محمدﷺ ببطن نخلة عامداً إلىٰ عكاظ

١ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ـ الطّبرسي م ٥، ج ١٠، ص ٥٥٣ ـ ٥٥٤.
٢ ـ سورة الجن، ١٤.
٣ ـ سورة الجن، ١١.
٤ ـ سورة الاحقاف، ٢٩ ـ ٣١.

وهو يصلي الفجر، فاستمعوا القرآن ونظروا كيف يصلي عن ابن عباس وسعيد بن جبير، وعلىٰ هذا فيكون الرّمي بالشهب لطفاً للجن ﴿...فَلَمَّا حَضَرُوهُ...﴾ أي حضروا القرآن أو النبي ﷺ ﴿...قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ...﴾ أي قال بعضهم لبعض اسكتوا لنستمع إلىٰ قراءته فلا يحول بيننا وبين القرآن شيء ﴿...فَلَمَّا قُضِيَ ..﴾ أي فلما فرغ النبيّ ﷺ من تلاوته ﴿..وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم..﴾ أي انصرفوا إلىٰ قومهم ﴿..مُنذِرِينَ..﴾ محذرين إياهم عذاب الله ان لم يؤمنوا.

﴿..قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ ..﴾ يعنون القرآن ﴿..مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ..﴾ أي لما تقدم من الكتب ﴿...يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ...﴾ أي يرشد إلىٰ دين الحقّ ويدل عليه ويدعو إليه ﴿..وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يؤدّي بسالكه إلىٰ الجنّة[١].

ويظهر من قوله تعالىٰ ان إبليس كان من الجن وانّ له ذرية وقبيلة قال تعالىٰ: ﴿...إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾[٢]، أي كيف تتخذونه وذريته أولياء تتولونهم بالطاعة من دوني وهم جميعاً أعداء لكم، وذريته الشّياطين، قال الحسن: الجن من ذريته[٣]. والشياطين من الّذين يستترون عن الأبصار مأخوذ من الجَن أي السّتر، وقيل كان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجِن كانوا خُزّان الجنان فأضيفوا إليها كقولك كوفي وبصري، وضعَّف الاولون هذين الوجهين.

---

١ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ـ الطّبرسي، ج ٩، ص ١٣٩ .
٢ ـ سورة الكهف، ٥٠.
٣ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ـ الطّبرسي ج ٦، ص ٧٣٤ .

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[١].

أي يراكم الشّيطان ونسله عن الحسن وابن زيد ويدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾[٢].

أو أن جنوده وأتباعه من الجن والشّياطين ﴿...مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ...﴾ أي جعلهم يجرون من بني آدم مجري الدّم، وصدور بني آدم مساكن لهم، كما قال الّذي يوسوس في صدورالنّاس، فهم يرون بني آدم وبنو آدم لايرونهم قال قتاده: «والله ان عدواً يراك حيث لاتراه لشديد المؤونة إلّا من عصم الله»، وانما قال ذلك لاننا إذا كنا لانراهم لم نعرف قصدهم لنا بالكيد والإغواء فينبغي أن نكون علىٰ حذر فيما نجده في أنفسنا من الوساوس خيفة أن يكون ذلك من الشّيطان، وإنما لا يراهم البشر لأن أجسامهم شفافه لطيفة[٣].

وقد ذكر الشّيخ المفيد‌ إنّ إبليس من الجن خاصة وإنّه ليس من الملائكة ولاكان منها قال الله تعالىٰ: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾[٤]

وجاءت الأخبار متواترة عن أئمة الهدىٰ من آل محمد ﷺ بذلك وهو مذهب الإمامية كلّها وكثير من المعتزلة وأصحاب الحديث قال (في المجمع صفحه ٨٢ الجزء الأول طبعة صيدا): وقال الشّيخ المفيد أبوعبدالله محمدبن محمدبن النعمان قدس الله روحه أنّه (يعني إبليس) كان من الجن ولم يكن من الملائكة قال

---

١ ـ سورة الاعراف، الآية ٢٧.

٢ ـ سورة الكهف، ٥٠ .

٣ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ـ الطّبرسي، م٢، ج ٤، ص ٦٣٢ .

٤ ـ سورة الكهف، ٥٠.

وقد جاءت الأخبار بذلك عن أئمة الهدىٰ عليهم السلام وهو مذهب الإمامية[١] وقد ذكر العلامة المجلسي ان الجن أجسام عاقلة خفيفة تغلب عليهم النّارية أو الهوائية وقيل نوع من الأرواح المجردة[٢].

وفي عيون أخبار الرِّضا ـ للشيخ الصّدوق ـ قال الرِّضا عليه السلام: كان نقش خاتم سليمان بن داود: سبحان من ألجَمَ الجن بكلماته[٣].

سورة الجن:

لقد افرد القرآن الكريم سورة كاملة اسماها باسم (سورة الجن) اضافة إلىٰ ذكره للجن في آيات عديدة من سور شتىٰ. سورة الجن سورة مكية تعالج العقيدة الإسلاميّة (الوحدانية، الرسالة، البعث، الجزاء) ومحور السورة يدور حول الجن ومايتعلق بهم من امور خاصة، بدءاً من استماعهم للقرآن اي دخولهم في الايمان وقد تناولت السورة بعض الانباء العجيبة الخاصة بهم، كاستراقهم للسمع ورميهم بالشهب المحرقة، واطلاعهم علىٰ بعض الاسرار الغيبيّة إلىٰ غير ذلك ابتدأت السورة بالاخبار عن استماع فريق من الجن للقرآن وتأثرهم بمافيه من روعة البيان إذن هم يجيدون اللغة العربية بل يتكلمون بها ـ حتّىٰ آمنوا به فور استماعه ودعوا قومهم إلىٰ الايمان ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا

---

١ ـ أوائل المقالات، الشّيخ المفيد، القول في إبليس أهو من الجن أم من الملائكة صفحة ١٤٩ .
٢ ـ بحار الانوار ـ محمد باقر المجلسي الجزء ٦٣، صفحة ٦١.
٣ ـ المصادر السّابق / ص ٧.

﴿قُرْءاناً عَجَباً * يَهْدِيَ إِلَىٰ ٱلرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً﴾[١].

ثم انتقلت السورة إلى الحديث عن تمجيدهم وتنزيههم لله جلّ وعلا وافرادهم له بالعبادة، و تسفيههم لمن جعل لله ولدا ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَد * وأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطاً﴾[٢].

ثم تحدثت السورة عن استراق الجن للسمع، واحاطة السماء بالحرس من الملائكة، وارسال الشهب على الجن بعد بعثة رسول الله ﷺ وتعجبهم من هذا الحديث الغريب ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلأَنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً﴾[٣].

ثم تحدثت السورة عن انقسام الجن إلىٰ فريقين: مؤمنين وكافرين ومئآل كل من الفريقين ﴿وَأَنَّا مِنَّآ ٱلمُسْلِمُونَ وَمِنَّآ ٱلقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَـٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً * وَأَمَّا ٱلقَاسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾[٤].

ثم انتقلت للحديث عن دعوة رسول الله ﷺ وعن التفاف الجن حوله حين سمعوه يتلو القرآن ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً * قُلْ إِنَّمَا أَدْعُواْ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً﴾[٥].

ثم أمرت السورة الرسول ﷺ بان يظهر انقياده واستسلامه لله سبحانه وخضوعه له. ويفرده جلّ وعلا باخلاص العمل ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُواْ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ

١ ـ سورة الجن، الآية ١ ـ ٢.
٢ ـ سورة الجن، الآية ٣ ـ ٤.
٣ ـ سورة الجن، الآية ٨ ـ ٩.
٤ ـ سورة الجن، الآية ١٤ ـ ١٥.
٥ ـ سورة الجن، الآية ١٩ ـ ٢٠.

أَحَداً * قُلْ إِنِّى لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَداً * قُلْ إِنِّى لَنْ يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً﴾[1].

و ختمت السورة ببيان اختصاص الله سبحانه وتعالىٰ بمعرفة الغيب و احاطته بعلم جميع ما في الكائنات قال تعالىٰ: ﴿عَالِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾[2][3].

وبين الاغراق في الوهم والاغراق في الانكار يقرر الإسلام حقيقة الجن ويصحح التصورات العامه عنهم ويحرر القلوب من خوفها وخضوعها لسلطانهم الموهوم.

فإذن الجن يتصفون بخصال شتّىٰ ونعوت تميزهم هي:

أولاً: لهم حقيقة موجودة فعلاً ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ...﴾ إذن هذا الخلق يسمع ويعقل.

ثانياً: انهم يجيدون اللغة العربية ويتكلمونها ويعقلونها وينقلونها ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَاناً عَجَباً﴾ إذن يتكلمون ويسمعون ويفهمون.

ثالثاً: ان فيهم الصالح وفيهم غيرذلك ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَداً﴾.

رابعاً: ان فيهم الضال المُضل ﴿وأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطاً * وَأَنَّا

---

١ ـ سورة الجنّ، الآية ٢٠ ـ ٢١ .

٢ ـ صفوة التفاسير، محمدعلى الصابوني، ادارة الشؤون الدينية، قطر ج ٣، صفحة ٤٥٦ ـ ٤٥٧.

٣ ـ سورة الجن، الآية ٢٦ ـ ٢٧ .

ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلإِنْسُ وٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً﴾

خامساً: انهم قابلون للهداية من الضلال ومستعدون لادراك القرآن سماعاً وفهماً وتأثراً ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُواْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءاناً عَجَباً * يَهْدِيَ إِلَىٰ ٱلرُّشْدِ فَأَمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً﴾

سادساً: انهم قابلون بخلقتهم لتوقيع الجزاء عليهم وتحقيق نتائج الايـمان والكفر فيهم ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَلَا رَهَقاً * وَأَنَّا مِنَّآ ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّآ ٱلقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَـٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً * وَأَمَّا ٱلقَاسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾.

سابعاً: انهم لاينفعون الانس حين يلوذون بهم بل يرهقونهم ﴿وَأَنَّـهُ كَـانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾.

ثامناً: ان الجن لايعلم ما سيجري ولم تعُدْلهم صلة بالسماء ﴿وَأَنَّا لَـمَسْنَا ٱلسَّمَاءَ فَوَجَدْنَـاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـاعِدَ لِلَّسْمعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلأَنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً * وَأَنَّا لَا نَدْرِيَ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً﴾.

تاسعاً: وانهم لاصهر ولانسب بينهم وبين الله سبحانه ﴿وَأَنَّهُ تَعَـالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـاحِبَةً وَلَا وَلَد﴾.

عاشراً:وان الجن لاقوة لهم ولاحيلة مع قوة الله سبحانه: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَباً﴾.

الحادي عشر: وفي آيات اخرىٰ من سور شتىٰ نـجدهم انـهم لايـعلمون الغيب ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْه الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ

فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِى الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾[١].

الثاني عشر: ان الجن يرانا ولانراه ﴿**إِنَّهُ يَرَيٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ**﴾[٢].

الثالث عشر: ان الجن خُلِق من مارج من نار ﴿**وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ**﴾[٣].

ومعنىٰ مارج من نار هو: من لهب النار الذي لادخان فيه وعن مجاهد من نار مختلط احمر واسود وأبيض وقيل مرج الصافي من لهب النار[٤].

الرابع عشر: ان لديهم قدرات هائلة في الأنطلاق والتحرك سيما العفاريت منهم ﴿**قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ ٱلْجِنِّ أَنَاْ ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ**﴾[٥].

والعفريت هو المارد القوي الداهية.

الخامس عشر: كما أن هناك مشتركات كثيرة بين الجن والانس وباقي المخلوقات ﴿**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**﴾[٦] أي جمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير يمنع اولاهم.. يقف او ينتظر.. ليلحق بهم آخرهم.

---

١ ـ سورة سبأ، الآية ١٤.
٢ ـ سورة الاعراف، الآية ٢٧.
٣ ـ سورة الرحمن، الآية ١٥.
٤ ـ الميزان في تفسير القرآن ـ الطّباطبائي، ج ١، ص ١٣٨ .
٥ ـ سورة النمل، الآية ٣٩.
٦ ـ سورة النمل، الآية ١٧ .

السادس عشر: ان الجن يعملون كالبشر بل لديهم من الطاقات والقدرات اكثر ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[١].

وقد تكفلت هذه السورة ـ اي سورة الجن ـ بتصحيح ما كان مشركو العرب يظنونه عن قدرة الجن و دورهم في هذا الكون[٢].

اما الذين ينكرون وجود هذا الخلق فلا دليل لهم وعلامَ يبنون افكارهم حيث ان النفي كالاثبات كلاهما يحتاج إلىٰ دليل فهل انهم عرفوا كل ما في الكون من خلائق فلم يجدوا الجن من بينها.

الثامن عشر: ان هناك اشارة إلىٰ ان الجن في الآخرة يدخلون الجنّة ويتزوجون بمثل جنسهم.

قال تعالىٰ: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾[٣]

فكما ان للانس حور عين كذلك للجن حور عين من جنسهم.

---

١ ـ سورة سبأ، الآية ١٢ ـ ١٣.

٢ ـ تفسير في ظلال القرآن ـ سيد قطب ج ٦، صفحة ٣٧٢٢، دار الشروق ـ القاهرة.

٣ ـ سورة الرحمن، الآية ٥٦.

ثالثاً: الفرق بين الشيطان و الجن

لقد تقدم الحديث ان الشيطان لغة هو التباعد و كل شيء بعيد و منه بئر شطون و شطنت الدار و غربة شطون، و كل عات متمرد من الجن و الدواب، و ان الشيء اذا استقبح شبّه بالشيطان، لا يُرىٰ ولكن يُستشعر به[١].

واصطلاحاً: هو الشرير، وقد غلب استعماله في ابليس الذي يصفه القرآن الكريم و ذريته، فهو خلق من خلق الله مكلف كالانسان وهو من الجن و الجن مخلوق من النار.

قال تعالىٰ: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣].

إذن الشيطان أو ابليس بالمعنىٰ الاصطلاحي هو من سنخ الجن و لكن الشيطان كفر، اما الجن فمنهم الصالحون ومنهم دون ذلك. قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَداً﴾[٤] وقالوا علىٰ انفسهم أيضاً ﴿وَأَنَّا مِنَّآ ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّآ ٱلْقَاسِطُونَ﴾[٥].

أي منّا الذين استسلموا لما أمرهم الله سبحانه به وانقادوا لذلك ﴿وَمِنَّآ

---

١ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ج ٧، ص ١٢١.

٢ ـ سورة الكف، الآية ٥٠.

٣ ـ سورة الذاريات، ٥٦.

٤ ـ سورة الجن، ١١.

٥ ـ سورة الجن، ١٤.

﴿ٱلْقَاسِطُونَ﴾ أي الجائرون عن طريق الحق[١].

ولقد ذكروا أيضاً ان ابليس كان سفيه و نسبوه إلىٰ انفسهم قال تعالىٰ: ﴿وأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطاً﴾[٢] أي ان ابليس كان جاهلاً و كان يقول على الله سبحانه باطلاً، فاعترفوا بأن ابليس كان يخرج عن الحد في اغواء الخلق و دعائهم إلى الضلال و قيل (شططا) أي قولاً بعيداً من الحق و هو الكذب في التوحيد و العدل[٣].

ولا يفوتنا ان نذكر ان الشيطان كان من الكافرين بصريح القرآن الكريم قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِين﴾[٤].

أي انه كان كافراً في الاصل وهذا القول يوافق مذهبنا في الموافاة وقيل أرادَ كان في علم الله تعالىٰ من الكافرين وقيل معناه صار من الكافرين، والنتيجة انه كان من الكافرين[٥].

---

١ ـ مجمع البيان ـ الطبرسي ج ١٠، ص ٥٥٩.
٢ ـ سورة الجن، ٤.
٣ ـ مجمع البيان ـ الطبرسي ج ١٠، ص ٥٥٥.
٤ ـ سورة البقرة، ٣٤.
٥ ـ مجمع البيان ـ الطبرسي ج ١، ص ١٩١.

رابعاً: اسماء الشيطان

ان من اسماء الشيطان:

١) ابليس وهو أبرزها وسمي ابليس لانه ابلس من رحمة الله أي آيس قال تعالىٰ: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾(١).

٢) الوسواس أيضاً ومن اسمائه انه وسواس لأنه يوسوس في صدور الناس قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾(٢).

٣) الخنّاس أيضاً من اسمائه الخنّاس لانه يخنس أي يسكن و يسكت حينما يذكر اسم الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ...﴾(٣).

٤) الغَرور سمي بالغَرور لانه يغرّ الآخرين و يخدعهم. قال تعالىٰ: ﴿.. وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ..﴾(٤) والغرور نوع جهل يوجب إعتقاد الفاسد صحيحاً والرديء جيّداً و سببه وجود شبه أوجبت ذلك.

٥) السفيه فقد سمّاه الجن بأنّه سفيه أي جاهل او الذي يقول غير الحق قال تعالىٰ على لسان الجن ﴿وأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطاً﴾(٥).

٦) عزازيل

٧) طاووس الملائكة

---

١ ـ سورة الكهف، ٥٠ .

٢ ـ سورة الناس، ٥.

٣ ـ سورة الناس، ٤.

٤ ـ سورة فاطر، ٥.

٥ ـ سورة الجن، ٤.

٨) كنيته ابو مُرّة

٩) الخبيث

١٠) المهلك

١١) الهاوية

١٢) رئيس العالم ـ أي عالم الشر[١]:

١ ـ انجيل يوحنا الاصحاح ١٢ فقرة ٣١ لقب (رئيس العالم):

خامساً: الشيطان أداة اختبار

هناك دوران للشيطان هما:

الدور النظري: ـ حيث ان الإنسان مختار حسبما أراده الله عزّوجلّ له، ولم يكن ظالماً بحقه، فالإنسان باختياره يسلك أي طريق شاء، فهو يراد له أن يصحح مسيره كي يحصل علىٰ ثواب الآخرة فضلاً عن سعادة الحياة الدّنيا، ويستحق الأجروالمدح الّذي حصل عليه بجهده واختياره وإن تعرض إلىٰ وسوسة ودعوة الشّيطان، ولو لم تكن هناك دعوة للشيطان في الحياة الدّنيا لما حصل ذلك الإنسان علىٰ تلك الرفعة والمنزلة والدّرجة العالية قال تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[1].

الدور العملي: ـ وهو إنّ الإنسان بمجرد أن يغفل عن ذكر الله عزّوجلّ ويبتعد عنه قليلاً، يداهمه الشّيطان ويأمره بالفحشاء والمنكر، بعد عملية الوسوسة والدّعوة إلىٰ الشّر، فينبغي للإنسان ان ينتبه فوراً بأن هناك شيئاً بدأ يدفعه عن الطّريق القويم إلىٰ طريق آخر معوج وإلىٰ شيء منكر لايقبله العقل، فيعود فوراً ويستعيذ بالله عزّوجلّ ويعود إلىٰ طريقه المستقيم الأول قال تعالىٰ: ﴿...إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا فإذا هُمْ مُّبْصِرُونَ﴾[2].

فعلاقة الشّيطان بالمعاصي علاقة مباشرة كعلاقة الألم بالمرض فمن نعم الله عزّوجلّ علىٰ الإنسان أنَّ المرض له منبه وهو الألم فلكي يشعر الإنسان بمرضه

---

١ ـ سورة الرحمن، ٤٦.

٢ ـ سورة الاعراف، ٢٠١.

يتألم، فيبادر لعلاجه، وإذا لم يشعر إنّه مريض ربما يموت أوقبل الموت بفترة وجيزة جداً وهو لا يعلم انّه كان مصاباً بمرض عضال أودىٰ به إلىٰ الهلاك، لذا نجد ان من أخطر الأمراض هي تلك الأمراض الّتي لاأعراض لها، لا ألم لها يحس الإنسان بوجودها من قبيل بعض أمراض السّرطان مثلاً، حيث يكمن خطره في كثير من الأحيان بعدم الشّعور به منذ بداية الإصابة به وإلّا يمكن علاجه في المراحل الأولىٰ.

كذلك الشّيطان حيث إننا لانستطيع ان نشخِّص مصداقاً للطاعة إلّا وإلىٰ جانبه مصداقاً للمعصية فنحن لاندرك ان هذا السّلوك طاعة لله عزّوجلّ إلّا بإدراكنا ان هناك ما يقابله من سلوك منحرف فيه معصية الله سبحانه وتعالىٰ، وبالاضداد تعرف الاشياء فلو لم يكن هناك نهار لم نعرف الليل ولو لم يكن هناك حر لم نعرف البرد وهكذا... تُعرف الطاعة بوجود ما يقابلها.

سادساً: معنى التلبيس والغرور

التلبيس: اظهار الباطل في صورة الحق، والغرور نوع جهلٍ يوجب اعتقاد الفاسد صحيحاً و الردیء جيداً، و سببه وجود شبهه أوجبت ذلك، وانما يدخل ابليس على الناس بقدر ما يمكنه، ويزيد تمكّنُهُ منهم ويقلّ علىٰ مقدار يقظتهم و غفلتهم وجهلهم وعلمهم. كما ان القلب كالحصن، وعلىٰ ذلك الحصن سور، وللسور أبواب وفيه ثُلَم وساكنه العقل والملائكة تتردد علىٰ ذلك الحصن، وإلىٰ جانبه رَبَضٌ فيه الهوىٰ والشياطين تختلف علىٰ ذلك الرَبَض من غير مانع والحرب قائمة بين أهل الحصن وأهل الربض، والشياطين لاتزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثُّلم.

فينبغي للحارس ان يعرف جميع ابواب الحصن الذي قد وكّل بحفظه وجميع الثُلم، وان لا يفتُرَ عن الحراسة لحظة. فانَّ العدوَّ ما يَفتُرُ. قال رجل للحسن البصرى أينام ابليس؟ قال: لونام لوجدنا راحةً. وهذا الحصن مستنير بالذكر مشرق بالايمان، وفيه مرآة صقيلة يتراءىٰ فيها صور كل ما يمر به، فأول ما يفعل الشيطان في الربض إكثار الدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرآة، وكمال الفكر يردّ الدخان، وصقل الذكر يجلو المرآة. وللعدو حملات، فتارة يحمل فيدخل الحصن، فيكرُّ عليه الحارس فيَخرج، وربمّا دخل فَعاث وربما أقام لغفلة الحارس، وربمّا ركدت الريحُ الطاردةُ للدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرآة فيمر الشيطان ولايدري به، وربما جرح الحارس لغفلته وأسر واستخدم و أُقيم يستنبط الحيل في موافقة الهوىٰ ومساعدته، وربما صار كالفقيه في الشر.

قال البعض: رأيت الشيطان فقال لي: قد كنتُ القي الناس فأُعلمهم، فصرت ألقاهم فأتعلم منهم.

وربما هجم الشيطان على الذكي الفطن ومعه عروس الهوىٰ قد جلاّها فيتشاغل الفطن اليها فيستأسره، وأقوىٰ القيد الذي يوثقُ به الاسرىٰ الجهل، وأوسطه في القوىٰ الهوىٰ، واضعفه الغفلة، وما دام درع الايمان على المؤمن، فانّ نبل العدو لايقع في مقتل[١]. كما ورد عن البعض ان الشيطان ليفتحُ للعبد تسعة وتسعين باباً من الشر، فهي بحسب طبيعة المتلبس عليه إذا كان قوياً جيداً لا يقوىٰ عليه بسهولة فهو يرضىٰ منه ولوبالقليل. اما إذا كان ضعيفاً هزيلاً فانه يدرجه معه حيث يشاء حتىٰ ان اصحاب الاهواء و من خدعهم بطول الامل فانه يلعب بهم كيف يشاء.

والغرور: هو نوع جهل يوجب اعتقاد الفاسد صحيحاً والرديء جيّداً و سببه وجود شبهة أوجبت ذلك[٢].

---

١ ـ تلبيس ابليس ـ ابن الجوزي البغدادي، ص ٤٩ ـ ٥٠.
٢ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ج ١٠، ص ٤١.

الفصل الثالث

خطوات الشيطان

١ ـ معنى خطوات الشيطان
٢ ـ ما ورد في تفسير خطوات الشيطان
٣ ـ عمل الشيطان
٤ ـ سياسة الشيطان
٥ ـ كيف يتعامل الشيطان مع الإنسان
٦ ـ مراحل تأثير الشيطان على النفس الإنسانيّة
٧ ـ اتباع الهوىٰ
٨ ـ براءة الشيطان من اتباعه
٩ ـ مدى تسلط الشيطان على الإنسان
١٠ ـ حث الشيطان لترك اقامة دولة الإسلام
١١ ـ حث الشيطان لترك اقامه الحدود الإلهيّة
١٢ ـ الغاية من عرض القرآن الكريم لاساليب الشيطان

معنى خطوات الشيطان وتعريفها

١) تعريفها:

خطوات لغة واصطلاحاً:

خطوات في اللغة: خطا يخطوا خَطواً واختطىٰ واختاط مقلوبٌ مَشىٰ. والخُطوة، بالضم: ما بين القدمين، والجمع خُطىٰ وخُطوات وخُطُوات.

قال سيبويه وخُطوات لم يقلبوا الواو لأنهم لم يجمعوا فُعلاً ولا فُعْلةً علىٰ فُعَل، وانما يدخل التثقيل في فُعُلات ألا ترىٰ أن الواحدة خُطوة؟ فهذا بمنزلة فُعْله، وليس لها مُذكَّر. وقيل الخَطوة لغتان، و الخَطوة الفعل، والخَطوة، بالفتح المرّة الواحدة، والجمعُ خَطَوات بالتحريك، وخِطاء مثل رَكوة ورِكاءٍ، قال امرؤ القيس:

لها وثبات كوثب الظّباء　　　فوادٍ خطاءٍ ووادٍ مطَرْ

قال ابن بري: أي تخطو مرّةً فتكفُّ عن العَدْوِ وتعدو مرّةً عَدْواً يشبه المطر، وروىٰ ابوعبيدة فوادٍ خطيطُ قال الاصمعي: الارضُ الخطيطة التي لم تُمطَرْ بين أرضين معطورتين، وروىٰ غيره كصوبِ الخريف، يعني ان الخريف يقع بموضع ويُخطيء آخر.وفي حديث الجمعة: رأىٰ رجلاً يتخطّىٰ رِقابَ الناسِ أي يَخطو خَطوة خَطوة.

اصطلاحاً وفي الحديث: وكثرة الخُطىٰ إلى المسجد.

وقوله عزوجل: ﴿لَاتَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَـانِ﴾ قيل هي طُرُقه أي لاتسلكوا الطريق التي يدعوكم اليها، وعن ابن السكيت قال ابوالعباس في قوله تعالىٰ ﴿لَاتَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَـانِ﴾ أي في الشر، وقال الزجاج: خطوات الشيطان طُرُقهُ وآثاره، وقال الفَرّاء معناه لاتتبعوا أثره فانّ اتباعه معصية انه لكم عدو مبين.

وقال الليث معناه لاتقتدوا به قال وقرأ بعضهم خُطُؤات الشيطان من الخطيئة أي المأثم[1].

١ ـ لسان العرب، ابن منظور ج ٤، ص ١٤٧ ـ ١٤٨ .

٢) ما ورد في تفسير خطوات الشيطان

ورد في تفسير قوله تعالىٰ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلاً طَيِّباً وَلَاتَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1].

فقد اختلف في معناها و تفسيرها:

١ ـ عن ابن عباس «لاتتبعوا اعمال الشيطان» أي اعمال الشيطان هي خطواته فمن اتبعها فقد اتبع خطواته.

٢ ـ عن مجاهد وقتاده «لاتتبعوا خطايا الشيطان» أي ذنوب الشيطان فمن ارتكب الذنوب التي ارتكبها الشيطان فقد اتبع خطواته.

٣ ـ عن السدى «لاتتبعوا طاعتكم الشيطان» أي طاعة الشيطان هي خطواته من اطاع الشيطان فقد اتبع خطواته.

٤ ـ عن الخليل «لاتتبعوا اثار الشيطان» أي من اتبع آثاره فقداتبع خطواته وآثاره هي خطواته.

٥ ـ وروى عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام: «ان من خطوات الشيطان الحلف بالطلاق والنذور في المعاصي وكل يمين بغير الله تعالىٰ». فهي إذن كل يمين للطلاق الذي لا داعي له والنذر بما يغضب الله سبحانه وكل قسم بغيرالله سبحانه وتعالىٰ.

٦ ـ وعن القاضي «لاتتبعوا وساوس الشيطان» فخطوات الشيطان هي

---

١ ـ سورة البقرة، الآية ١٦٨.

مايوسوس به في صدور الناس بما يبعدهم عن ساحه رحمة الله وطاعته.

٧ـوعن الماوردى «ما ينقلهم من معصية إلىٰ معصية حتىٰ يستوعبوا جميع المعاصي، مأخوذ من خطو القدم في نقلها من مكان إلىٰ مكان حتىٰ يبلغ مقصده» فهو يدبّ معهم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء[١].

وقدوردت خطوات الشيطان في القرآن في اربع آيات فقط وان كان الحديث عنها عام وشامل في كل مايتحدث به القرآن عن الشيطان وهذه الآيات هي:

١) قوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلاً طَيِّباً وَلَاتَـتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَـانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٢]

٢) قوله تعالىٰ ﴿يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِـي ٱلسِّـلْمِ كَـآفَّةً وَلَا تَـتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَـانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٣].

٣) قوله تعالىٰ ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَـامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَـانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٤].

٤) قوله تعالىٰ: ﴿يَـاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَـانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَـانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَـٰكِنَّ ٱللهَ يُزَكِّى مَنْ يَشَآءُ وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٥].

---

١ ـ مجمع البيان ــ الطبرسي ج ١، ص ٤٥٩ ـ ٤٦٠ .
٢ ـ سورة البقرة، الآية ١٦٨.
٣ ـ سورة البقرة، ٢٠٨.
٤ ـ سورة الانعام، ١٤٢.
٥ ـ سورة النور، ٢١.

إذن خطوات الشيطان هي طُرُقهُ و آثاره و آثـامه و اسـاليبه و اعـماله و خطاياه و وساوسه وكل ما يؤدّي إلىٰ معاصي الله سبحانه، وسنتعرض بالتفضيل مع الشواهد القرآنيّـة والحديثية إلىٰ هذه الخطوات و متعلقاتها وظروفها الموضوعية باذن الله تعالىٰ، وليكن هذا البحث تفسيراً موضوعياً فنحن نستنطق القرآن ونسأله والقرآن الكريم يجيبنا، ونحن نستشفي بالقرآن، والقـرآن يـقدم لنـا دواء دائـنا، وكذلك احاديث الرسول الأعظمﷺ وأهل بيته الكرامعليهم السلام. كما أنّه من الطبيعي أننا نجد العناء فعلينا ان نبذل قصارىٰ جهودنا حتىٰ نصل إلىٰ قطف الثمار وتحويلها إلىٰ خطّة عملية و برنامج حياتي لمن أراد السلوك إلىٰ شاطئ الامان.

٣) عمل الشيطان:

ما هو عمل الشيطان؟ ما هي طرقه؟ ما هو دوره؟

لقد تعرض القرآن الكريم في العشرات من الآيات المباركة إلىٰ ذكر الشيطان وعمله و اساليبه و من اهم اعماله مع الإنسان هي:

١ ـ الوسوسة: وهي الالقاء في النفس و العرض. قال تعالىٰ: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَانُ...﴾[١]. ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾[٢] أي إذا وسوس إليهم الشيطان.

٢ ـ النزغ: وهي الاغراء و الافساد و حمل البعض على البعض الآخر قال تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

٣ ـ التزيين و التجميل بقصد الغش و الخداع و اظهار الامور علىٰ غير حقائقها. قال تعالىٰ: ﴿...لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾[٤].

٤ ـ غواية الناس: أي خيبتهم و اضلالهم وابعادهم عن الهداية. قال تعالىٰ: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[٥].

٥ ـ اضلال الناس: قال تعالىٰ: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ...﴾[٦].

---

١ ـ سورة الاعراف، ٢٠.
٢ ـ سورة الأعراف، ٢٠١.
٣ ـ سورة الأعراف، ٢٠٠.
٤ ـ سورة الحجر، ٣٩.
٥ ـ سورة الحجر، ٣٩ ـ ٤٠.
٦ ـ سورة النساء، ١١٩.

٦ ـ القاء الاماني والاحلام الكاذبة. قال تعالىٰ: ﴿... وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ...﴾، ثم قال تعالىٰ: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُوراً﴾[١].

٧ ـ إذن عمل الشيطان الكذب و الخداع

٨ ـ يأمر بالفحشاء: قال تعالىٰ: ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾[٢].

٩ ـ التسلط على الذين يتولونه قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[٣].

١٠ ـ أن يكون ولياً لمن يتسلط عليهم ﴿إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ...﴾[٤].

١١ ـ الشيطان يصرع اولياءه ويستحوذ عليهم و يصيبهم بما يريد من الانحراف فيكون سلوكهم غير عقلائي وغير مدروس و مهلك. قال تعالىٰ: ﴿لَايَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[٥].

١٢ ـ الشيطان قد يتسلط على البعض وهذا لون ابتلاء فيتسلط علىٰ أجسامهم و يؤذيهم بنحو من السببية و التأثير كما جرىٰ مع أيوب عليه السلام.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ

---

١ ـ سورة النساء، ١١٩ ـ ١٢٠.

٢ ـ سورة البقرة، ٢٦٨.

٣ ـ سورة النحل، ١٠٠.

٤ ـ سورة النحل، ١٠٠.

٥ ـ سورة البقرة، ٢٧٥.

وَعَذَابٍ﴾[١] اي اصابنــي الشيطان بتعب و مرض جسدي[٢].

١٣ ـ الاستفزاز و الجلبة والمشاركة مع بني البشر في الأموال و الأولاد قال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُوراً﴾[٣].

١ ـ سورة ص، ٤١.
٢ ـ الميزان ـ الطباطبائي ـ ج ١٧، ص ٢٠٨ ـ ٢١٥ .
٣ ـ سورة الأسراء، ٦٤.

٤) سياسة الشيطان:

إنّ خطة الشيطان سياسة الخطوة خطوة، [١] فلا توجد آية تقول ياايها الذين آمنوا لاتتبعوا الشيطان بل تقول: ﴿يَـاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَـانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَـانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنْكَرِ﴾ [٢]

فالشيطان لايدل الانسان على الشر دفعة واحدة، بل علىٰ دفعات في خطوات خفيّة لا يشعر الإنسان بها، ولهذا عندما نقول لانسانٍ ما عمل عملاً سيئاً بأن الشيطان قد وسوس إليه وزيّن له ارتكاب هذا العمل السيء يستغرب ويتساءل أين الشيطان؟

ويؤكد لنا بأنه بنفسه الذي قرروخطط ونفَّذ هذا العمل ولم يحصل ان الشيطان هو الذي وسوس إليه، فالانسان لا يشعر بوجود الشيطان على الرغم من انه يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم وبامكانه أن يشاركه في المسكن والمأكل والمشرب والملبس والمنكح وذلك إذا لم يسم الله ويتلو الاذكار الخاصة لكل امر من الامور الحياتيه كما بيّن ذلك رسول الله ﷺ ومن الطبيعى ان الإنسان لايرىٰ الشيطان ولايشعر بوجوده وان كان الشيطان يراه فقد قال تعالىٰ بعد تحذيره من فتنة الشيطان ﴿إِنَّهُ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [٣].

فالشيطان كي يصل إلىٰ هدفه النهائي يظل يوسوس ويوسوس ولايـيأس

---

١ ـ التعرّي الشيطاني ـ عدنان الطرشه، ص ١٦ .

٢ ـ سورة النور، ٢١.

٣ ـ سورة الاعراف، ٢٧.

ولا يعجز ولا يكل ولا يمل لانه قد أخلص لمهمته فيستمر عليها حتىٰ تتحقق خطوة من هذه الخطوات، ثم يترك الإنسان عليها زماناً ليعوّده علىٰ هذه الخطوة، فـإذا وجده قد اعتادها واصبحت شيئاً مستساغاً مستطاباً عادّياً، وتبلّد شعوره تجاهها يبدأ في الوسوسة لتنفيذ الخطوة التالية[١].

هكذا اسلوبه في التدرج لارتكاب المعاصي حتىٰ يوصله إلى الكفر والعياذ بالله فهو يسلك المنافذ المفتوحة ونقاط ضعف الإنسان حيث ان لكل انسان نقاط قوة ونقاط ضعف إلّا ماعصم ربي فهو يأتيه منها ان كان يحب المال او الجنس او الشهرة او...

كما ان الشيطان لاينتقل إلى الخطوة التالية إلّا بعد تثبيت الخطوة السـابقة بمرور الزمن بحيث تصبح امراً عادياً لايشعر الإنسان بأي حرج فيها، فإذا حصل ذلك فقد اصبح هذا الإنسان مؤهلاً لينتقل به الشيطان إلى الخطوة التالية.[٢]

إنَّ الشيطان يتخلىٰ عن الإنسان بمجرد ان يحقق هدفه النهائي قال تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلإنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[٣].

فمن كيد الشيطان انه يورده الموارد التي يخيّل إليـه أن فـيها مـنفعته ثـم يصدره المصادر التي فيها عطبه ويتخلّي عنه ويسلمه ويقف يشمت به ويضحك منه[٤].

---

١ ـ التعرّى الشيطاني ـ عدنان الطرشة ص ٢٠ .
٢ ـ حقيقة الجن والشياطين ـ محمد علي السيد أبي ص ١٠٠ .
٣ ـ سورة الحشر، ١٦.
٤ ـ اغاثة اللهفان ـ ابن القيم ج ١، ص ١٠٨ .

٥) كيف يتعامل الشّيطان مع الإنسان؟

الشّيطان ذلك المخلوق العجيب الشّريرله نحومن التأثير علىٰ ارادة الإنسان ولكن بالشكل الطّولي وليس بالشكل العرضي التقاطعي وإلّا شعربه الإنسان وتجنّبه إضافة إلىٰ ان ذلك لايكون بلحاظ التدخل المفروض علىٰ الإنسان وهذا مرفوض ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1].

فإذا سلط الله سبحانه وتعالىٰ الشّيطان علىٰ الإنسان بالإكراه معنىٰ ذلك انّه أجبره على المعاصي و بالتالي يكون طعناً في العدالة الإلهية و هذا لايكون أساساً، كما ان الله سبحانه وتعالىٰ إذا جعل الشّيطان مخلوقاً ظاهراً نراه ونسمعه ونحسه بحواسنا الخمسة سوف نَحْذره، وإذا تدخل بشكل مباشر علىٰ ارادتنا وبصورة قَسْرية، معنىٰ ذلك نقع في تعدد الإرادات فتكون النتيجة لتأثير إرادتين في عرض واحد من مخلوقين موجودين في آن واحد يشتركان في فعل واحد، فيلزم منه انتفاء إرادة ذلك الإنسان المسكين وبالتالي يكون هناك ظلم إلهى وقبائح صادرة من الله عزّوجلّ وهذا لا يكون.

فإذا فرضنا إنّ الشّيطان مثلنا ونحن لانتحرك إلّا بإشارة منه وبإرادته، وإرادته في عرض إرادة الإنسان، كلاهما في نفس المنزلة وفي رتبة واحدة معنىٰ ذلك ان الإختيار سوف ينتهي وينتفي ويكون تدخلاً مباشراً من الشّيطان، والإنسان يتحمل الوزر وهذا لايمكن ان يحصل ويكون.

---

١ ـ سورة آل‌عمران، ١٨٢.

إذن ليس للشيطان تأثير عرضي تقاطعي ولا ظاهري ولا قسري وإنما له تأثير طولي مع إرادة الإنسان ومجرد أن يعرض سلعته ووسوسته ـ ان صح التعبير ـ فالإنسان يقوم بالعمل، يفعل الفعل وهو لا يشعر ان الفعل أو العمل قد أثر في اختياره وجودٌ آخر اسمه الشّيطان قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّـذِى يُـوَسْوِسُ فِـى صُـدُورِ ٱلنَّاسِ﴾[١].

الدّقة في مسلكه وخفاء سربه لا يميّزه حِسُّ الإنسان وخفاء لا يقع عليه شعوره فإن الإنسان لا يرىٰ إلّا نفسه من غيرأن يشعر ان وراءه من يأمره بالشّر ويدفعه إلىٰ الشّقاء، والشّيطان يواكب الإنسان منذ إنعقاد نطفته بل قبل ذلك الحين، منذ أن يكون مهر الزّوجة من مال حرام أو الطّعام الّذي نشأت منه النطفة من مال حرام، ويسير معه نطفة، فمضغة، فَعَلقة حتّىٰ يكون مزعجاً له وهو في بطن أمه، وما أن يخرج طفلاً سوياً إلىٰ دار الدّنيا حتّىٰ يكون مزعجاً له أيضاً و حتّىٰ يستقبله ذلك الإستقبال، ونحن مأمورون في كثير من الرّوايات ان نعوّذ اطفالنا بالله العلي العظيم من شر الشّيطان الرّجيم حتّىٰ ورد عن النّبي محمدﷺ إنّه كان يعوّذُ الحسن والحسين عليهما السلام. حفظاً وإبقاءاً لهما من تأثيرات هذا الخبيث، وما أن يكون الإنسان مكلفاً حتّىٰ يبدأ مرافقته إلىٰ ساعة النزع والإحتضار يحضرعنده، يجلس بجانبه يكون رفيقاً له لعله يستفيد منه في تلك اللحظة العصيبة الأُخيرة فيسيء عاقبته ثمّ يدخل معه القبر «هناك قرناء معه في القبر يؤذونه ويعذبونه بألوان العذاب» ثمّ يكون قائده يوم القيامة حتّىٰ يورده جهنم وما أن يصل الإنسان شفير جهنم حتّىٰ

---

١ ـ سورة الناس، الآية ٥.

يتبرأ الشّيطان منه، ويقول له أنت مكنتني منك ومن نفسك وسلطتني عليك وما كنتُ مكرهاً لك إلّا أن دعوتك فاستجبت لي فلا عتب عليّ وإنّما العتبُ عليك واللوم لنفسك فحسب.

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

١ ـ سورة ابراهيم، ٢٢.

٦) مراحل تأثير الشّيطان على النفس الإنسانية

ان التأثير الشّيطاني يمرّ على النفس الإنسانية بعدّة مراحل قسمها بعض العلماء إلىٰ ست مراحل، كلماتتحقق مرحلة يطمع الشّيطان في الّتي تليها، وفائدة معرفة هذه المراحل تكمن في إطلاع القارئ الكريم علىٰ عدوه بشكل سافر ومباشر حتّىٰ يتجنب شرورهُ وآثامه ويعرف نفسه بأيّة رتبة أو بأيّة مرحلة من هذه الرّتب أو المراحل.

المرحلة الاولىٰ: الوسوسة

وهي رتبة الوسوسة وعرض الضلالة، وقد تحدثت عن هذه الرّتبة آيات كثيرة في القرآن الكريم منها قوله تعالىٰ: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا...﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ * ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾[٣].

في البدء يعرض الشّيطان بضاعته عرضاً خفيفاً ليناً لطيفاً مؤدباً سائغاً، يقول

---

١ ـ سورة طه، ١٢٠.
٢ ـ سورة الأعراف، ٢٠.
٣ ـ سورة النّاس، ٤ ـ ٥.

للجميع اعملوا هذا، افعلوا هكذا، اتركوا هذا الشّيء لا تقتربوا من هـذا المـطلب وهكذا يطلب منهم فعل أشياء أو ينهاهم عن فعل اشياء اخـرىٰ، كـلّ ذلك بـان يعرض لهم بعض الصّور الخيالية عرضاً سلساً، يورد الإنسان بعض الأوهام بمقدار مساحة عمله (وهي مساحة الوهم والخيال) ليس إلّا، قوة تأثيره فقط في مجال العرض علىٰ قوة الوهـم والخـيال حـيث يـحتل جـانباً مـن النـفس الإنسـانية يؤثرعليها، ولكن ليس من حقه التسلط علىٰ كلّ قوىٰ النفس الإنسانية حيث ان القوي العقلية المجردة (العقل) خارجة عن تـخصص الشّـيطان ولا يسـتطيع ان يسيطر عليها لانه مخلوق مثالي وعالمه عالم برزخي لايقوىٰ فـي الوصـول إلىٰ رتبة التجرد العقلي التي لدىٰ الإنسان، فالوسوسة مجرد عرض.

كيف يوسوس الشيطان للإنسان:

حكىٰ السهيلي، عن عمربن عبدالعزيز: ان رجلاً سأل ربّه أن يريه مـوضع الشيطان منه، فأراه جسداً يرىٰ داخله من خارجه والشيطان في صورة ضفدع بين كتفيه وقلبه، له خرطوم كخرطوم البعوضة وقد أدخله إلىٰ قلبه يوسوس[١].

وعن أبي ثعلبة الخشني قال: (سألت الله ان يريني الشيطان ومكانه من ابن آدم فرأيته، يداه في يديه ورجلاه في رجليه ومشاعبه في جسده، غير أن له خطماً ـ أنفاً ـ كخطم الكلب، فإذا ذكر الله خنس ونكس، واذا سكت عن ذكر الله أخـذ بقلبه[٢] وهذا ما اشار إليه النبيﷺ من أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم لأجل ماذا؟

---

١ ـ لقط المرجان في احكام الجان ـ السيوطي، ص ٨٥.

٢ ـ حقيقة الجن والشياطين ـ محمد علي السيد أبي، ص ١٠١.

لأجل الوسوسة إلىٰ نفس الانسان كلما سنحت له الفرصة. وقال القاضي ابويعلىٰ (الوسواس يحتمل أن يكون كلاماً خفيّاً يدركه القلب، ويمكن أن يكون هو الذي يقع عند الفكرة ويكون منه مس وشكوك ودخول في اجزاء الإنسان.

وقال ابن عقيل: إن قيل كيف الوسوسة من ابليس وكيف وصوله إلى القلب؟ قيل هو كلام خفي تميل إليه النفوس والطباع وقد قيل: يدخل في جسد بني آدم، لأنه جسد لطيف و يوسوس، و هو أن يحدِّث النفس بالافكار الرديئة[١].

مشكلة الوسوسة:

لذا من المشاكل التي عاشها الإنسان الأوّل ومازلنا نعيشها في اكثر جوانب الحياة على المستويين الفكري والعملي هي مشكلة (الوسوسة). والوسوسة تمثل حالة نفسيّة يعيش الإنسان معها بعض الخواطر او بعض المشاعر او بعض الانطباعات التي لاتنطلق من حسابات معقولة، بل تنفذ إلىٰ وجدان الإنسان ومشاعره من دون ان تستند إلىٰ دراسة دقيقة.

ونحن نعلم ان الوسوسة من الشيطان قد بدأت مع أبينا آدمعليه السلام وأُمّنا حوّاء اللذين أراد الله تعالىٰ ان يدخلهما في دورة تهيئ لهما القدرة الواقعية ليعيشا مع ابليس بادراك ووعي، وكانا من الطيب بدرجة لم يكن يتصورا ان أحداً يكذب كابليس مثلاً يكذب او يغش. ثم بعد ذلك انتقل الشيطان بالوسوسة إلىٰ ذريّة آدم وذلك بان يوسوس لهم من خلال ما أعطاهُ الله من القدرة على النفاذ إلىٰ مشاعر

---

١ ـ لقط المرجان في احكام الجان ـ السيوطى ص ٨٣.

الإنسان و خواطره و غرائزه، فبدأ يزيّن ويقبّح ويستغل غفلة الإنسان، فاستطاع ان يجعل من نفس الإنسان نفساً وسواسة قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾[١].

ولعلّنا نستشعر هذه الوساوس عندما تثير النفس فينا، حالتها الغرائـزيّة و الانفعاليّة كثيراً من الافكـار اللامـعقولة، والهـواجس والمشـاعر والاحـاسيس الطارئة الغريبة، ولقد اراد الله سبحانه و تعالىٰ ان ننتبه إلىٰ ان حالة الوسوسة حالة شيطانيّة، فانزل سورة كاملة اراد للإنسان ان ينفتح فيها علىٰ وعي هذا المخلوق الذي ينفذ للإنسان في موقع الفكر حتىٰ إذا تفاعلت الوسوسة في نفسه اندفع ليثير وسوسة أُخرىٰ وهكذا حتىٰ يتحول الإنسان إلىٰ مجموعة مـن الوسـاوس التـي تحاصر عقله وقلبه وشعوره وإحساسه ثم تنفذ إلىٰ عمله، وهذا هو أخطر اشكال الوسوسة وجاءت هذه السورة لتفتح وعي الإنسان على الوسواس الخنّاس ليحذر منه، فيستعيذ بالله الذي يملك القوّة كلها، إذا احسَّ بالضعف عن مقاومته له.

الوساوس العقائدية والفكرية:

لقد كانت الوساوس في بداية الدعوة الإسلاميّة عـقائدية، عـندما دخـل الناس في الإسلام وحسن اسلامهم حيث بدأ الشيطان ينفذ إليـهم ليثـير بـعض الافكار التي ربّما يحاول من خلالها أن يهزَّ هذا الاطمئنان العقائدي في نفوسهم وهذا مما ذكرته لنا السيرة المباركة «إن أُناساً من اصحاب رسـول الله ﷺ أتـوا رسول الله فقالوا لرسول الله: أرأيت شيئاً نجده في صدورنا من وسوسة الشيطان

١ ـ سورة ق، ١٦.

لئن يقع أحدنا من الثريّا أَحبُّ إليه من ان يتكلم بها فقال رسول الله ﷺ أقد وجدتم؟ قالوا: نعم قال: ذلك صريح الايمان. إنّ الشيطان يريد العبد فيما دون ذلك فإذا عصم العبد منه وقع فيما هنالك»[١].

أي ان بعض الافكار ترد إلىٰ اذهاننا، وربما كانت تتعلق بشكل سلبى بالله سبحانه بحيث نشعر بأن ايماننا الذي في نفوسنا يكاد أن يهتزّ و نشعر بالخوف من ذلك أنه لو يسقط أحدنا من الثريا إلىٰ الارض لكان أهون مما يحدث له فهل سقط ايماننا، أي هل ان هذه الحالة النفسيّة التي تصل بالانسان إلىٰ درجة لو أنّه سقط من الثريا إلىٰ الارض كان اهون عليه، حيث يريد ان يخرّب الصلاة والصوم و سائر العبادات، وينحرف به إلى المعاصي فإذا لم يستطع ان يسيطر عليه في عمله فإنّه ينفذ إلىٰ فكره ليثير فيه هذه الافكار والوساوس.

وفي واقع الناس قد تحدث خواطر لديهم وقد يسألون من خلق الإنسان؟ فيكون الجواب: الله سبحانه وتعالىٰ خلق الإنسان، ثم يسألون من خلق الله؟ بناءاً علىٰ هذه النظرية ولكن نجد ان السؤال الثاني خطأ لماذا؟ والسبب هوإنّما يُسأل عن خلقٍ لوكان الله سبحانه مخلوقاً كبقيّة المخلوقات التي لم تكن فوجدت من عدم، أي ان العدم كان سابقاً علىٰ وجودها، امّا الازلي الذي لا أمد له ولانهاية لوجوده فلايقال او يسأل عمن خلقه.

ولذا فقد سأل شخص أحد الائمة عليهم السلام فقال له متىٰ كانَ الله؟ فاجابه عليه السلام متىٰ لم يكن؟

---

١ ـ الندوة رقم ٨، محمد حسين فضل الله، ص ٨١.

فانّما يمكن ان تسأل عن زمن الكينونةِ والوجود بالنسبة للشيء الذي سبق وجوده العدم، أي كان معدوماً فوجد، اما الشيء الازلي الوجود فلايمكن ولا يصحّ أن نسأل من خلقه؟ ومن وجده؟

ومتىٰ وِجد؟ لأنَّ الوجود سرُّ ذاته، وهو حقيقة الوجود فلم يسبقه العدم البته، فكيف تكون حالة خلق وايجاد ولا عدم قبلها[١].

علاج الوسوسة:

ورد عن علي بن مهزيار انه قال: كتب رجل إلىٰ أبي جعفر عليه السلام يشكو إليه لمماً يخطر علىٰ باله، فأجابه في بعض كلامه: ان الله عزوجل إن شاء ثبّتك فلا يجعل لابليس عليك طريقاً، قد شكىٰ قوم إلى النبي صلى الله عليه وآله لمماً يعرض لهم لئن تهوى بهم الريح او يقطعّوا احبّ إليهم من ان يتكلّموا به فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله اتجدون ذلك؟ قالوا نعم، فقال: والذي نفسي بيده إن ذلك لصريح الايمان فإذا وجدتموه فقولوا: آمنا بالله ورسوله ولاحول ولاقوة إلّا بالله[٢].

هذا هو العلاج النفسي الذي يستخدم لهذه المشكلة، وذلك بتأكيد الايمان بالكلام حتىٰ يزول ما في النفوس من حالة الحيرة والقلق.هذا حال الإنسان الذي يشكو الوسواس في الجانب الفكري و العقائدي حتىٰ ان الشيطان يوسوس للبعض فيحاول ان يثير فيهم معاني الكفر وسوء الظن بالله بحيث انه يصلي واحساس الكفر يعيش داخل نفسه وهو مؤمن بل وعميق الايمان، ولذا نجدة

---

١ ـ الندوة رقم ٨، محمد حسين فضل الله ص ٨٢.

٢ ـ الكليني ـ الكافي ج ٢، ص ٤٢٥ ـ ح ٤.

يتألم الماً شديداً وكبيراً في هذا المجال، وعلاج ذلك هو:

ان يذكر الله سبحانه وأن يستعيذ به من الشيطان الرجيم حتىٰ يشعر بأن هذه الوسوسة لم تنطلق من قاعدة فكرية راسخة في داخله، بل انطلقت من حالة طارئة تطوف به طواف الخيال كما قال تعالىٰ: في وصف الحالة التي يمرُّ بـها المـتقون أحياناً ﴿...إِذَا مَسَّهُمْ طَـآئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا فإذا هُمْ مُّبْصِرُونَ﴾[1].

ونجد ان من الاداب الإسلاميّة ان على المصلي قبل ان يبدأ بصلاته ان يقول ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَـحْضُرُونِ﴾[2] ليحصّن نفسه من البداية، ويوحي إلىٰ نفسه أن الشيطان ربّما ينفذ إلىٰ صلاته فيثير فيها الكثير من الوساوس[3].

وقد ورد في الحديث عن الإمام الباقرعليه السلام «ان ابليس له خرطوم كخرطوم الكلب واضعه علىٰ قلب ابن آدم يذكّره الشهوات واللذات ويأتيه بالأماني ويأتيه بالوسوسة علىٰ قلبه و يشككه في ربّه، فإذا قال العبد: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، أعوذ بالله من أن يحضرون إن اللهَ هـو السـميع العـليم خـنس الخرطوم عن القلب» أي ابتعد عنه.

و (عن جميل بن درّاج عن أبي عبدالله‌عليه السلام قال: قلت له: إنه يقع في قـلبى أمرعظيم، فقال: قُلْ لا اله إلاّ الله، قال جميل: فكلّما وقع في قلبى شئ قلت: لا إله

---

١ ـ سورة الاعراف، ٢٠١.

٢ ـ سورة المؤمنون، ٩٧.

٣ ـ الندوة رقم ٨، محمد حسين فضل الله، ص ٨٣.

إلّا الله فيذهب عني)[١]

وعن الصادق عليه السلام قال «اتىٰ رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال يارسول الله لقيت من وسوسة صدري شدّة وانا رجل معيل مدين محوج» اى بمعنى انا اعيش مشكلة مادية، وتأتي هذه الوساوس لتعقّد الامر فقد اعترضُ علىٰ قضاء الله وقدره ورزقه «فقال له: كرر هذه الكلمات: «توكلت على الحيّ الذي لايموت والحمدلله الذي لم يتخذ ولداً و لم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا» فلم يلبث الرجل أن عاد إليه فقال: يارسول الله أذهبَ اللهُ عني وسوسة صدري وقضىٰ ديني و وسع رزقي».

هذا الاسلوب الكامل من محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله في علاج الوسوسة يرتكز علىٰ قاعدة نفسيّة مهمّة وهي ان كثيراً من الحالات السلبية التي تحدث للإنسان تعالج باسلوب إيماني، لأن الإنسان عندما يذكر الله سبحانه، وعند ما يستعيذ به من الشيطان الرجيم، وعندما يتوكل عليه ويستحضر قوّته يحصل لديه الاحساس في الثقة بالنفس من خلال الثقه بالله سبحانه، ويشعر بقوة المقاومة للشيطان في هذا المجال، و عند ذلك يفهم معنىٰ وحقيقة الوسوسة فيستطيع ان يعالجها بطريقة فكرية تزيل عنه ذلك كلّه.

وهناك علاج آخر وهو أن لايهرب الإنسان من هذه الأفكار التي تسقط عقيدته وتربك إيمانه، فليحاول الوسواس أن يحضر عقله وفكره ليفكّر فيها ويسأل عنها، لأنَّ الإنسان عندما يخاف من الفكرة يسقط، امّا إذا ملك الشجاعة

---

١ ـ الكليني ـ الكافي ج ٢، ص ٤٢٤ .

فراح يواجه المشكلة الفكرية وجهاً لوجه وبدأ يفكر فيها كمقدمة للخلاص منها خاصة وانها لاترتكز علىٰ اساس، فعند ذلك يكتشف أنها فكرة سطحية، واذا لم يستطع الوصول إلىٰ نتيجة في دحض الفكره فعليه ان يرجع إلى الذين يملكون الثقافة العقيديّة والفكريّة علىٰ هدي ما جاء به القرآن في قوله تعالىٰ ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١].

فلكي نحصّن عقيدتنا ونركّز خطوطنا الفكرية، علينا عندما تهجم الشبهات والاشكالات ان نواجهها بمسؤوليّة وشجاعة بأن نرفضها من خلال مانملك من فكر، او نعالجها من خلال الرجوع إلىٰ من يملك ذلك الفكر.

الوسوسة العملية:

تقدم الحديث عن الوسوسة العقائدية والفكرية والأن نتحدث عن الوسوسة العمليه، فهناك أناس يعيشون الوسوسة في الطهارة، بحيث أن أحدهم لايطمئن عندما يريد ان يطهّر أية نجاسة في بدنه او في ثيابه او في بيته لايطمئن لتطهيرها حتىٰ لو أفاض عليها الماء الكثير، فهو يبقىٰ في شك دائم أن الذي طهّره لم يطهر ابدا، وتمتد الوسوسة إلى الوضوء فنجد ان بعض الناس ممن يبدأ بالوضوء من الفجر حتىٰ طلوع الشمس و هو لم يطمئن بعد إلىٰ صحّة وضوئه، فإمّا ان تشرق الشمس عليه فتفوته الصلاة او يصلّي بِتيمّم.

ومن المفارقات ان البعض لديه وسوسة في الوضوء ولاوسوسة لديه في

---

١ ـ سورة النحل، ٤٣.

التيمم.وهناك من يوسوس في الصلاة بحيث يعيدها اكثر من مرّة، لانّه لا يطمئن إلىٰ صحّة صلاته. فقد يعتبر بعض الناس ان ذلك من علامات التقوىٰ، ويرىٰ فيمن يفعل ذلك مؤمناً يحافظ علىٰ تكليفه بالطريقة التي يحرز فيها اليقين، ولكن الواقع ان هذا ليس ديناً بل هو مرض لانّ الدين وضع لذلك حلولاً، كما لو أن أحداً شكَّ في نجاسة يده وزال الدم مثلاً فيكفي في هذه الحالة غسلة واحدة طبيعيّة في إسالة الماء لتطهر، حتىٰ ولو بالماء القليل.

خاصة وان بشرة الجلد مستوية ولاحفر فيها لا يصلها الماء فبمجرّد ان تضع عليها الماء يسيل فيطهّر الموضع المتنجس من دون أيّة شكوك او تردد او تعقيد.

وكذلك في الوضوء قال تعالىٰ: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾[١].

فلو قيل لاحد عندما يستيقظ من النوم ان يغسل وجهه كيف يغسله ؟ هل يجد إشكالاً في غسله أم انه امر طبيعي؟ كذلك الوضوء سواء في غسل الوجه او اليدين او الرجلين حتىٰ يمكن ان يتوضأ بشيء يسير من الماء.

وكذلك الصلاة نجد البعض انه يشك في صلاته ابتداء من القراءة حينما نطلب منه خارج الصلاة قراءة الفاتحة مثلاً نجده لايجد اشكالاً في قراءتها بل يقرؤها بطلاقة وفصاحة ولكنه نفس ذلك الشخص إذا صلىٰ تردد وتحيّر وشك.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام ان رجلاً حدّثه عن شخص مبتلىٰ بالوسوسة في الوضوء والصلاة فقال له الإمام عليه السلام: ان هذا الرجل يعبد الشيطان، فتعجب السائل، وقال له: كيف يعبد الشيطان، فقال الصادق عليه السلام اسأله من اين يأتيه

---

١ ـ سورة المائدة، ٦.

ذلك؟ فانه سيقول لك من الشيطان.

وعن عبدالله بن سنان قال: ذكرت لأبي عبداللهعليه السلام رجلاً مبتلىٰ بـالوضوء والصلاة وقلت: هو رجل عاقل، فقال ابوعبدالله، وأي عقل له وهو يطيع الشيطان؟ فقلت له، وكيف يطيع الشيطان؟

قال: سله هذا الذي يأتيه من أيّ شـيء هـو؟ فـإنّه يـقول لك مـن عـمل الشيطان[١].

إذن الحل الأوّل: هو ذكر الله وما علّمنا رسول اللهصلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرامعليهم السلام.

اما الحل الثاني: هو ان المبتلىٰ بالوسوسة او بكثرة الشك عليه ان لا يعتني بها أي يردّ على الشيطان إذا قال له: ان وضوءك غير صحيح فيجيبه كلا انه صحيح، واذا قال له ان صلاتك باطلة يردّ عليه بأنها غير باطلة... وهكذا.

فـ«عن زرارة وأبي بصير قالا له أي للامام الصادقعليه السلام: الرجل يشك كثيراً في صلاته حتىٰ لايدري كم صلّىٰ ولا ما بقي عليه؟ قال: يعيد، قلنا له، فإنه يكثر عليه ذلك كلّما عاد الشك، قال يمضي في شكّه، ثم قال: لاتعوِّدوا الخـبيث مـن انفسكم بنقض الصلاة فتطمِّعوه. فإن الشيطان خبيث عتاد لما عُوِّد فليمض أحدكم في الوهم، ولا يكثرنَّ نقض الصلاة، فانه إذا فعل ذلك مرّات لم يعد إليه الشك، قال زرارة: ثم قال: إنما يريد الشيطان أن يطاع فإذا عصي لم يعد إلىٰ أحدكم»[٢]

هنا يكشف لنا هذا الحديث انه لاتعاد الصلاة لكـثرة الشك وعـلى الذي يشك إنّه لايعتني بشكّه، فإذا اعتنى به فإنَّ الشيطان سوف يسيطر عليه ويستحوذ

---

١ ـ الكافي ـ الكليني ـ ج ١٠، ص ١١ ـ باب عدم جواز الوسوسة في النّية والعبادة.
٢ ـ فروع الكافي: الكليني ـ ج ٣، ص ٣٥٨.

علىٰ احاسيسه ويبلبله ويعقّد عليه العبادة و يجعله انسان غير متوازن بل مضطرب.

كما ان هناك من يعيش الوسوسة الصحيّة، فالبعض منهم لايصافح الناس مخافة العدوىٰ، بل لا يعانقه ولايتكلّم معه لئلا تنتقل الجراثيم من خلال انفاسه ـ طبعه هكذا مع كل الناس وليس مع المرضىٰ وإلاّ مع المرضىٰ امر مشروع ومطلوب ـ فهو يعيش عزلة عن الناس، لايكلم أحداً ولا يزور أحداً ولا يسمح لاحدٍ ان يكلمه او يزوره.

وهناك نوع آخرمن الوسوسة الاجتماعية وهي الشك بالناس وسوء الظن، فصاحب هذه الوسوسة غير مستعد ان يلتقي أيضاً بأحد فهو يحاول ان يحمل الكلام والفعل علىٰ عكسه او على الوجه او الجانب السلبي منه. وقد عالج الإمام عليعليه السلام ذلك بقوله: «ضع أمر أخيك علىٰ أحسنه ولا تظننَّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملا او محتملا».

فإذا دار الامر بين ان تحمله على الاسوأ او على الاحسن وكان هناك احتمال ١ ـ بالحمل على الاحسن فاحمله علىٰ ذلك، أي لاتحمل أخاك على الاسوأ حتىٰ يثبت لك ذلك، وهذا لا يمنع من الحذر فإن حملك إياه علىٰ الأحسن ينبغي إلاّ يتحول إلىٰ سذاجه، فينبغي دراسة الايجأبيات كما هي عليه دراسة السلبيات، فبعض الناس لا يرى إلاّ الجوانب المظلمة من الاشخاص، بينما نجد ان لكل انسان جوانب مشرق مضيئة واخرىٰ مظلمة، فكما ان علينا ان ننظر إلى الجانب المظلم علينا ان ننظر إلى الجانب المشرق هذا ما علّمنا السيد المسيحعليه السلام «كان سائراً مع بعض الحواريين فمرّوا بكلب ميت أنتنت جيفته، فقال الحواريون:

ما أشد نتن رائحته فقال عيسىٰﷺ ما أشد بياض اسنانه».

اراد عيسىٰﷺ ان يعلمهم درساً في النقد الموضوعي بأن لا ينظروا إلى الجانب السلبي فقط بل إلى الجانب إلّا يجابي أيضاً، ففي الناس الخيّر وفيهم الشرّير.[١]

حذار من الموسوسين:

علينا ان نكون يقضين واعين لما حولنا ولمن حولنا، فإن هناك شياطين من الانس كما ان هناك ابليس و شياطين من الجن فهناك من يعمل علىٰ وسوسة الناس في امورهم الحياتيه و علىٰ مختلف الاصعدة العلميّة والثقافيّة والدينيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والامنيّة والاخلاقيّة وهكذا..

هؤلاء هم الذين يحاولون ارباك المجتمع ويهزوا ثقته بعضه بالبعض الآخر، وان يخلقوا الفتن من خلال افقاد الناس ثقتهم بعضهم بالبعض الآخر.علينا ألّا نعيش الغفلة والاهمال عن واقع وسلوك هؤلاء وان نكرر قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ * مَلِكِ ٱلنَّاسِ * إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ * مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ * ٱلَّـذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ * مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَ ٱلنَّاسِ﴾[٢].

إذا انبسط الإنسان واستجاب لهذا العرض وَلانَ وما تباعد عن الإستجابة إذا ارتخي واقتنع ولو بدرجة من درجات القناعة، إذا تحقق هذا التململ أوهذا الإنبساط يكون بذلك قد استجاب وتحققت الرّتبة الاولىٰ عنده وانتقل في

١ ـ الندوة رقم ٨، محمد حسين فضل الله، ص ٨٨.

٢ ـ سورة الناس.

استجابته إلىٰ رتبة اخرىٰ اشد واكثر خطراً وهي الرتبة أو المرحلة الثانية.

المرحلة الثانية: (النزغ)

والنزغ لغةً الإغراء، نزغ: أي أغرىٰ وأفسد وحمل بعضهم علىٰ بعض، والنزغُ: الكلام الّذي يُغري بين النّاس، ونَزَغَ الشّيطان بينهم يَنْزَغُ، ويَنْزَغُ نَزْغاً أي أفسد ويفسد فساداً.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَـزْغٌ فَـاسْتَعِذْ بِـاللهِ إِنَّـهُ سَـمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١].

والنَزْغُ شبه الوخز والطّعن، طعنه بيد أو برمح[٢] وقد ذكر القرآن الكريم في العديد من الآيات المباركة هذه المرحلة، منها قوله تعالىٰ: ﴿... مِن بَعْدِ أَن نَّـزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِى...﴾[٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقُلْ لِّعِبَادِى يَقُولُوا ٱلَّتِي هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنْسَانَ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾[٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُو السَمِيعُ العَلِيمُ﴾[٥].

والنزغ حالة استفزاز الشّيطان للإنسان، قال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ

---

١ ـ سورة الأعراف، ٢٠٠.
٢ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ـ ج ١٤ ص ١٠٨.
٣ ـ سورة يوسف، ١٠٠.
٤ ـ سورة الأسراء، ٥٣.
٥ ـ سورة فصلت، ٣٦.

مِنْهُم بِصَوْتِكَ...﴾[١]

والنزغ أوله وسوسة وآخره مس أي الإصابة والإضرار بالبدن قال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[٢].

والقرآن الكريم لم يتحدث كثيراً عن خلق الشّيطان ولم يذكر سوىٰ مطلبين أو أمرين هما انّه كان من الجن وانّه خرج عن طاعة الله سبحانه ولكنه تحدث كثيراً عن افعاله وتأثيراته وطرقه وهذا هو المهم والمطلوب والّذي فيه الفائدة. نجدهُ أحياناً يوسوس وأحياناً يستفز واخرىٰ ينزغ ثم نراه يهجم بخيله ورجله أي رجاله وعساكره قال تعالىٰ: ﴿... وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ...﴾[٣]

ثم شاركهم في أموالهم وأولادهم ﴿... وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَوْلَادِ...﴾[٤]

اما كيفية مشاركته في اموال الناس واولادهم فهي ان يدعهم يأكلونها بالباطل يأخذونها من غير حلٍ ظلماً وغصباً وعدواناً، وكذلك يشاركهم في أولادهم ! ينشأون من تلك الأموال الباطلة يتغذون على السّحت وهو المال الحرام بل يتعدىٰ الامر قبل هذا، إبتداءاً من مهور أمهاتهم من صداق الازواج أمهاتهم اللاتى أتين بهم إلىٰ الحياة الدّنيا ومروراً بانعقاد النطفة من المال الحرام.

الشّيطان يستفز من يستطيع استفزازه، يمر بقوم جالسين فيصرخ بهم

---

١ ـ سورة الأسراء، ٦٤.
٢ ـ سورة ص، ٤١.
٣ ـ سورة الأسراء، ٦٤.
٤ ـ سورة الأسراء، ٦٤.

يستنهضهم إلىٰ ارتكاب المعاصي، يطلب منهم الخفّة والسّرعة، ويطلب منهم طاعته بهذه الطّريقة.

ينزغ البدن المثالي للإنسان، وليس البدن المادي يتحرك ويحرّكه في عالم المثال ويؤثر عليه شيئاً فشيئاً.

في هذه المرحلة خرج من الإسلوب المؤدّب ومن الطّلب اللطيف، حيث في المرحلة السّابقة، كان اسلوبه سلساً ليناً أمّا الآن أصبح يزجره وينغزه ويصرخ به وأُسلوبه هذا أشبه باسلوب بعض المربين مع الصّغار، في الوهلة الاولىٰ يطلب المربي من الصّغير شيئاً بطريقة هادئة، وإذا لم يستجب له كررها ثم بعد ذلك إذا أحسّ أنّه لا جدوىٰ من أُسلوبه هذا فماذا يفعل؟ يصرخ به، ينهره أو احياناً قد يضربه، كلّ ذلك يدعوه للتعجيل في تنفيذ الطّلب.

الاستعاذة

لذا ينبغي لنا إذا أصابنا النزغ أن نستعيذ بالله العظيم من الشّيطان الرّجيم قال تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَمِيعُ العَلِيمُ﴾[١].

فما معنىٰ الإستعاذة؟

الإستعاذة جاءت من العوذ والعياذ (بكسر العين) والمعاذ والإستعاذة طلب العوذ والتوكل علىٰ الله تعالىٰ والتوكل صدق العبودية لله تعالىٰ والإستعاذة بمعنىٰ

---

١ ـ سورة فصلت، ٣٦.

الإلتجاء أي فالتجيء بالله من نزغ الشّيطان انّه السّميع لمسألتك العليم بحالك[١] ويشترط في الإستعاذة أمران هما:

الأمر الأول: الفورية، أي عدم التباطؤ والتراخي، لأنّه بمجرد ان يتراخىٰ الإنسان من الإستعاذة سوف يُنسيه الشّيطان ما ارتكب من الذنوب وهكذا تتراكم عليه الخطايا والذنوب وبالتالي يصعب عليه التخلص منها.

الأمر الثاني: ان تكون الإستعاذة عملية وليست لفظية فقط، ينبغي أن تكون الإستعاذة قولاً و عملاً، فإذا كانت لفظاً مجرداً عن العمل، اللسان يتعوذ والقلب مصرٌّ على الذنب ومستمر في ارتكابه، معنىٰ ذلك ان تلك الإستعاذة لم تأخذ أثرها ولا فائدة عملية فيها ويكون المذنب باقياً علىٰ ذنبه مصراً و مزاولاً له.

لذا ينبغي اللجوء فوراً إلىٰ الله (إلى الحصن الحصين) والشّعور بعصمته من شر الشّيطان وان تكون الإستعاذة عملية حقيقية، ومن هنا يتجسد الذكر الحقيقي لله تعالىٰ ومن هنا جاءت الفاء في كلمة (فاستعذ) إشارة إلىٰ الفورية في الموقف في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ...﴾[٢].

فبعد الإنتهاء من حديثنا عن الإستعاذة، باختصار وسنفرد لها لأهميتها عنواناً خاصاً بها بعد الفراغ من مراحل تأثير الشيطان على النفس الانسانيه مباشرة. أمّا الآن نبدأ من حيث إنتهينا ونقول فأما إذا انبسط الإنسان لذلك النزغ ولذلك الإستفزاز واستجاب للشيطان، فمعنىٰ ذلك انّه قد تهيّأ أو انتقل إلىٰ مرحلة جديدة ألا وهي مرحلة الأمر واستلام وتلقي الأوامر من الشّيطان وهي كما يدور

---

١ ـ الميزان في تفسير القرآن (الطباطبائي) ج ١٧، ص ٣٩٢.

٢ ـ سورة فصلت، ٣٦.

البحث فيها في المرحلة التالية.

المرحلة الثالثة: مرحلة تتبع خطوات الشَيطان أو تلقي الاوامر الشيطانية:

وهذه المرحلة تتجسد أو تظهر في العديد من الآيات القرآنية الكريمة، منها قوله تعالىٰ: ﴿يَـاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَـانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَـانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنْكَرِ﴾[1].

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلشَّيْطَـانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ...﴾[2].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَأُمُـرَنَّهُمْ فَـلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْـعَـامِ وَلَأَمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللهِ﴾[3].

يصبح الإنسان في هذه المرحلة أمام الهاوية والهلاك حيث يمتثل لأوامر الشّيطان ومعنىٰ ذلك انّه يحتجب عن طاعة الله عزّوجلّ بل يعمل علىٰ معصية الله جلّ شأنه فيصبح مأموراً للشيطان، والشّيطان هو الآمر بالفحشاء والمنكر، ولكن لا يعني ذلك ان الإنسان الّذي بلغ به الشّيطان هذه الرّتبة يمتلكه القنوط واليأس وليس كلّ من حلّ في هذه المرحلة أصبح فريسة الشّيطان دائماً، وقد انقطع بـه الطّريق حيث لا عودة للحق والصواب والخير والمغفرة والفضل الواسع، قـال تعالىٰ: ﴿ٱلشَّيْطَـانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَٱللهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَٱللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

---

١ ـ سورة النور، ٢١.

٢ ـ سورة البقرة، ٢٦٨.

٣ ـ سورة النساء، ١١٩.

٤ ـ سورة البقرة، ٢٦٨.

إذن طريق العودة إلىٰ الله عزّوجلّ مفتوح، وإنّه تعالىٰ شأنـه وعـد عـباده الخاطئين مغفرة منه و فضلاً وهو الرّؤوف الرّحيم بعبادِهِ الّذين أضلهم الشّـيطان وأمرهم بالفحشاء والمنكر. أحياناً يكون الإنسان مأموراً للشيطان وتارة أخرىٰ نفس ذلك الإنسان المأمور للشيطان يتمرد عـلىٰ أوامـره ويـرفضها ويـعود إلىٰ الطّريق القويم المستقيم حيث يكون قريباً للصلاح والإصلاح أما إذا اسـتجاب للشيطان في تنفيذ أوامره وانقاد إليه ولم يرفض له أمراً ولم يرد له طلباً، في حينها سوف يتحول ذلك الإنسان ـ رجلاً كان أو إمرأة ـ إلىٰ صاحب مَلَكَة فتصبح نفسه نفساً امّارة بالسوء، وهذه أشد ابتلاءاً من المرحلة الّتي سبقتها.

المرحلة الرّابعة: مرحلة إطاعة الشّيطان وتنفيذ أوامره:

وهذه المرحلة أشد خطراً من الّتي سبقتها حـيث تكـون مـهمة الشّـيطان ناجحة، حيث نجد في هذه المرحلة ان نفس الإنسان أمّارة بالسوء، أي تكثر من إطاعة الشّيطان وتنفيذ أوامره الصّادرة إلىٰ ذلك البائس التائه المسكين قال تعالىٰ:

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَـا رَحِـمَ رَبِّـي إِنَّ رَبِّـى غَـفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١]

حيث أورد صاحب تفسير مجمع البيان[٢] قوله تعالىٰ: **﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾** أي كثرة الأمر بالسوء والشّهوة قدتدعو الإنسـان إلىٰ المـعصية والألف واللام للجنس فيكون المعنىٰ «ان كلّ النفوس كذلك» ويـجوز أن يكـون للـعهد

١ ـ سورة يوسف، ٥٣.

٢ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي، ج ٥ ص ٣٦٨.

فيكون المعنىٰ: ان نفسي بهذه الصّفة ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ أي إلاّ من رحمهُ الله تعالىٰ فَعَصمه بان لطف له فيكون (ما) بمعنىٰ مَنْ، أي ﴿إِلَّا مَن رَحِمَ رَبِّي﴾ كـقوله ﴿مَا طَابَ لَكُمْ﴾. و يجوز أن يكون معناه إلاّ مدة ما عصم ربّي، ومن قال انّه من كلام يوسف قال انّه أراد الدّعاء والمنازعة و الشّهوة ولم يرد العزم على المعصية، أي لا أُبرّي نفسي مما لا تعرىٰ منه طباع البشر وانما امتنعت عن الفـاحشة بـحول الله ولطفه وهدايته لا بنفسي، قال الحسن: انما قال وما أُبرِّيء نفسي لأنّه كره أن يكون قد زكّىٰ نفسه.

أمّا صاحب الميزان في تفسير القرآن[١] فيقول: ان يوسف الصّديق قد بادر إلىٰ نفي الحول و القوة عن نفسه ونسبه ما ظهر منه من عمل صالح أو صفة جميلة إلىٰ رحمة ربّه و تسوية نفسه بسائر النفوس الّتي هي بـحسب الطّـبع مـائلة إلىٰ الأهواء أمّارة بالسوء فقال: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ كقول شعيبعليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾[٢].

ومن هنا يظهر ان قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ يفيد فائدتين: ـ

أحداهما: تقييد إطلاق قوله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ يفيد أن اقتراف الحسنات الّذي هو برحمة من الله سبحانه وليس يقع عن إلجاء واجبار من جانبه تعالىٰ.

وثانيهما: الإشارة إلىٰ تجنبه الخيانة كان برحمة من ربّه.

---

١ ـ الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ج ١١ ص ١٩٨ـ١٩٧.

٢ ـ سورة هود، ٨٨.

وقد أورد جمع من المفسرين ان قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ من تمام كلام إمرأة العزيز.

وخلاصة ماتوصلت إليه المباحث الدّقيقة ان النفس الأمّارة بالسوء (أيّة نفس أمّارة بالسوء كانت) تمتلك جانبين أو طرفين: الأول إدراكي والثاني تنفيذي، قوة مدركة مخططة والثانية الأُخرىٰ منفذة و يحيط بهم من الأعلى الوهم والخيال ومن الأسفل الشّهوة والغضب حيث يكون الوهم والخيال في خدمة القوة الأمّارة بالسوء ولكن فقط في حدود التخطيط ولفائدة القوة الأمارة بالسوء ولصالحها، و الإنسان يدرك الأشياء في الخارج بقوة الخيال علىٰ قولين هما:

١ ـ الصّورة تأتي من الخارج وتدخل في ذهن الإنسان، فحين تغيب تلك الصّورة عن الخارج (حين تغمض عينيك مثلاً) تبقىٰ في الذهن تتصورها كما كانت عليه في الخارج.

٢ ـ إنّ الخيال بنفسه يخلق صورة، هذه الصّورة تحاكي الصّورة الموجودة في الخارج (وهذا هو الصّحيح) فالقوة الخيالية عملها أخذ صور الأشياء الموجودة في الخارج، والعقل دوره إدراك الأشياء الكلية أما الوهم فهو رابط بين المدرك العقلي وبين ما لدىٰ الإنسان من صور خيالية.

مثال توضيحي: الإنسان على النحو العام يدرك الرّحمة ما هي، والذات الّتي هي حقيقة مجردة كمفهوم يجب ان تقع علىٰ هذا المصداق الخارجي وهو الرّحمة، المكلف يجب عليه إحترام أبيه، الطّاعة لها معناً كلياً والأب مصداق موجود في الخارج، عمل الخيال انّه جعل صورة في الذهن، أما الوهم فدوره أن يربط هذه الصّورة العقلية بهذه الصّورة المتخيلة في الذهن فيقول للمكلف (الّذي

يجب ان تحترمه هو هذا الشّخص المتمثل كونه الأب).

إذن الوهم: هونفس القوة العقلية المدركة للكليات كالمفاهيم في الذهن بشكل مجرد أي عقل منزّه، وبتعبير الدّاماد (الوهم يساوي عقل ساقط) أي مفهوم كلي مجرد يدركه العقل، وهذا الوهم يقول لصاحبه أسقطني أوقعني علىٰ هذا المصداق الّذي هو في الخارج عبر الحواس.

النفس الأمّارة بالسوء، نفس لا ينفعها العقل لأنّها تريد أن تجعل من العقل أسيراً لها، تريد ان تجعله مدبراً لها وفي خدمتها فتحاول أن تستفيد من قوة الوهم فقط، مثال علىٰ ذلك:

العقل يقول للنفس الأمّارة أنتِ يجب عليكِ محبة الوالدين تجيبه النفس الأمّارة بالقول: لاينبغي أن تكون المحبة للوالدين بل لشيء أو لشخص آخر، وتجعل الوهم دائماً في صالحها، والوهم ليس دائماً قوة شريرة محضة، وإنما له جانبان، أحياناً يدرك أشياء حقة وأحياناً يدرك أشياء باطلة، ولهذا يستفيد منه الشّارع المقدس، فلولم تكن لدىٰ الإنسان قوة واهمة (قوة الوهم) لما تمّ الأمر ولما تمّ النهي لأن الأوامر والنواهي كليّة فلا يمكن تشخيص مصاديقها في الخارج إلّا بها، ولكن احياناً تشتبه هذه القوة لدىٰ الإنسان مثالها: إنه لا يخافُ إلّا من العدو الفلاني أو الحيوان الفلاني.

إذن كل ما يمتلكه الحيوان هو القوة الوهمية تارة تدرك الحقّ وتارة اخرىٰ تشتبه، تارة تنسب الكليات إلىٰ مصاديقها الواقعية في الخارج وتارة تنسبها إلىٰ غير مصاديقها الواقعية في الخارج، دور الشّيطان هو أنّه يحرف القوة الواهمة ويجعلها تشتبه في المصاديق فيحوّل حب الإنسان من أبيه إلىٰ حبه لشيء آخر،

لإنسان آخر أو لحيوان لقطة أو لكلب أو لطير (كما هو سائد الآن ومنتشر في الغرب اذ يحبّون الحيوانات حباً جمّاً ويورثونها الملايين من عملاتهم النقدية).

فمساحة عمل الشّيطان المسموح له بها هو الوهم والخيال فقط.

دور الشّيطان هو أنّه يصور في خيال الإنسان صورة معيّنة من حيث لايشعر ذلك الإنسان (لأنَّ الشّيطان خلق ويعمل في طول خلق الإنسان وليس في عرضة ولايقاطعه) لذا لايشعر بوجوده، لايشعر بان مخلوقاً آخر يعيش معه وراء قوة الخيال، مختبيء وهو الذي اوجد له هذه الصورة وحث ودمعهم قوّة خيال الإنسان علىٰ ايجادها، تلك الصّورة الجميلة و الّتي ليس لها أساس في الواقع الخارجي، الإنسان يدرك شيئاً اسمه الحب، الشّيطان يقول له الّذي تحبه هو هذه، الصّورة، فيجد قلبه قد أحبّ تلك الصّورة الّتي رسمها الشّيطان له في مخيلته مع قوة الشّهوة لذا يجد شهوة تكون لهذه الصّورة، وشيئاً فشيئاً يفسد علىٰ الإنسان أمره، ويدخله في معاصي ومخالفات شرعية كثيرة، ومصدر كلّ هذه المخالفات دخول الشّيطان عن طريق قوتي الوهم والخيال وكلاهما إدراكيتان.

الوهم: مدرك للجزئيات.

والخيال: مدرك للصور المتخيلة فقط.

والشّيطان: ميدانه وساحة عمله هاتان النافذتان يدخل من خلالهما للإنسان.

وعندئذ نجد ان النفس الأمارة بالسوء لايعدو الجانب التفكيرى فيها الوهم والخيال اللذان يخططان لها ويعملان على التخطئة والتمويه علىٰ الإنسان بالتضليل من الشّيطان وبتدخل سافرمنه، إذ ينسب الكليات الّتي يدركها الإنسان

في مقام تجرده إلىٰ مصاديق هي ليست من مصاديقها لا شرعاً ولاعقلاً و لاعرفاً.

الشيطان يقوم بارباك المفاهيم الكلية كالحب والرّجاء والخوف والأمل والتقوىٰ والعاطفة و غيرها كثير في ذهن الإنسان يقوم بخلط مصاديقها في الخارج، حيث يستفيد من القوة الواهمة الّتي قد تشتبه، ويستفيد من قوة الخيال برسم صورة معينه يطلبها، فيطلب موافقة الوهم للصورة الّتي رسمها الخيال والإنسان، الإنسان بقي يتصور قصراً جميلاً، ألقىٰ الشّيطان حب ذلك القصر في قلب الإنسان وبقي ذلك القلب متعلقاً بذلك القصر، والمسألة ليس لها أصل ولا واقع، باقية في وعاء النفس كلها أوهام وخيال لا أساس لها من الصّحة والواقع احياناً يقول له انت أشجع النّاس و أجملهم وأشرفهم فينبغي على الجميع ان يحترموك ان يقوموا لك إجلالاً وتقديراً، وحينما يخرج إلىٰ المجتمع لايجد شيئاً من ذلك بل يعاملونه بشكل عادي وطبيعي، فيصطدم حيث لايجد لما جال في فكره أساس من الواقع، فأما يحقد على المجتمع ويبدأ يتحامل عليهم ويستخدم أساليب ملتوية و غيرمشروعة، أو يبدأ بالتشكيك بكل صغيرة وكبيرة ولا يطمئن إلىٰ النتائج وان كانت من المسلّمات والبديهيات، والأمثلة كثيرة في هذا الباب منها أولئك الذين يقدمون على الخطبة في الزّواج فلا يجدون إستجابة وكانوا يعتقدون بأنفسهم غيرالجاري في الأمر الواقعي أو الّذين يتصدون لمهام ومسؤوليات اجتماعية أو وظيفية أو سياسية، وهكذا استطاع الشّيطان أن يحرف العقل عن مساره بهذه الطّريقة الّتى تميل إليها النفوس، ولكنه استفاد من ميلها إلىٰ التلذذ فيها وإن كان في باب الوهم والخيال، حتّىٰ يدفع به إلىٰ إجراء ذلك الوهم والخيال على الواقع وإخراجه إلىٰ حيز التنفيذ في الحياة اليومية والعلمية، لذا تجد

مدعيات كبيرة جداً وضخمة تصدر من أفواه بعضهم مؤمنين معتقدين بها كأنها من السلّمات دون الإلتفات إلىٰ الأسس المنطقية والعقلانية الّتي تعتمدها أو ينبغي توفرها كلّ ذلك تحريفاً للعقل عن مساره الطّبيعي.

في هذه المرحلة يصبح الإنسان مأموراً للشيطان فيطمع به أكثر من المراحل الّتي سبقتها لأنّه ما أن نفّذ امراً له حتّىٰ طلب الثاني وما ان نّفذ الثاني حتّىٰ طلب الثالث وهكذا الأوامر تترىٰ الواحد تلو الآخر ولانفاد لها فينبغي التمرد عليه وعدم طاعته منذ الأمر الأول، لذلك ورد عن الإمام الصّادقعليه السلام أنّه قال: «لاتعوّدوا الخبيث من أنفسكم» أي لاتمكنوا الشّيطان من أنفسكم ولاتطيعوه ولاتستجيبوا له في تنفيذ أوامره.

أما إذا أصبح تنفيذ الأوامر ملكة وسجيّة لدىٰ النفس الإنسانية أصبحت تلك النفس أمّارة بالسوء، أي كثيراً ما تمتثل لأوامر الشّيطان فعندها ينتقل الإنسان إلىٰ المرحلة التالية وهي المرحلة الخامسة أو الرّتبة الأشد خطراً وضرراً.

المرحلة الخامسة: مرحلة التسلط و السّلطان

وهذه الرّتبة اشدفتكاً بالإنسان من الّتي سبقتها وأقرب إلىٰ الهلاك والإنصياع التام للشيطان قال تعالىٰ: ﴿فَإِذا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمَ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[1].

---

١ ـ سورة النحل، ٩٨ ـ ١٠٠.

والإستعاذة كما جرىٰ الحديث عنها طلب المعاذ، والمعنىٰ إذا قرأت القرآن فاطلب منه جلّ شأنه أن يعيذك من الشّيطان الرّجيم أن يغويك، أي توكل علىٰ الله تعالىٰ فإن المتوكل علىٰ الله ليس للشيطان سلطان عليه، حيث الإيمان والتوكل صدق العبودية لله تعالىٰ، كقوله تعالىٰ شأنه لابليس: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[١].

نفىٰ سلطانه عن عباده وقد بدّل العباد في هذه الآية في الّذين آمنوا وعلىٰ ربّهم يتوكلون، فإن التوكل هو إلقاء زمام التصرف في أمور نفسه إلىٰ غيره والتسليم لما يؤثره له منها أخص آثار العبودية وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ وردت ثلاثة ضمائر أفراد للشيطان في الكلمات (سلطانه، يتولونه، به) أي ينحصر سلطان الشّيطان في الّذين يتخذونه ولياً لهم يدبّر امورهم كما يريد، وهم يطيعونه، وفي الّذين يشركون به إذ يتخذونه ولياً من دون الله وربّاً مطاعاً غيره، فإن الطّاعة عبادة كما يشير إليه قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[٢].

وبالتالي سلطان الشّيطان علىٰ طائفتين هما:

المشركون والّذين يتولونه من الموحدين.

يصل الشّيطان وفي هذه المرحلة في هذه الرّتبة إلىٰ مقام وإلىٰ قدرة يكون له فيها سلطان علىٰ نفوس هؤلاء المساكين البائسين حيث انه يكون آمراً لهم

---

١ ـ سورة الحجر، ٤٢.

٢ ـ سورة يس، ٦٠ ـ ٦١.

متسلطاً عليهم، وفي المثالين التاليين إيضاح ذلك:

المثال الأول: نضربه للرتبة أوالمرحلة السّابقة في الأمر الشّيطاني (أي الرّتبة الرابعة) الإبن البالغ عشرون عاماً المطيعُ لله تعالىٰ ومن طاعته لله تعالىٰ طاعة الوالدين، لوفرضنا ان الأب قال لذلك

الإبن تزوج من فلانة، وامتثل الإبن لأبيه في هذا الأمر أو الطّلب وتزوج من هذه الفتاة، هل نستطيع ان نقول ان ذلك الإبن تزوج باختياره وبإرادته وبرغبته ولا ينافي انّه لاحظ في زواجه من فلانة أمر أبيه أم لانستطيع؟.

وبعبارة اخرىٰ هل ان الفعل بتمامه للإبن وأمرأبيه خارج عن دائرة الفعل أم لا؟الجواب يكون نعم لأنَّ الفعل فعله وان لاحظ امتثال أمر أبيه وذلك لأن الزّوجة لو فرضنا انها كانت غيرصالحة فأن العقلاء سوف يلومون الإبن (يعودون بالتأنيب لذلك الشّاب) ويقولون له لم تزوجتها؟لم اخترتها؟ ولا يملك الإبن رداً لهم بأنّي تزوجتها امتثالاً لأمر أبي، حيث يجيبونه بأن أباه أصدر أمراً أو طلباً فحسب ولم يكن مكرهاً أو قاهراً لذلك الإبن في تزويجه من فلانة.

المثال الثاني: نضربه لهذه المرحلة (المرحلة الخامسة)، مرحلة السّلطان ومثلها مثل الأب مع الولد الصّغير جداً، مع الإبن الصّغير جداً الأب يقوم بالباس الولد الصّغير ملابسه، لانّه لا يقوي علىٰ ان يرتديها بنفسه، ولو سألنا ذلك الإبن الصّغير: هل أن أباك ألبسك ملابسك؟ فيجيبنا نعم، ونسأله مرة أُخرىٰ: هل أنت ارتديت ملابسك بنفسك؟ فيجبنا: نعم.

وجواب كلا السؤالين صحيح، لماذا؟

لأن الجهة الغالبة للفعل علىٰ إلباس الإبن الصّغير الملابس يعود للأب،

وبنحو من الفعل وبنوع من النسبة يعود إلىٰ الإبن الصّغير في ارتداء ملابسه.

فالأب أوالأم يتدخلون في كل صغيرة وكبيرة تتعلق في شؤون الإبن الصّغير (سيما إذا كان رضيعاً) في مأكله وملبسه ومشربه ومنامه وكلّ شؤونه الأخرىٰ لا يقوىٰ على القيام بها بنفسه و أدائها بالشكل المطلوب، كذلك الشّيطان في هذه المرحلة فانه يدخل في كلّ مناحي حياته، و ان كان ينسب الفعل إلىٰ الإنسان بنحو من النسبة، ولكن المؤثر الحقيقي هو الشّيطان ودوره الرّيادي هو الأساس. ويصبح الإنسان خاضعاً منفذاً.

المرحلة السّادسة: بلوغ مرحلة ولاية الشّيطان

وتعتبر هذه المرحلة آخر المراحل ونهاية مطاف عمل الشّيطان مع الإنسان، إذ يستسلم الإنسان فيها إلىٰ الشّيطان ويدخل ولايته ويكون من أوليائه ومن جنده وحزبه وأزلامه، ولكن بالرغم منها ومن خطورتها يبقىٰ طريق العودة إلىٰ الله عزّوجلّ سالكاً لمن أراد الرّجوع إليه وتكفير ذنوبه مع الأخذ بنظر الإعتبار إنّ الرّجوع أو العودة إلىٰ الله ليست بالأمر الهيّن أو السّهل في هذه المرحلة بل يراد لها عزيمة وشكيمة وإرادة صلبة لإجتياز الحواجز وتحطيم السّدود وعبور الحدود الّتي صنعها له الشّيطان.

وقد أورد القرآن الكريم ذكر هذه المرحلة في العديد من الآيات المباركة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ...﴾[1].

---

١ ـ سورة آل‌عمران، ١٧٥.

وقال تعالىٰ: ﴿فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿... فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ...﴾[2].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[3]

وهناك العديد من الآيات الأخرىٰ تتحدث عن أولياء الشّيطان قال تعالىٰ: ﴿...إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾[4].

هذه هي رتبة الفناء الكامل في الشّيطان، فيكون نطقهم نطق شيطان، وفعلهم فعل شيطان، وسمعهم سمع شيطان ونظرهم نظر شيطان وهكذا... كلّ سلوكهم يكون شيطانياً حيث وصل الشّيطان في هذه المرحلة إلىٰ رتبة الولاية الكاملة علىٰ ذلك الإنسان، فيكون منقاداً إليه تماماً ولا يتردد عن تنفيذ أي فعل أو قول أو تفكير يطرحه بل يأمره الشّيطان، وخير من أوضح وبيّن هذه الرّتبة أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام حيث يقول: «اتخذوا الشّيطان ملاكاً، واتخذهم له اشراكاً فباض وفرّخ في صدورهم، ودبَّ ودرج في حجورهم، فنظر بأعينهم، ونطق بألسنتهم، فركب بهم الزّلل، وزين لهم الخطل، فعل من قد شركه الشّيطان في سلطانه ونطق بالباطل علىٰ لسانه»[5].

وسيأتي إيضاح ذلك في الفصل الآتي (الشّيطان كما ورد ذكره في نهج

١ ـ سورة النساء، ٧٦.
٢ ـ سورة النحل، ٦٣.
٣ ـ سورة النحل، ١٠٠.
٤ ـ آل عمران، ١٧٥.
٥ ـ نهج البلاغة ـ الدّكتور صبحي الصّالح، ص ٥٣ ـ دار الهجرة.

البلاغة) أو كما رد أميرالمؤمنين عليه السلام علىٰ ابن الكوى قائلاً له «لاتعد لمثلها إنما نفث علىٰ لسانك الشّيطان» والنفث هو أن يتكلم الشّيطان علىٰ لسان الإنسان المنقاد له كلياً، حيث لاحول له ولاطول، حيث نجد ان الشّيطان يخوّف أولياءه من وقوعهم في الفقر والفاقة وضيق الأمور، ويزّين لهم أعمالهم فيرونها صالحة نافعة، ويدعهم مطيعين مهطعين إليه في كلّ مايريد يضلهم ويصور لهم بإنهم مهتدون إلىٰ أقوم طريق وأهدىٰ سبيل وأفضل عاقبة وأحمد حياة سيحصلون عليها قال تعالىٰ: ﴿...إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1].

حيث تندك إرادتهم بإرادة الشّيطان، ولم تعد لهم أيّة إرادة منفصلة مستقلة عن إرادة الشّيطان، وحيث مكّنوه من أنفسهم أقصىٰ درجات التمكين، كرتبة أولياء الله سبحانه وتعالىٰ الّذين يصلون إلىٰ رتبة الفناء الكامل في الله عزّوجلّ، فهو ينطق علىٰ ألسنتهم وينظر بأعينهم ويسمع بآذانهم.

أيضاً أولياء الشّيطان يصلون إلىٰ رتبة الفناء الكامل به حتّىٰ ينطق علىٰ ألسنتهم ويبصربأعينهم ويسمع بآذانهم ويكون تفكيرهم وإرادتهم وإدراكهم تفكيره وإرادته وإدراكه قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

نحن نعلم ان الشّيطان لايشرب الخمر ولا يتعاطىٰ الميسر (القمار) ولايقوم بهذه الأعمال لانها ليست من سنخه وليست من جنسه ولكنها نسبت إليه واعتبرت من عمله. لانه يغري بها ويزينها للإنسان.

---

١ ـ الأعراف، ٣٠.

٢ ـ سورة المائدة، ٩٠.

وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾[١]، نفس العمل يُسميه من عمل الشّيطان وليس من عمل الإنسان وكذلك نحن أيضاً نسميه من عمل الشّيطان.

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾[٢].

حيث يكون قلب الإنسان محل لتكاثرالشّيطان وقلعة لتحركه ونشاطه، وان أفعال الإنسان الخبيثة تكثر وتزداد وفي تكثيرها تكثير لذرية الشّيطان، في هذه المرحلة كما يذهب بعضُ العلماء انه لا يرتجىٰ لذلك الوليّ (الإنسان) علاج حيث الفناء الكامل والإندكاك بالشيطان و يصبح ذلك الوليّ مظهراً من مظاهر الشّيطان منطقه وسمعه وبصره وتفكيره وإرادته وعمله كلّه يكون شيطانياً، فيكون نظره نظر ريبة وتلذذ وشك وحسد وحقد، ويكون كلامه خداع وتضليل و نفاق وكذب وغدر ومكر وافتراء وغيبة وبهتان، ويكون تفكيره خطط وتآمر لإيقاع الآخرين في فخاخه ولسراية الفتنة فيما بين النّاس، وتكون يده مُسخّرة للإعتداء والبطش والسّرقة والغيلة.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُوراً﴾[٣].

أي استفزز من استطعت ان تستنهضه من ذرية آدم، وهم الّذين يتولونه منهم

---

١ ـ سورة القصص، الآية ١٥ .

٢ ـ سورة الكهف، ٥٠ .

٣ ـ سورة الأسراء، ٦٤.

ويتبعونه بالوسوسة وقوله ﴿... وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ...﴾ أي وصح عليهم ونادهم لسوقهم إلىٰ معصية الله بأعوانك وجـندك وفـرسانهم ورجّـالتهم، وكأنـه إشارة إلىٰ أن قبيله وأعوانه منهم من يعمل ما يعمل بسرعة كما هوشأن الفرسان في ساحة الحرب، ومنهم من يُستعمل في غيرموارد الحملات السّـريعة كـالرجّـالة، فالخيل والرّجل كناية عن المسرعين في العمل والمبطئين فيه، و فيه تمثيل نحو عملهم، وقوله: ﴿... وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَلِ وَٱلْأَوْلادِ...﴾ الشّريك سهيماً لشريكه في الإنتفاع الّذي هوالغرض من اتخاذ المال والولد، فإن المال عين خارجي منفصل من الإنسان وكذلك الولد، ولولا غرض الإنتفاع لم يعتبر الإنسان ماليّة لمال ولا إختصاصاً بولد.

فمشاركة الشّيطان للإنسان في ماله أو ولده مساهمته له في الإخـتصاص والإنتفاع، كأن يحصل المال الّذي جعله الله رافعاً لحاجة الإنسان الطّبيعية من غير حلِّه فينتفع به الشيطان لغرضه، والإنسان لغرضه الطّبيعي.

أو يحصل عليه من طريق مشروع حلال لكنه يستعمله في غير طاعة الله فينتفعان (الشّيطان والإنسان) به معاً.

وتجد الإنسان صفر اليدين من رحمة الله إذ أنّه يـولد مـن غـير الطّـريق الطّبيعي الشّرعي الحلال ـ وإن كان من الناحية المادية وحسب الظّاهر إنه طبيعي ـ ثم بعد ذلك يربيه تربية منحرفة غير صالحة و يـؤدبه بـغير آداب الله عـزّوجلّ، فيجعل للشيطان سهماً ولنفسه سهماً وعن هذا كشف قوله تعالىٰ: ﴿... وَعِدْهُمْ وَمَا

﴿يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُوراً﴾[١] أي ما يعدهم الشّيطان إلّا وعداً غـارّاً بـإظهار الخطأ بصورة الصّواب والباطل علىٰ هيئة الحق.

وفي أمالي الصّدوق[٢] بإسناده عن الإمام جعفر بن محمد الصّادق عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَـلَمُوٓاْ أَنـفُسَهُمْ ذَكَـرُواْ ٱللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَـلَىٰ مَـا فَـعَلُواْ وَهُـمْ يَعْلَمُونَ﴾[٣].

صعد إبليس جبلاً بمكة يقال له ثوير فصرخ بأعلىٰ صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه فقالوا: يا سيدنا لم دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية فمن لها؟ فقام عفريت مـن الشّياطين فقال: أنا لها بكذا و كذا.

قال: لست لها، فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال: لست لها. فقال الوسـواس الخناس: أنا لها قال بماذا؟ قال: أعدهم وأمنّيهم حتّىٰ يواقعوا الخطيئة فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الإستغفار فقال: أنت لها فوكّله بها إلىٰ يوم القيامة[٤].

كما يرىٰ البعض ان مراحل االشيطان تبدأ بشكل معكوس أي انه يبدأ:

أولاً: يطلب منه الكفر بالله سبحانه وتعالىٰ يأتي للإنسان ويقول له أكفر بالله فالله وهم وغير موجود وانما هي الطبيعة او الدهر، فيردّ على الشيطان ويقول له: كيف أكفر بالله وفي كل شيء له آية تدل علىٰ أنّه واحد.

---

١ ـ سورة الأسراء، ٦٤.

٢ ـ الامالي ـ الصدوق

٣ ـ آل عمران، الآية ١٣٥ .

٤ ـ الميزان في تفسير القرآن ـ الطّباطبائي ج ٢٠ ص ٢٩٨.

ثانياً: يتنازل و يقول له إشرك بالله إن لم تكفر به، فيردّ عليه ويقول له، لايمكن لي ان اشرك بالله سبحانه و تعالىٰ فهو الواحد الاحد الفرد الصمد ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا...﴾[1] و ﴿إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[2].

ثالثاً: يتنازل أيضاً ويقول له اذاً اعمل الكبائر إذا كنت لا تكفر او تشرك، فيردّه أيضاً ويقول له كيف اعمل الكبائر فاكون من اصحاب النار.

رابعاً: انه يطمع به ولايغادره ويقول له اذاً اعمل الصغائر إذا صعب وشق عليك عمل الكبائر، فأيضاً يرد عليه ويقول له (لا تنظر إلىٰ صغر المعصية و لكن انظر إلىٰ من عصيت) فلا صغيرة مع الاصرار، اذ انها تتحول إلىٰ كبيرة.

خامساً: يقول له إذن ضيِّع وقتك واقتل وقتك بقضاء الساعات الطوال على الأمور الثانوية او التي لا اهميّة لها فيردّه ويسأله: ما هو العمر؟

وهل العمر إلىٰ اوقات بمعنىٰ ذلك ضيع عمرك وهل هناك أثمن من عمر الإنسان فهو رأس ماله فإذا هدره هدر كل شيء.

سادساً: يأتيه مرة اخرىٰ ولايغادره فيقول له اذاً اهتم بالامور الصغيرة واترك الامور الخطيرة الكبيرة لاهلها، فيرده المؤمن ويقول له: مابال العاقل ان اهتم بالامور التي لاتعود عليه بالنفع إلّا اليسير فهذا ليس من ديدنه وان يترك الامور المصيرية التي اول ما يسأل عنها يوم القيامة.

سابعاً واخيراً: إذا آيس الشيطان من ذلك المؤمن فانه سوف يحرّك عليه

---

١ ـ الأنبياء، ٢٢.

٢ ـ المؤمنون، ٩١.

الاخرين في جوّه ومحيطه ليحاربوه ويضيقوا عليه، ويكلموه بقساوه وبدون تفكر او تروى (فينفِّذ وينطق علىٰ لسانهم الشيطان) كي يحقق الشيطان ما اراد فيحرِّك ويسخِّر هؤلاء سيما من له سلطان عليهم او هم من اوليائه.

وكما ورد في نهج البلاغة حينما وصف اميرالمؤمنينعليه السلام المتقين فصعق (همّام) صعقة كانت نفسه فيها، فقال اميرالمؤمنينعليه السلام (اما والله لقد كنت اخافها عليه) ثم قال (هكذا تصنع المواعظ البالغة باهلها) فقال له قائل «فما بالك يا اميرالمؤمنين» فقالعليه السلام: «ويحك إن لكل اجل وقتاً لايعدوه و سبباً لايتجاوزه فمهلاً لاتعد لمثلها فانما نفث الشيطان علىٰ لسانك».

وهنا حينما اظهر الإمام عليعليه السلام خشيته علىٰ همّام من هذه المواعظ نفث الشيطان: أي نطق الشيطان علىٰ لسان أحدهم فقال: فما بالك لاتموت من انطواء سرك علىٰ هذه المواعظ البالغة؟

وهذا السؤال الوقح البارد[١] انما جاء من الشيطان الذي نطّق ذلك الشخص فردّهعليه السلام بان لكل نفس اجل وهذا الاجل لايخطوه ولا يتعداه.

---

١ ـ نهج البلاغة ـ محمد عبده ـ مؤسسة الأعلمي بيروت، ص ٤١٧.

٧) اتباع الهوى

من سبل الشّيطان اتباع الهوىٰ، فما معنىٰ الهوىٰ؟ وكيف يُتبع؟

الهوىٰ: لغة: (حب الشّيء) و (اشتهاؤه) من دون فرق في أن يكون المُعلَّق امراً حسناً ممدوحاً أو قبيحاً مذموماً، أو لأن النفس بمقتضىٰ الطّبيعة تميل إلىٰ الشّهوات الباطلة والاهواء النفسية لولا العقل و الشّرع اللذان يكبحانها[١].

واصطلاحاً: هو الرّأي الشّخصيّ المنفصل عن الشّارع المقدس والهوىٰ المنفصل عن التشريع يكون مطيّة للشيطان ويورد صاحبه الهلكة، وقد تحدثت عشرات الآيات عن ذلك منها:

قوله تعالىٰ: ﴿... أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوىَ أَنفُسُكُمْ اَسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾[٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ﴾[٣].

إذن يؤدّي الهوىٰ بصاحبه إلىٰ تكذيب الانبياء ونفيهم أو حتّىٰ قتلهم وتشريدهم، أو الخروج عن طريق الهدىٰ بسبب الجهل وبسبب عدم توظيف المحبة والميل إلىٰ الشّارع المقدس بدلاً من هوىٰ الضلالة والعماية قال تعالىٰ: ﴿إِن

---

١ ـ لسان العرب، ابن منظور، ج ١٥، ص ١٦٨ .

٢ ـ البقرة، ٧٨.

٣ ـ سورة المائدة، ٧٠.

يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ ٱللهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَٰنَا ٱللهُ كَالَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

ودائماً يؤدّي الهوىٰ بصاحبه إلىٰ الإنحراف والاعراض عن الله عزوجل باتخاذه طريقاً سلكه الشّيطان دون الصّراط المستقيم قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ ٱللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾[3]

وقال تعالىٰ: ﴿... وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[4].

ولقد وصف القرآن الكريم رسوله الكريم بأنّه لايتكلم عن هوىٰ نفسه، وعن ميله الشّخصي وانما حديثه وسلوكه وحياً من عند الله وامتثالاً لما اراده الله منه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[5].

ثم أن للإنسان مقاماً رفيعاً إذا تخلىٰ عن هوىٰ النفس وجعل هواه في طاعة الله سبحانه قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ

---

١ ـ سورة النجم، ٢٣ .

٢ ـ الانعام، ٧١.

٣ ـ النساء، ١٣٥ .

٤ ـ سورة ص، ٢٦ .

٥ ـ سورة النجم، ٣ ـ ٤ .

﴿ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[١].

وان التخلي عن التشريع وعن اتباع الانبياء عليهم الصّلاة والسّلام يؤدّي بالتالي إلىٰ التعلق بالدنيا الزّائفة واتباع الهوىٰ وتكون النتيجة سيئة للغاية قال تعالىٰ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث...﴾[٢].

كما أنّه لايصلح الّذي يتبع هواه أن يكون قائداً في المجتمع لانه سوف يُردي من يقودهم في الهاوية كما أردىٰ نفسه قال تعالىٰ: ﴿... وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[٣]

﴿... وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾[٤].

وهؤلاء المنحرفون يتخذون هواهم الهاً معبوداً مطاعاً من دون الله عزوجل فتكون عاقبتهم ومن تبعهم الويل والثبور قال تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾[٥].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً...﴾[٦].

---

١ ـ النازعات، ٤٠ ـ ٤١.
٢ ـ الأعراف، ١٧٥ ـ ١٧٦.
٣ ـ الكهف، ٢٨.
٤ ـ سورة القصص، ٥٠.
٥ ـ الفرقان، ٤٣.
٦ ـ سورة الجاثية، ٢٣.

والحق والعدل دائماً منفصلان عن هؤلاء الجهلة الّذين لم يـدركوا خـطر الطّريق الّذي سلكوه بوحي من الشّيطان وقد أضلوا الآخرين معهم وكانوا سبباً في انحرافهم قال تعالىٰ: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ...﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ أَهْوَآءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ...﴾[٣].

إذن البون شاسع ولايقاس المهتدي مع من اتبع هـوىٰ نـفسه أو غـوايـة الشّيطان وبالتالي يطبع علىٰ قلوبهم فلا يهتدون سبيلاً قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِن رَبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَاءَهُم﴾[٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَاءَهُمْ﴾[٥]

ولم تخل السّنة الشّريفة عن الحديث عن الهـوىٰ، فـقد ورد عـن الإمـام الباقر عليه السلام قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يقول الله عزوجل: وعزتي وجلالي وعـظمتي وكبريائي ونوري وعلوّي وارتفاع مكاني لايُؤْثر عبدٌ هواه علىٰ هواي إلّا شتّتُ عليه أمره ولبست عليه دنياه وشغلْتُ قلبه بها ولم أوته مـنها إلّا مـا قـدرت له، وعزتي وجلالي وعظمتي ونوري وعلوّي وارتفاع مكاني لايُؤثر عبد هواي علىٰ

١ ـ سورة المؤمنون، ٧١.
٢ ـ سورة الرّوم، ٢٩.
٣ ـ سورة الأنعام، ١١٩.
٤ ـ سورة محمد، ١٤.
٥ ـ سورة محمد، ١٦.

هواه إلّا استحفظته ملائكتي وكفلت السّماوات والارضين رزقه وكنت له من وراء تجارة كل تاجر وأتته الدّنيا وهي راغمة)[١] وقال اميرالمؤمنينعليه السلام (انما اخاف عليكم اثنتين: اتباع الهوىٰ وطول الامل، اما اتباع الهوىٰ فانه يَصدُّ عن الحق واما طول الامل فانه ينسي الآخرة)[٢].

إذن ينبغي للإنسان العاقل ان يؤثر هوىٰ الله ـ أي طاعة الله عزوجل ـ وحبه علىٰ هواه و يحكم ارادة الخالق في الاشياء وفي نفسه ومااراد وترك وإلّا فانه سيخسر نفسه وآخرته فضلاً عن دنياه، كما ان هوىٰ النفس يبعد الإنسان عن الحق ويدفعه إلى الباطل، كما ان الهوىٰ عدو لصاحبه فيجب ان يحذره كما يحذر الشيطان، وهذا العدو مخفي، امره امر صاحبه (الشّيطان) لذا يلزم الاهتمام بدفعه اكثر من العدو الخارجى قال الإمام الصّادقعليه السلام (احذروا اهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيء اعدىٰ للرجال من اتباع اهوائهم وحصائد السّنتهم)[٣].

وبالتالي فالشيطان يأتي للإنسان من زاويته الرّخوة، عن طريق الآمال والاحلام ان كان يتأثر بها أو الاموال أو الاولاد أو الجاه أو المقام الاجتماعي أو السّياسي أو الثقافي وحتّى العلمي أو عن طريق الفحشاء والمنكر وحب الشّهوات والهوىٰ وطول الامل وكل هذا يكون خفيفاً ليناً على الشّيطان إلا انه يكون ثقيلاً

---

١ ـ الأربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ص ١٦٦، عن أصول الكافي المجلد الثاني ـ كتاب الايمان والكفر ـ باب اتباع الهوىٰ، ج ٢ .

٢ ـ الأربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ص ١٦٢، عن أصول الكافي المجلد الثاني ـ كتاب الإيمان والكفر ـ باب اتباع الهوىٰ، ج ٣ .

٣ ـ الأربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ـ ص ١٦٦، عن أصول الكافي المجلد الثاني ـ كتاب الإيمان والكفر ـ باب اتباع الهوىٰ ج ١ .

وثقيلاً جداً عليه ذلك المؤمن الّذي لايتأثر ببهرجة الحياة وما تحتويه فيأتيه عن طريق العبادة والطّاعة والتهجد والرّكوع وطـول السّـجوديكون شـغله الشّـاغل ويُسخِّر كل جنوده من اجل ابعاده عن الحق أو استغراقه بالباطل، وبـمقدار مـا يكون ذلك المؤمن بمنزلة مؤثرة في المجتمع يكون تكريس الشّيطان عليه أشـد من قبيل العلماء والفقهاء والمتصدين في الميادين الاجتماعية والسّياسية والعلمية وغيرها كثير.

٨) براءة الشّيطان من اتباعه

ليس للشيطان أية سلطة على النّاس ولا يتمكن من إكراههم على المعاصي قال تعالىٰ: حاكياً عن تبري الشيطان من اوليائه يوم القيامة قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي...﴾[١].

أي ما كان لي عليكم في الحياة الدّنيا من تسلط من جهة أشخاصكم وأعيانكم فأجبركم علىٰ معصية الله بسلب اختياركم وتحميل إرادتي عليكم، ولا من جهة عقولكم فأقيم لكم الحجة على الشّرك كيفما شئت فتضطر عقولكم لقبوله وتطيعها نفوسكم فيما تأمرها به فبمجرد أن دعوتكم وبدون أي سلطان استجبتم لي.

ودعوة الشّيطان النّاس إلىٰ الشّرك والضلال والمعصية علىٰ درجات متفاوتة حسب استجابتهم وان كانت بإذن الله عزّوجلّ لكنها لم تكن تسلطاً ـ ينبغي أن نفهم هذه النقطة جيداً ـ فإن الدّعوة إلىٰ فعل شيء ليست تسلطاً من الدّاعي (وهو الشيطان) علىٰ فعل المدعو (وهو الإنسان) والدّليل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُوراً * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾[٢].

فإذا انبعث من المدعو ـ الإنسان ـ ميل نفساني إلىٰ الدّاعي ـ الشّيطان ـ

---

١ ـ سورة إبراهيم، ٢٢.

٢ ـ سورة الأسراء، ٦٤ ـ ٦٥.

فانقاد للدعوة ذلك الإنسان الضعيف وسلط الدّاعي بدعوته علىٰ نفسه لكنه تجلى تسليط من المدعو لاتسلط من الدّاعي.

وبعبارة اخرىٰ هي سلطة يملكها المدعو من نفسه فيُمَلِّكُها الدّاعي وليس الدّاعي يملكها عليه من نفسه حيث إنّ الإنسان يسلِّم بيده زمام انقياده للشيطان، وإبليس إنما ينفي التسلط الّذي يملكه من نفسه لا ما يسلطونه علىٰ أنفسهم بالانقياد بقرينه قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾[١].

إذن الإنسان مسؤول عن اعماله كاملاً وليس الشّيطان، وهذا التسلط الّذي يثبته الله سبحانه و تعالىٰ في قوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[٣].

حيث كشفت الآيات ان سلطانه متفرع من الإتباع والتولي لا العكس، ولانتفاء سلطانه عليهم بالمرة استنتج قوله بعد ﴿...فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوا أَنفُسَكُم...﴾[٤].

والفاء (... فلا...) للتفريع ـ أي إذا لم يكن لي عليكم سلطان ـ بوجه من الوجوه ـ كما يدل عليه وقوع النكرة في السّياق ـ أي في سياق النفي والتأكيد بـ(من) في قوله: ﴿... وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ...﴾[٥].

---

١ ـ سورة إبراهيم، ٢٢.
٢ ـ سورة النحل، ٩٩ ـ ١٠٠.
٣ ـ سورة الحجر، ٤٢.
٤ ـ سورة ابراهيم، ٢٢.
٥ ـ سورة ابراهيم، ٢٢.

فلايعود إليَّ شيء من اللوم العائد إليكم من جهة الشّرك والمعصية فلا يحق لكم أن تلوموني بل الواجب عليكم أن تلوموا أنفسكم لأن لكم السّلطان علىٰ اعمالكم، وقوله تعالىٰ: ﴿...مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ...﴾[1].

أي ما أنا بمغيثكم ومنجيكم وما أنتم بمغيثيي ومنجيي فلا أنا شافع لكم ولا أنتم شافعون لي اليوم وقوله تعالىٰ: ﴿...إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ...﴾[2]

أي إني تبرأت من شرككم إياي في الحياة الدّنيا والمراد بالإشراك، الإشراك في الطّاعة دون الإشراك في العبادة كما يظهر من قوله تعالىٰ لأهل الجمع يوم القيامة: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَـٰنَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ وَأَنِ اعْبُدُونِى هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[3].

وهذا الكلام منه تبري من شركهم كما حكى سبحانه وتعالىٰ تبري كلّ متبوع باطل من تابعه يوم القيامة وهو إظهار إن إشراكهم إياها بالله في الدّنيا لم يكن إلّا وهماً سرأبياً قال تعالىٰ: ﴿... وَيَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ...﴾[4].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾[5].

---

١ ـ سورة ابراهيم، ٢٢.
٢ ـ سورة ابراهيم، ٢٢.
٣ ـ سورة يس، ٦٠ ـ ٦١.
٤ ـ سورة فاطر، ١٤.
٥ ـ سورة البقرة، ١٦٧.

وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَـٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ * وَقِيلَ ٱدْعُوا شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾(١).

وقوله تعالىٰ: ﴿... إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٢).

لأنّهم ظالمون ظلماً لايرجع إلّا إلىٰ أنفسهم.

وظاهر السّياق في قوله تعالىٰ: ﴿... مَّآ أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ...﴾(٣).

كناية علىٰ انتفاء الرّابطة بين الشّيطان وبين اتباعه كما يشير القرآن الكريم في مواضع أخري كقوله تعالىٰ: ﴿... لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾(٤).

وقوله تعالىٰ: ﴿... فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾(٥).

إذن الرّابطة مقطوعة بيني وبينكم لا ينفعكم أني كنت متبوعكم ولا ينفعني أنكم كنتم أتباعي، إني تبرأتُ لأنّكم ظالمين لأنفسكم، والظّالمون لهم عذاب أليم.

فلا مسوّغ يومئذٍ للحماية والدّفاع عنهم أو التقرب منهم. وممّا يظهر ان تابعي إبليس يلومونه يوم القيامة علىٰ ما أصابهم من المصيبة علىٰ إتباعه متوقعين

---

١ ـ سورة القصص، ٦٣ ـ ٦٤.
٢ ـ سورة إبراهيم، ٢٢.
٣ ـ ابراهيم، الآية ٢٢.
٤ ـ الأنعام، الآية ٩٤.
٥ ـ يونس، الآية ٢٨.

منه ان يشاركهم في مصابهم بنحو من المشاركة، وهو يرد عليهم ذلك بأنّه لا رابطة بينه وبينهم، فلايحق ولا يلحق لومهم إلّا بأنفسهم وهم ظالمون، فهو قريب المعنىٰ من قوله تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلإنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّـى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّى أَخَافُ ٱللهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[1].

١ ـ سورة الحشر، الآية ١٦.

٩) مدى تسلط الشيطان على الإنسان

المسألة متعلقة بنفس الانسان إذا شاء سلطه علىٰ نفسه إلىٰ درجة الشرك و الكفر و يكون من اوليائه واذا شاء طرده و تَحصّن بالله سبحانه و تعالىٰ منذ الوهلة الاولىٰ وليس له أي لون من الوان التأثير إلّا الوسوسة فقط وهـذه الوسـوسة او العرض لاينجو منه أحد ابداً حتىٰ الانبياءعليهم السلام لأن هذا الامر من مستلزمات الحياة الدنيا و لا يمكن لدُنيا ان تقوم علىٰ أقدامها أو تستقيم إلّا بالشيطان قال تـعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَـٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[٢].

إذن الامر بيد الإنسان وقد حذّر سبحانه وتعالىٰ وأنذر من هذا العدو وقال ﴿إِنَّ الشَّيْطَـٰانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾[٣].

ثم عاتبه حتىٰ قال له: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَـٰنَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[٤].

وسنلتقي في الفصل الرابع موضوع (الإنسان مسؤول عن اعماله) ليكـون اكثر وضوحاً و بياناً.

---

١ ـ سورة الحجر، ٣٩ ـ ٤٣.

٢ ـ سورة النحل، ٩٨ ـ ١٠٠.

٣ ـ سورة فاطر: ٦.

٤ ـ سورة يس، ٦٠ ـ ٦١.

١٠) حث الشيطان لترك اقامة دولة الإسلام والرضا بحكم الكافرين

نحن نعلم ان الدين لم يكن إلّا رحمة للعالمين ولتنظيم شؤون الناس كافة قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[١] وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾[٢].

الإسلام دين الدولة:

ان الإسلام لم يتنزّل إلّا شاملاً لكل ماتحتاجه البشرية، في عباداتها ومعاملاتها، بيعاً وشراءاً وإجارة ومزارعة ووكالة ورهناً وزواجاً وطلاقاً واقامة للحدود والتعزير... حتىٰ أرش الخدش ولم يبق صغيرة و لاكبيرة إلّا وذكر فيها حكم قال تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[٣].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[٤].

لذا اشتهر عن الإسلام انه دين ودولة، وانه نظام متكامل لا يفتقر إلىٰ غيره... وليس هذا وارد عند ما يُسمّىٰ (بالاديان) الاخرىٰ، فلايمكن بداهةً ان يطالب هؤلاء باقامة دولة، كما يطالب بذلك المسلمون لعدم وجود مقوّمات ذلك عندهم

---

١ ـ سورة الأنبياء، الآية ١٠٧ .

٢ ـ سورة سبأ، الآية ٢٨ .

٣ ـ سورة الانعام، ٣٨ .

٤ ـ سورة القمر، الآية ٤٩ .

بالاصل. ومن هنا يظهر سخف وضعف من يقول إن الآخرين سيطالبون بدولة لهم إذا طالبتم انتم بدولة اسلاميّة فمن اين لهم هذا؟!

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الظَّالِمونَ﴾[2].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الفاسِقونَ﴾[3].

ويكفى لنا ان ننظر نظرة سريعة إلىٰ امهات المصادر الفقهيّة والرسائل العمليّة لفقهائنا رضوان الله عليهم، لنرىٰ عظيم التركة المباركة التي خلّفوها في الاحكام والقوانين.

والشيطان يوسوس لبعض الناس، ليفتنهم عن هذه الفريضه الالهيّة فيتساءلون او يعترضون مشككين في صلاحية الاحكام الإسلاميّة لاقامة دولة كأنهم لايعلمون ان الاسس واضحة والمبادئ جليّة، والاجتهاد قائم، والدين محفوظ والفرسان في الميدان[4].

فيجب العمل طوال العمر لاقامة حكم الله وتطبيع الشرع الحنيف وسيادة دولة الإسلام حيث لا أمن ولا استقرار علىٰ هذه المعمورة من دونها والواقع شاهد علىٰ ذلك.

فهو شرف وعز أن يكون العمل علىٰ طريق الانبياء والائمة الاطهار سيما

---

١ ـ سورة المائدة، الآية ٤٤.
٢ ـ سورة المائدة، الآية ٤٥.
٣ ـ سورة المائدة، الآية ٤٧.
٤ ـ وسوسة الشيطان الرجيم ـ السيد سامى خضرة ص ١٠٣.

بقية الله في الارضين و محققاً حلم الانبياء في ردّ وردع البدع وأهل الهوىٰ والرأي المخترع وإعادة المعطّلة من احكام الله سبحانه كما جاء في الدعاء المبارك (أين المدخرُ لتجديد الفرائض والسنن اين المتخيّرُ لاعادة الملّة والشريعة، اين المؤمَّل لاحياء الكتاب وحدوده، اين محيي معالم الدين واصوله)[١].

فيا للعجب كل العجب كيف يحق للآخرين المطالبة بالانظمة الوضعية علىٰ ضعفها وقصورها، ولا يحق لنا المطالبة بالانظمة الالهية فاين الحرية واين الاستقلال في الرأي واين الديمقراطية كما يزعمون؟

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[٢].

---

١ ـ إقبال الاعمال ـ السيد بن طاووس ص ٢٩٧

٢ ـ سورة العنكبوت، الآية ٤.

١١) حث الشيطان لترك اقامة الحدود الالهية

بعد ان تعطلت الاحكام الالهيّة في معظم البلدان الإسلاميّة، أصبحت هذه الأحكام كأنها اجنبيّة عن المسلمين وواقعهم، حتىٰ اصبحت عملية تعطيل الأحكام تعدل نبذ للعنف والإرهاب.

وتذرع بعض المنهزمين بقوانين (الحضارة) و(نبذ الصف) وهم بذلك ينالون من الإسلام وشريعته، فلا يمكن للاسلام أن يحقق اهدافه ويجني ثماره دون اقامه حدوده.

وعلىٰ اثر ذلك انتشر الفساد، وعمّت الفوضىٰ، وطغت الجريمة، وشاعت الفحشاء.. و اصبح النهي عن المنكر مستغرباً ومستهجناً بل يعتبر تدخلاً في حريات الآخرين وفضول لامبرر له حيث نجد و دون استهجان أحد بيع الخمور علناً، والحفلات الماجنه الحمراء يفتخر بها وهي أمارة للثقافة والحضارة والمعرفة، والمطربين يزعقون، والزناة لايخجلون، والمرتدين باقوالهم وافعالهم يعلنون ذلك دون خجل اكثر من هذا وذاك انهم يتحركون بحماية ورعاية القوانين السائدة. فكلها مرخّصة ومجازة و مباحة وتحت حماية الدولة.

كما ان عدم تطبيق الإسلام اصبح حرصاً علىٰ سمعة الإسلام، انظر كيف انقلبت المفاهيم، والشيطان يوسوس في ترك اقامة الحدود، في حين اننا نجد أن احكام الإسلام انما جاءت لحفظ مستقبل الانسانية و استتباب الامن وصيانه المجتمع من المجرمين والقتله وقطاع الطرق فـ(اقامه حدٍ من حدود الله، خير من

مطر أربعين ليلة في بلاد الله)[١].

لذا ينبغي تطبيق حدود الله والا صُبَّ العذاب علينا صَبّا (قال رسول الله ﷺ اذا كثر الزنا بعدي كثر موت الفجأة، واذا طفف المكيال أخذهم الله بالسنين والنقص، واذا منعوا الزكاة منعت الارض بركاتها من الزرع والثمار والمعادن، واذا جاروا في الحكم تعاونوا على الظلم والعدوان، واذا نقضوا العهود سلط الله عليهم عدوهم، واذا قطعوا الارحام جعلت الاموال في ايدى الاشرار، واذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولم يتبعوا الاخيار من أهل بيتي سلط الله عليهم اشرارهم فيدعوا عند ذلك خيارهم فلايستجاب لهم)[٢].

كل ماذكره الرسول ﷺ قد تحقق ولكن بما يقابل هذا نجد بحمد الله ان الحضور الإسلامي ازداد بشكل ملحوظ وازدادت معه المظاهر الإسلاميّة والالتزام بالدين، حيث رجوع المسلمين إلىٰ قرآنهم واصالتهم[٣] بل بدأت تتطلع الشعوب الإسلاميّة إلىٰ اقامة دول اسلامية علىٰ غرار ما حصل في الجمهورية الإسلاميّة الايرانية وارتبط العالم الإسلامي بمراجع الدين وعلماء الشريعة الغرّاء مما يزلزل عروش الطواغيت.

---

١ ـ ميزان الحكمة ـ الحديث ٣٤١٠، وعوالى اللآلى ج ٣ص ٥٤٩ح ١٦

٢ ـ تحف العقول ـ الحراني ص٤٢

٣ ـ وسوسة الشيطان الرجيم ـ السيد سامى خضرة ص ١١٠

١٢) الغاية من عرض القرآن لأساليب الشّيطان

لقد عرض القرآن الكريم أساليب ومراحل عمل الشّيطان مع الإنسان في كيفية وسوسته له و غوايته وتزيين أعماله المنحرفة ونسيانه لذنوبه ونزغه واستفزازه وغوايته وزللـه وإتباعه خطواته ومسه وغروره في الحياة الدّنيا وزينتها وأن يجعله من أتباعه وعبادته له من خلال طاعته في الأعمال و السّلوك السّيء المنحرف وكيف أنّه يسوّل له ويملي عليه ويستحوذ عليه ويكون قريناً له ويستهويه و يوحي إليه ويؤزهُ أزّاً ويهمز له ويقوده إلىٰ جهنم ويرديه، كلّ ذلك ذكرته الآيات المباركة من الذكر الحكيم في العديد منها تحثنا علىٰ أن نتحقق في مطالبها ونأخذ حذرنا من ذلك العدوالمبين قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[1]

وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[2]

والإغواء: هو الإلقاء في الغي، والغواية: هي الإضلال بوجه والهلاك والخيبة، والباء (فبما) للسببية أو المقابلة والمعنىٰ فبسبب إغوائك إياي أو في مقابلة إغوائك لي لأقعدن لهم أي لأجلسن لأجلهم علىٰ صراطك المستقيم وسبيلك السّوي الّذي يوصلهم إليك وينتهي بهم إلىٰ سعادتهم، لمّا ان الجميع

---

١ ـ سورة فاطر: ٦.

٢ ـ سورة الأعراف، ١٦ ـ ١٧.

سائرون إليك سالكون لا محالة مستقيم صراطك، فالقعود على الصّراط المستقيم كناية عن إلتزامه و ترصده لعابريه ليخرجهم منه، وقوله: (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم) بيان لما يصنعه بهم قاعد على الصّراط المستقيم وهو ان يأتيهم من كل جانب من جوانبهم الأربعة، وهي كناية علىٰ أنّه يأتيهم من كل سبيل ويستخدم كلّ ذريعة وحيلة من أجل صدهم وإبعادهم عن سواء السّبيل، وإلاّ فالشيطان لايقعد علىٰ تلك السّبل المنحرفة الاخرىٰ ولايصدهم عنها.

١ ـ المراد في قوله (من بين ايديهم) أي مستقبلهم من الحوادث أيام حياتهم مما يتعلق به من الآمال والاماني و من الامور الّتي تهواها النفوس وتستلذها الطّباع، ومما يكرهه الإنسان ويخاف نزوله كالفقر والفاقة والحرمان.

قال تعالىٰ: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُوراً﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ...﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾[٣].

يعدهم الشّيطان بامور واشياء لا اساس لها من الصّحة ولا واقع لها والإنسان يغتر به و يصدقه ويؤمن بان هذا صحيح ولكنه لايجد له أثر فيرىٰ نفسه مخدوعاً حيث يعيش احلام اليقظة ويبني قصوراً في الخيال مليئة بالخدم والحجّاب والجوارى والفوّارات والحدائق الغناء وكل وسائل العيش الرّغيد ثم

---

١ ـ سورة النساء، ١٢٠.

٢ ـ سورة آل‌عمران، ١٧٥.

٣ ـ سورة البقرة، ٢٦٨.

يبدأ يتصرف علىٰ غرار كونها حقائق، يتعامل معها وكأنها واقع و حقيقة، أو يصور له انه فريد زمانه ووحيد عصره ويحمل من المزايا والسّمات الّتي قَلَّ نظيرها أو مثلها في العالم لذا يجب على الجميع مهابته وتقديسه واحترامه، وحينما يبرز إلىٰ النّاس يجد خلاف ذلك ان النّاس لايعيرون له أهمية ولا يحترمونه بتلك الدّرجة أو المنزلة الّتي تصورها سلفاً فيصطدم، وهكذا يتصور أنّه جميل جداً أو شجاع جداً حتّىٰ يقدم علىٰ سلوك شاذ يضع نفسه موضع السّخرية من قبل الآخرين.

٢ ـ اما إذا وجد الشّيطان نفسه عاجزاً عن الدّخول علىٰ هذا الإنسان من الباب الأوّل (باب الآمال والاحلام) إذْ أنّه لايخدع بآمال واحلام وهمية وسراب لااساس له من الصّحة طرق عليه الباب الثاني وهو(.... ومن خلفهم....) والمراد من خلفهم الاولاد والاحفاد والاعقاب والاموال فالانسان فيمن يخلفه من الاولاد آمال واماني ومخاوف ومكاره فانه يخيل إليه انه يبقىٰ ببقائهم فيسره ما يسرهم ويسوؤه ما يسوؤهم فيجمع المال من حلاله وحرامه لاجلهم ويعد لهم ما استطاع من قوّة فيهلك نفسه في سبيل حياتهم فيجعله مستغرقاً في امواله واولاده إلىٰ ان يغادر الدنيا ولهم المهنأ وعليه الوزر كما يقول العلماء و لم يحقق الهدف الّذي من اجله خُلِقَ، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[١]

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِالَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً فَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِى

---

١ ـ الأنفال، ٢٨.

ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ﴾[١]

وقال تعالىٰ: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢]

و قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾[٣]

وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ...﴾[٤] أي ان بعضهم بهذه الصّفة، لأن من الازواج من يتمنىٰ موت الزّوج ومن الاولادمن يتمنىٰ موت الوالد ليرث ماله وما من عدو اعدىٰ ممن يتمنىٰ موت غيره ليأخذ ماله، وكذلك يكون من يحملك علىٰ معصية الله لمنفعة نفسه ولا عدو اشد ضرراً وعداوة ممن يختار ضررك لمنفعته، أي ان قوماً ارادوا طاعة الله فمنعوهم[٥].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٦]

أيّة محنة وابتلاء وشدة وتكليف وأثقال عليكم وشغل عن امر الآخرة من هذا؟! فإن الإنسان بسبب المال والولد يقع في الجرائم فقد وَرَدَ عن ابن مسعود أنه قال: لا يقولن أحدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة فانه ليس أحد منكم يرجع إلىٰ

---

١ ـ سبأ، ٣٧.
٢ ـ الممتحنة، ٣.
٣ ـ المنافقون، ٩.
٤ ـ التغابن، ١٤.
٥ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ـ الطبرسي ج ١٠ ص ٤٥٢.
٦ ـ التغابن، ١٥.

مال وأهل وولد إلّا وهو مشتمل علىٰ فتنة، ولكن ليقل الله اني اعوذ بك من مضلات الفتن، وروىٰ عبدالله بن بريده عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله ﷺ اليهما فاخذهما فوضعهما في حجره على المنبر وقال: صدق الله عزّوجلّ ﴿إِنَّمَا أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ نظرت إلىٰ هذين الصّبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتّىٰ قطعت حديثي ورفعتهما ثم اخذ في خطبته[1].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وخَيْرٌ أَمَلاً﴾[2]

الإنسان يتفاخربالمال و بالبنين ويتزين بهما في الدّنيا ولا ينتفع بهما في الآخرة، وانما سماهما زينة الحياة الدينا وكلاهما لايبقىٰ للإنسان فينتفع به في الآخرة، والاعمال الصّالحة هي الباقية الثابتة الّتي لاتزول، والباقيات الصّالحات (سبحان الله والحمدلله ولا اله إلّا الله والله واكبر) وقيل قيام الليل و صلاة الليل وعن جعفر بن محمد الصّادق عليهما السّلام قال للحصين بن عبد الرّحمن، يا حصين لا تستصغر مودتنا فإنها من الباقيات الصّالحات، وسميت بالباقيات الصّالحات لانها اصلح الاعمال من حيث امر بها ووعد الثواب عليها وتوعّد بالعقاب علىٰ تركها.

ثم بعد ذلك يفسدُ اخلاقه ويجعله حريصاً شحيحاً بخيلاً يخشىٰ الفقر ويسيئ الظّن بالله عزوجل، و كأنما سيخلد بخلود امواله ويبقىٰ ببقائها ويزول

١ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ـ الطبرسي ج ١٠ ص ٤٥٢.
٢ ـ الكهف، ٤٦.

بزوالها قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1]

وقد غاب عن ذهن هؤلاء ان الله عزوجل هو الّذي رزقهم الوجود كله كما خلقهم يتخيلون و يتصورون ان الاموال الّتي احرزوها وجمعوها جاءت نتيجة جهدهم وذكائهم منفصلة عن ارادة الله وقدرته عزوجل، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً﴾[2]

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[3]

الذين يمنعون ما اوجب الله عليهم من ادائه، أو يبخلون باظهار ما علموه ويأمرون غيرهم بذلك شحاً من عند انفسهم، ينتظرهم عذاب مهين وان الله هو الغني الحميد.

وقال تعالىٰ: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَـٰلَكُم﴾[4]

---

١ ـ آل‌عمران، ١٨٠.
٢ ـ النساء، ٣٧.
٣ ـ الحديد، ٢٤.
٤ ـ محمد، ٣٨.

وقال تعالىٰ: ﴿... وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[١].

بتلك الاموال الّتي كنزوها والّتي منعوا حق الله فيها باعيانها سوف تكوىٰ بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وانما خصّ هذه الاعضاء لانها معظم البدن وكان ابوذر الغفاري رضي الله عنه يقول: (بشّر الكانزين بكيّ في الجباه وكيّ في الجنوب وكيّ في الظّهور حتّىٰ يلتقي الحر في اجوافهم)، لأن داخلها جوف. وقيل خصّت هذه المواضع لأن الجبهة محل الوسم لظهورها والجنب محل الالم والظّهر محل الحدود، وقيل لأن الجبهة محل السّجود فلم تقم فيه بحقه، والجنب يقابل القلب الّذي لم يخلص في معتقده والظّهر محمل الاوزار، عن الماوردى قال يحملون اوزارهم علىٰ ظهورهم، وقيل لأن صاحب المال إذا رأىٰ الفقير قبض جبهته وزوىٰ عينيه وطوىٰ عنه كشحه وولاه ظهره عن أبي بكر الوراق[٢]. فيشقىٰ الإنسان من اجل جمعه وبالتالي لا يهنأ فيه ولا يسعد في الحياة الدّنيا ويكون عليه الوزر ولغيره المهنأ.

٣ ـ واذا عجز الشّيطان من الولوج عن طريق الاموال والاولاد الاعقاب طرق الباب الثالث (...وعن ايمانهم...) حيث يرىٰ نفسه لا يؤثر علىٰ ذلك الإنسان المؤمن من خلال الأحلام الوردية وبناء القصور في الخيال والآمال والخطط البعيدة الامد والكبيره للآفاق المستقبلية عبر عشرات السّنين، ولا يؤثر عليه من

---

١ ـ التوبة، ٣٤ ـ ٣٥.

٢ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ـ الطبرسي ـ م ٣ج ٥ ص ٤١.

خلال الشّهوات والنزوات، ولا يؤثر عليه من خلال الاموال والاولاد لانه مؤمن ملتزم واعى مسؤوليته الشّرعية، لا يسرق ولايزني و لا يرتكب الموبقات ولايغتصب الآخرين حقوقهم كيف يتعامل مع هكذا انسان؟ يأتيه عن طريق العبادات والطّاعات والقربات، ويجعله يغالي ويبالغ فيها كثيراً فيبدأ بالصلاة مثلاً يقول له صلِّ ليل نهار اكثر من صلاة النوافل، حتّىٰ يبلغ به الارهاق الشّديد بحجة انك ستصل إلىٰ مقام عالي لايصل إليه غيرك، ثم يقول له صم، أكْثِر من الصّيام حتّىٰ يجهده كثيراً، بعد ذلك يقول له ينبغي لك ان تحتاط في مسألة النجاسات و كلما احتطت في هذا الباب قُبِلَ عملك وكَثُرَ اجرك ويسير معه حتّىٰ يصور له كل شيء في الوجود نجس حتّىٰ تثبت طهارته بعكس القاعدة الفقهية (كل شيء لك طاهر حتّى تثبت نجاسته) حتّىٰ يحوّله إلىٰ انسان وسواسى مصاب بمرض اسمه الوسوسة وبشكل شيطاني بحت ثم يقول له لاتقارب زوجتك فإن المقاربة تضعف ايمانك وتجلب لك الخمل في طاعة الله وبالتالي يبدأ يبتعد قليلاً قليلاً عن واقع اهله ومجتمعه، يقول له لا تتحدّث مع النّاس فلربما يحصل الكذب أو تحصل الغيبة والنّميمة، لا تضحك ولاتبتسم لأن الضحك والابتسام يميت القلب وبموت القلب تدخل النّار وهكذا... يثقل عليه يوماً بعد آخر منتظراً منه ان ينقطع به الطّريق ولا يواصل سيره بل سيحصل لديه رد فعل وهو ما ينتظره الشيطان بفارغ الصّبر والتحمل وما يريده منه حيث يعلم ان النفس الإنسانية وخصوصاً هذا المستوىٰ من النّاس، إذا شوّقه إلىٰ العبادة بهذا القدر الكبير والشّديد سوف تحصل لديه حالة شديدة من النفور يوماً ما، وفعلاً سوف يجد ذلك الضّحية البائس نفسه وقد تحطم تماماً.

وقد أمرنا الشّارع المقدس بان لانتبع خطوات الشّيطان وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلاً طَيِّباً وَلَاتَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّـهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشاً كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٢]

وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنْكَرِ...﴾[٣].

فما المراد من اتباع خطوات الشّيطان؟

المراد من اتباع خطوات الشّيطان التعبّد لله بما لم يأذن به الله في التعبد، ان الله لم ينه الإنسان عن السّير في الطّريق الطّبيعى المستقيم ولكن نهاه عن السّير الّذي يضع فيه الإنسان قدمه موضع قدم الشّيطان فتنطبق مشيته معه فيكون متبعاً له، حيث يبتدع له ديناً آخر مشابهاً للدين الحقيقي ويخدعه به فيجعله تاركاً للطريق المستقيم وسالكاً الطّريق الزّائف الخادع المعوج.

فقد ورد في التهذيب عن عبدالرّحمن قال: سألت اباعبدالله الصّادق عليه السلام عن رجل حلف أن ينحر ولده قال: ذلك من خُطوات الشّيطان. وعن منصور بن حازم أيضاً قال: قال لي ابوعبدالله عليه السلام: اما سمعت بطارق إن طارقاً كان نخاساً بالمدينة

---

١ ـ سورة البقرة، الآية ٢٠٨.

٢ ـ سورة الانعام، ١٤٢.

٣ ـ سورة النور، ٢١.

فأتىٰ اباجعفر الباقر عليه السلام فقال ياباجعفر إني حلفتُ بالطّلاق والعتاق والنذر؟ فقال له: ياطارق هذا من خطوات الشّيطان. وفي الكافي عن الصّادق عليه السلام قال: إذا حلف الرّجل علىٰ شيء ـ والّذي حلف عليه إتيانه خير من تركه فليأت الّذي هو خيرٌ ولاكفارة له انما ذلك من خطوات الشّيطان[1] وعن عبدالله بن سنان قال: ذكرت لابي عبدالله الصادق عليه السلام رجلاً مُبتلي بالوضوء والصّلاة وقلتُ: هو رجلٌ عاقلٌ فقال ابوعبدالله عليه السلام: وأي عقل له وهو يطيع الشّيطان؟ فقلت له وكيف يطيع الشّيطان؟ فقال سله هذا الّذي يأتيه من أي شيء هو؟ فانه يقول لك: من عمل الشيطان[2].

الشّيطان يأتي للإنسان المؤمن عن طريق وضوئه فيقول له ان وضوءك فيه نقص أو خطأ هل توضأت أم لا؟ هل تركت جزءاً أم لا؟ هل اختلط الماء عليك أم لا؟ اعد الوضوء افضل و من الاحسن ان تعيده مرة اخرىٰ وهكذا وربما الماء مغصوب أو ان هذا الماء ليس بطاهر وهكذا يبلبل افكاره ويقول له إذن صلاتك باطلة وثيابك نجسة ووو.... وكذلك الحال في الاغسال كغسل الجنابة وغيرها من الاغسال، هناك جزء لم يصله الماء وجزء آخر عليه حاجب وهكذا....

ويأتيه في الصّلاة فيقول له صلاتك باطلة لأن المكان يشك في ملكيته واباحته أو نجس أو ان القبلة ليست هكذا أو ملابسك مشكوك في حليتها وطهارتها واباحتها، أو انك لم تنو في صلاتك أو لم تكبر أو كبرتَ ولكن تلفظك

---

١ ـ الميزان في تفسير القرآن ـ الطباطبائي ج ١ ص ٤٢١.
٢ ـ الاربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ص ٣٦٤عن اصول الكافي المجلد الأوّل ـ كتاب العقل والجهل ج. ١٠

كان خطأ أو يشككه في عدد الرّكعات والسّجدات والقراءة وصحتها حتّىٰ يبالغ في المد والادغام واخراج الحروف من مخارجها وهكذا التشهد والتسليم.

عن زرارة وأبي بصير قالا (قلنا له ـ أي لجعفرالصّادقعليه‌السلام الرّجل يشك كثيراً في صلاته حتّىٰ لايدرى كم صلىٰ ولا ما بقي عليه؟ قال يعيد قلنا له: فانه يكثر عليه ذلك، كلما اعاد شك قال يمضي في شكه ثم قال: لا تعودوا الخبيث من انفسكم بنقض الصّلاة فتطْمعوه فإن الشّيطان خبيث يعتاد لما عُوِّد، فليمض أحدكم في الوهم ولا يكثرن نقض الصّلاة فانه إذا فعل ذلك مرات لم يعد إليه الشّك، قال زرارة ثم قالعليه‌السلام: انما يريد الخبيث ان يطاع فإذا عُصى لم يعد إلىٰ أحدكم[1].

وعن الباقرعليه‌السلام قال: إذا كثر عليك السّهو فامض في صلاتك فانه يوشك ان يدعك إنما هو من الشّيطان[2].

وعن الإمام الصّادقعليه‌السلام قال: أتىٰ رجلٌ للنبيصلى‌الله‌عليه‌وآله فقال: يارسول الله اشكو إليك ما ألقىٰ من الوسوسة في صلاتي حتّىٰ لا ادري ما صليت من زيادة أو نقصان فقال: إذا دخلت في صلاتك فاطعن فخذك الايسر باصبعك المسبحة ثم قل (بسم الله وبالله توكلت علىٰ الله، اعوذ بالله السّميع العليم من الشيطان الرّجيم) فانك تنحره وتطرده[3]. وقد اوردت الرّسائل العملية في هذا المعنىٰ الشّيء الكثير منها:

مسألة ٨٤٩ـكثير الشّك لايعتني بشكه، سواء كان الشّك في عدد الركعات

---

١ ـ الاربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ص ٣٧١عن فروع الكافي المجلد الثالث، ص ٣٥٨ و ٣٥٥

٢ ـ الاربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ص ٣٧١عن فروع الكافي المجلد الثالثص ٣٥٨ و ٣٥٩

٣ ـ الاربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ص ٣٧٢، عن فروع الكافي المجلد الثالث، ص ٣٥٩

أم في الافعال أم في الشّرائط فيبني علىٰ عدمه كما لو شك بين الاربع والخمس أو شك في انه اتىٰ بركوع أو ركوعين مثلاً فإن البناء علىٰ وجود الاكثر مفسد فيبني علىٰ عدمه.

مسألة ٨٥٣ ـ لايجب عليه ضبط الصّلاة بالحصىٰ أو بالسبحة أوبالخاتم أو بغير ذلك.

مسألة ٨٥٤ ـ (لايجوز لكثير الشّك الاعتناء بشكه فإذا جاء بالمشكوك فيه بطلت)[١].

ليس هذا فحسب بل يشككه أيضاً في امامة الجماعة في شرائطها ويقول له لا تصلِّ خلف هذا لانه يشك في امره أو ربما ارتكب خطأ أو معصية يوماً ما أو انك لاتصلح لامامة الجماعة و لا تتصدي، البعض يبلغ درجة علمية عالية وعلىٰ شأن كبير من الايمان والتقوىٰ ولكنه لايتجرأ يوماً أن يكون اماماً للجماعة بزعم انها مسؤولية جسمية خطيرة ينبغي الافلات منها ويعتبر ذلك زهداً وورعاً... أو لا تصلِّ في الصّف الأوّل في صلاة الجماعة، او لاتتصدق لأن تصدقك معناه الرّياء والسّمعة و عملك باطل، أو لا تأمر بمعروف أو تنه عن منكر لأن ذلك معناه حب الظّهور والتسلّط، و هكذا لاتذهب إلىٰ الحج لأن هناك من يقول لك حاج فلان، لا تقم لصلاة الليل لانه يتعبك في النهار أو إذا سُئِلت أجبت بانك تصلي صلاة الليل وبهذا تنتظر السّمعة والرّياء، تصلي صلاة الليل حتّىٰ تقول اني اصلي صلاة الليل لا تصم لانك إذا صمت وسُئِلت قلت اني صائم وبذلك يكون رياء وسمعة، لاتطيل

١ ـ منهاج الصّالحين ـ السّيد ابوالقاسم الخوئی ـ العبادات، ج ١، ص ٢٢٨، ص ٢٢٩.

السّجود امام الآخرين في صلاة الجماعة لاتصلِّ النوافل امام انظار المصلّين في المسجد لا... لا... وكل ذلك بزعم الاخلاص والتقوىٰ والقرب إلىٰ الله عزوجل.

الرّياء

من اخطر ما يلج فيه الشّيطان (النيّة) في الاعمال حيث يعمد الإنسان المؤمن إلىٰ أي عمل صالح يريد تأديته فيلجه الشّيطان ويفسد عليه عمله، ويكون له شريكاً فيه وخير دليل علىٰ ذلك مرض الرّياء. عن جعفر الصّادقﷺ قال: كل رياء شرك، انه من عمل للناس كان ثوابهُ على النّاس ومن عمل لله كان ثوابه علىٰ الله[1].

والرياء: هو عبارة عن إظهار شيء من الاعمال الصّالحة أو الصّفات الحميدة أو العقائد الحقة الصّحيحة للناس لاجل الحصول علىٰ منزلة في قلوبهم والاشتهار بينهم بالصلاح والاستقامة والامانة والتدين، بدون نيه الهية صحيحة، او من أجل تحقيق مآرب دنيوية لاقيمة لها.

---

١ ـ الاربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ص ٤٤عن اصول الكافي المجلد الثاني ـ كتاب الايمان والكفر ـ باب الرّياء ح ٣

وهذا الامر يتحقق في عدة مقامات:

المقام الأوّل:

١ ـ ان يظهر العقائد الحقة والمعارف الالهية من اجل ان يشتهر بين النّاس بالديانة ومن اجل الحصول علىٰ منزلة في القلوب.

٢ ـ ان يبعد عن نفسه العقائد الباطلة، وينزه نفسه عنها لأجل الحصول على الجاه والمنزلة في القلوب سواء أكان ذلك بصراحة القول أو بالاشارة والكناية.

المقام الثاني:

١ ـ ان يظهر الخصال الحميدة والملكات الفاضلة و...

٢ ـ ان يتبرأ مما يقابلها وان يزكي نفسه للغاية نفسها الّتي اصبحت معلومة.

المقام الثالث:

وهو الرّياء المعروف عند الفقهاء الماضين رضوان الله عليهم. وله أيضاً نفس تلكما الدّرجتين.

١ ـ ان يأتي بالأعمال وبالعبادات الشّرعية، وأن يأتي بالامور الرّاجحة عقلاً بهدف مراءاة النّاس و جلب القلوب.

٢ ـ ان يترك عملاً محرماً أو مكروهاً بنفس الهدف المذكور. عن علي بن سالم قال سمعت اباعبدالله عليه السلام يقول: قال الله عزوجل في الحديث القدسي: (انا

خير شريك من اشرك معي غيري في عمل عمله لم اقبله إلا ما كان لي خالصاً)[١].

وعن جراح المدائني عن أبي عبداللهعليه السلام في قوله عزوجل ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَاً﴾[٢] قال عليه السلام: الرّجل يعمل شيئاً من الثواب لايطلب به وجه الله، انما يطلب تزكية النّاس يشتهي ان يسمع به النّاس فهذا الّذي اشرك به عبادة ربه.

ثم قال: ما من عبد أسرّ خيراً فذهبت الايام ابداً حتّىٰ يظهر الله له خيراً، وما من عبد اسر شرّاً فذهبت الايام ابدا حتّىٰ يظهر الله له شراً[٣].

وعن الصّادق عليه السلام قال: قال النّبي صلى الله عليه وآله: إن الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به فإذا صعد بحسناته يقول الله عزّوجل اجعلوها في سجين إنّه ليس اياى اراد بها[٤].

فينبغي للمؤمن الواعي أن يحذر ذلك العدو المبين في افساده لصالح اعماله وقرباته الّتي يراد بها كامل الاخلاص لله عزوجل فقد ورد في الحديث القدسي قوله تعالىٰ: «لا تسعني أرضي ولاسمائي، بل يسعني قلب عبدي المؤمن»[٥].

وبقدر ما يكون الإنسان ذا تأثير اجتماعي أو عقائدي يشتد اهتمام ابليس

---

١ ـ الاربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ص ٤٧عن اصول الكافي المجلد الثاني ـ كتاب الايمان والكفر ـ باب الرّياء ج. ٩

٢ ـ الاربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ص ٥٠ـ سورة الكهف آية ١١١.

٣ ـ الاربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ص ٥٠نقلاً عن اصول الكامل المجلدالثاني ـ باب الرّياء ج. ٤

٤ ـ الاربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ص ٥١نقلاً عن اصول الكافي المجلدالثاني ـ كتاب الايمان والكفر

٥ ـ الاربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ص ٥٤نقلاً عن احياء العلوم ـ المجلد الثالث.

وجنوده به حيث يلازمه بشدة ولايغادره و حينما يريد ان يخطو نحو مشروع اصلاحى كبير، أو نحو عمل ذى اثر اجتماعي مهم في توجيه النّاس وهدايتهم، ويأتيه من الجهة الّتي تؤثر عليه أو يحبها اكثر من غيرها فيغريه ويغويه بها، ويجعل جل اهتمامه وتركيزه عليها فلايغادره ولايبرح عنه حتّىٰ يزلَّ قدمه لذا نجدالكثير من العلماء أو الفضلاء أوالمتصدين يرتكبون اخطاء قاتلة لاينبغي لعاقل ان يقوم بهابعد ذلك التاريخ وتلك التجارب الثرّة الّتي خاضوها ازلّهم الشّيطان من بعد عناء وجهد جبار بذله حتّىٰ يقال عنهم انهم انحرفوا أو انهم مترفون أو كاذبون، وهكذا تجد العكس بالعكس مع المهملين أو المنحرفين اساساً انه لا يهتم بهم كثيراً بل أساساً فهم طوعه وسالكي سبيله إذن ينبغي الاخلاص في النية والعمل وأخذ الحيطة والحذر وقد ورد في الحديث القدسي (قلب المؤمن بين اصبعى الرّحمن يقلبه كيف يشاء)[١]. وان الله عزوجل خلق الاشياء كلها من اجل الإنسان وخلقه من اجله كما ورد في الحديث القدسي: (يا ابن آدم خلقت الاشياء لاجلك وخلقتك لاجلي)[٢]. وعن الرّضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (ماخلص عبدٌ لله عزوجل اربعين صباحاً إلا جرت ينأبيع الحكمة من قلبه علىٰ لسانه)[٣].

فينبغي للمؤمن ان يلتفت إلىٰ اخلاصه في النية وفي القول وفي العمل وإلّا

---

١ ـ الاربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ص ٥٥ نقلاً عن صحيح مسلم المجلد ١٨ ـ ص ٥١.

٢ ـ الاربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ص ٥٥ نقلاً عن المنهج القوى المجلد الخامس، ص ٥١٦.

٣ ـ الاربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ص ٦٠ عن بحارالانوار المجلد ٧٠ ص ٢٤٢.

ينطبق عليه ماورد عن النّبيﷺ قال: المرائى يُدعىٰ يوم القيامة باربعة اسماء يا فاجر يا كافر يا غادر يا خاسر، حبط عملك، وبطل اجرك، ولا خلاص لك اليوم، التمس اجرك ممن كنت تعمل له).

وعن اميرالمؤمنينعليه السلام قال: قال رسول اللهﷺ: (من تزيّن للناس بما يحب الله وبارز الله في السّر بما يكره الله لقي الله وهو عليه غضبان وله ماقت)[١].

وعن اميرالمؤمنينعليه السلام قال: (ثلاث علامات للمرائى ينشط إذا رأىٰ النّاس، ويكسل إذا كان وحده، ويحب ان يحمد في جميع اموره)[٢]. وقالعليه السلام اعملوا في غير رياء ولاسمعة فانه من يعمل لغير الله يكله الله إلىٰ من عمل له). اما ان تميل نفوس عامة النّاس بحسب الغريزة والفطرة إلىٰ ان تظهر خيراتها أمام النّاس، وإن لم يقصدوا ان يظهروها للسمعة والرياء ولكن نفوسهم مفطورة علىٰ هـذا المـيل، وهذا ليس موجباً لبطلان العمل أو الشّرك أو النفاق أو الكفر، وإن كان ذلك نقص بالنسبة للاولياء ومذموم لدىٰ البصير أو العارف بالله، في حديث محمد بن يعقوب باسناده عن أبي جعفرعليه السلام، قال (سألته عن الرّجل يعمل الشّيء من الخـير فـيراه انسان فيسره ذلك، قال لابأس، ما من أحد إلا وهو يحب ان يظهر له في النّاس الخير إذا لم يكن صَنَع ذلك لذلك)[٣].

---

١ ـ الاربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ص ٦٢عن وسائل الشّيعة المجلد الأوّل ـالباب الحادى عشرمن ابواب مقدمة العبادات ح ١٤ ص ٥٠.

٢ ـ الاربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ص ٦٣عن اصول الكافي ـ المجلد الثاني ـكتاب الايمان والكفر ـ باب الرّياء ح. ٨

٣ ـ الاربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ص ٦٥عن اصول الكافي المجلد الثاني ـكتاب الايمان والكفر باب في اصول الكفروأركانه ـ ح.

إذن نخلص بخمس حالات للتدخل الشّيطاني في نيّة الإنسان وفي عمله من اجل التخريب والابطال وهي:

الحالة الاولى: ـ

أن يكون عمل الإنسان ونيّته منذ البداية الرّياء والنفاق وهذا العمل باطل قطعاً.

الحالة الثانية: ـ

أن يكون العمل خالصاً والنية منذ البداية سليمة ولكن الشّيطان يدخل عليه في الاثناء فيفسد نيته ويحرفها والعمل لم يكتمل بعد ـ أي في وسط الطـريق ـ وهذا أيضاً مفسد للعمل ومبطل له.

الحالة الثالثة: ـ

ان النية والعمل صادقين مخلصين لله تعالىٰ منذ البدايـة وحـتّى الانـتهاء والفراغ، ثم يأتي بعد ذلك الشّيطان ويقول له ان عملك كذا وكذا يريد به الابطال هنا لايبطل العمل ولكنه من الأولىٰ عدم الانقياد للشيطان، ولابأس بأن يسر بأن يرىٰ الناس منه الخير. فما من أحد إلا وهو يحب ان يظهر له في النّـاس الخـير والذكر الحميد، إذا لم تكن الغاية منذ البداية لهذا الامر.

الحالة الرّابعة: ـ

نفس الحالة الثالثة ولكنه يستجيب للشيطان فيقول اني صليت صلاة الليل

أو بالامس انا كنت صائماً وهكذا لابقصد الرياء والسمعة... وهذا قبيح وان كان لا يبطل ما مضىٰ من العمل الصّالح، اما إذا كان هذا الذكر بقصد تشجيع الآخرين فلا مانع منه بل هو اولىٰ وافضل.

الحالة الخامسة:ـ

وهي ان لا يتأثر باقوال الآخرين ولا يدخل قلبُهُ شيء من السرور حتىٰ لو مدح وهي اعلى الدرجات.

وأحياناً تحصل حالة الوسوسة، حيث يأتي الشّيطان للمؤمن ويقول له ان عملك هذا باطل لأنّكَ مرائي تصلي كثيراً امام النّاس أو تتصدق أو تدعو إلى الخير أو تقول أُريد الحَج والعمرة والزّيارة والعبادة و قراءة القرآن واصلاح ذات البين وغير ذلك من العبادات والطّاعات، فينبغي الاقدام على العمل وعدم الالتفات إلىٰ هذه الوسوسة بل يصرّ عليها كثيراً، فإذا قال مثلاً لا تطل السّجود لانه رياء فينبغي اطالة السّجود واذا قال لا تصلي النوافل لانه رياء فينبغي الصّلاة وهكذا... يردّ على الشّيطان ويقول له ارغم انفك باطالة سجودي وبعبادتي وكثرة طاعتي لله عزّوجل.

٤ـ واذا عجز عن الدّخول من الابواب الثلاثة (... من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم...) يأتي من الباب الرّابع (... وعن شمائلهم...) ان يزين لهم الفحشاء والمنكر ويدعوهم إلىٰ ارتكاب المعاصي واقتراف الذنوب واتباع الاهواء ومن مظاهر ذلك الشّهوات والهوىٰ و الاستغراق في حب الدّنيا و متاعها و هنا يراد بالشمال خلاف اليمين، خلاف الالتزام و الانقياد للشارع المقدس، قال

تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[١]

فما هذا التزيين؟

ومن الذي زيّن للناس حب الشّهوات؟[٢]

هذا التزيين هوظهورالدّنيا للإنسان بزينة الاستقلال وجمال الغاية والمقصد لايستند إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ فإن الرّب العليم الحكيم امنع ساحة من ان يدبّر خلقه بتدبير لايبلغ به غايته الصّالحة وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾[٣]

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾[٤].

لذا نخلص بنتيجة هي ان الشّيطان هو الّذي زيّن للناس حب الشّهوات وخدعهم بها قال تعالىٰ: ﴿زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٥]

وقال تعالىٰ: ﴿زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾[٦]

الشّيطان جعلهم ينكبّون علىٰ حب الدّنيا وعلىٰ حب هذه المشتهيات وانقطعوا إليها عن مايهمهم من امر الآخرة وقد اشتبه عليهم الامر فإن ذلك متاع

---

١ ـ آل‌عمران، ١٤ .

٢ ـ الميزان في تفسير القرآن ـ الطّباطبائي ج ٣ص ٩٦ .

٣ ـ الطلاق، ٣ .

٤ ـ يوسف، ٢١ .

٥ ـ الانعام، ٤٣ .

٦ ـ الانفال، ٤٨ .

الحياة الدّنيا ليس لها إلّا انها مقدمة لنيل ما عند الله من حسن المآب مع انهم غير مبدعين في هذا الحب والاشتهاء ولامبتكرين بل مسخرون بالتسخير الالهي بتعزيز اصل هذا الحب فيهم لتتم لهم الحياة الدّنيوية الحياة الزّائلة، فلولاذلك لا يستقم امرالبشرية بحسب تقدير الجليل تعالىٰ شأنه قال تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[1].

إلّا ان هؤلاء اخلدوا إليهاولم يتخذوها وسيلة إلىٰ الدّار الآخرة ويأخذوا من متاع هذه الدّنيا بغض النظر أو عدم الالتفات إلىٰ زخرفها وزينتها بعين الاستقلال وينسوا بها ماوراءها، ويأخذوا الطّريق مكان الهدف أو المقصد في حين انهم سائرون إلىٰ ربهم قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً * وَإِنَّا لَجَـٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾[2].

معناه وانا مخربون الارض بعد عمارتها وجاعلون ما عليها مستوياً من الأرض يابساً لانبات فيه وقيل بلاقع عن مجاهد[3].

ان هؤلاء المغفلين أخذوا هذه الوسائل الظّاهرة الّتي هي مقدمات وذرائع إلىٰ رضوان الله تعالىٰ اموراً مستقلة في نفسها، محبوبة لذاتها وزعموا انها تغني عنهم من الله شيئاً فصارت نقمة عليهم بعد ان كانت نعمة، ووبالاً بعد أن كانت مثوبة ومقربة قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَـٱخْتَلَطَ بِـهِ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ ممّا يأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إذآ أَخَذَتِ ٱلأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ

---

١ ـ البقرة، ٣٦.
٢ ـ الكهف، ٧ ـ ٨.
٣ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ـ الطّبرسي ج ٦، ص ٦٩٥.

وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

إلىٰ ان قال تعالىٰ: ﴿... وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللهِ مَوْلَٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾[١].

تشير هذه الآيات إلىٰ امر الحياة الدّنيا وزينتها بيده تعالىٰ لا وليَّ لها دونه، لكن الإنسان باغتراره بظاهرها يظن ان امرها إليه وبيده، وانه قادر علىٰ تدبيرها وتنظيمها فيتخذ لنفسه فيها شركاء ـ كالشهوات و كالاصنام والاهواء، وما بمعناها من المال والولد وغيرهما، وان الله سيوقفه علىٰ زلته فيذهب هذه الزّينة ويزيل الرّوابط الّتي بينه وبين شركائه، وعند ذلك يضل عن الإنسان ما افتراه علىٰ الله من شريك في التأثير ويظهر له معنىٰ ماعمله في الدّنيا ورد إلىٰ الله ـ الّذي ولّاه ـ الحق.

إذن التزيين تزيّنان: تزيين للتوسل بالدنيا إلىٰ الآخرة واتباع وابتغاء مرضاته في مواقف الحياة المتنوعة بالاعمال المختلفة بالمال والجاه والولد والنفس، وهو سلوك الهي حسن نسبه الله تعالىٰ إلىٰ نفسه كما مر في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا...﴾ وكقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[٢]

وتزيين لجلب القلوب وايقافها على الزّينة والهائها عن ذكر الله وهو تصرف شيطاني مذموم، نسبه الله سبحانه إلىٰ الشّيطان، وحذر عباده عنه كقوله

---

١ ـ يونس، ٣٠.
٢ ـ الأعراف، ٣٢.

تعالىٰ: ﴿وَ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١] و قوله تعالىٰ فيما يحكيه من قول الشّيطان: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٢]

وقوله تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ﴾[٣]

إذن الاستغراق في حب الشّهوات يؤدّي إلى الخروج عن الطّريق القويم وإلى التهلكة مما يساعد الشّيطان في اضلال بني آدم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾[٤]

وقال تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾[٥]

عن النّبي ﷺ: تلا هذه الآية ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ فقال: يكون الخلف من بعد ستين سنة أضاعوا الصّلاة واتبعوا الشّهوات فسوف يلقون غيّاً، ثم يكون خلف يقرأون القرآن لايعدو تراقيهم، ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن ومنافق وفاجر[٦]. إذن الشّهوات إذا انفردت بصاحبها تؤدي به إلىٰ التهلكة والضياع.

١ ـ الانعام، ٤٣.
٢ ـ سورة الحجر، ٣٩.
٣ ـ التوبة، ٣٧.
٤ ـ النساء، ٢٧.
٥ ـ مريم، ٥٩.
٦ ـ الميزان الطباطبائي ج ١٤ص ٨٠

الفصل الرابع

الإنسان الكامل والشيطان

١ ـ آدم و الشيطان

٢ ـ الانبياء والشيطان

٣ ـ ملازمة الشيطان للإنسان

٤ ـ الإنسان مسؤول عن أعمال

٥ ـ الشيطان في الميدان الاجتماعي

٦ ـ بين الارتباط الواقعي والارتباط التجريدي

١ ـ آدم و الشّيطان

منذ السّاعة الاولىٰ الّتي خُلِقَ فيها آدمعليه السلام وواجه الحياة جاءه النداء من ربّ العزة محذراً ومنذراً ذلك المخلوق الّذي حَفَّ به ـ الشّيطان الرّجيم ـ والّذي أراد له كلّ كيد ومكر من دون أن يرتكب معه جرماً أو خطأ والتحذير ليس فقط لآدم بل لحواء أيضاً أي للجنس الإنساني، إنّ هذا المخلوق يريد أن يحرفكم عن الطّريق القويم يريد ان يخرجكم من الصّراط المستقيم فينبغي الحذر قال تعالىٰ: ﴿فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾[١]

وكأن المسيرة البشرية لاتتم إلّا علىٰ الأرض و إلّا به ـ بالشيطان ـ وبالأضداد تعرف الأشياء، يعرف الشّر بالخير والنهار بالليل والكرم بالبخل والجبن بالشجاعة وهكذا ثم ان الله عزّوجلّ خلق الجنس البشري للأرض للإختبار والإبتلاء والإمتحان ولم يخلقه ليبقىٰ بالجنة وبشكل مباشر كما ورد ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢]

---

١ ـ طه، ١١٧.

٢ ـ البقرة، ٣٠.

من هذه الآية المباركة نعرف إنّ البشرية مستقرها ومستودعها الأرض قال تعالىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[١]

ليعلم آدمﷺ وبني آدم إنّ الله جعل خليفته في الأرض وليس في الجنة بصريح الآية ﴿...إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾[٢]

وان بني آدم خلفوا آبائهم في إقامة الحقّ وعمارة الأرض[٣].

قد تثار شبهة وهي إنّ آدمﷺ بقي في الجنّة الّتي كان فيها لولم يكن هناك شيطان ولما أُخرج منها ولبقيت البشرية فيها خالدة ولما دخلوا النّار، ولما كانت نار.

وللإجابة علىٰ هذه الشّبهة نذكر قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِين ۞ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۞ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[٤].

من هذه الآيات المباركة وغيرها من الآيات نستطيع أن نصل إلىٰ حقيقة واقعة وهي إنّ الجنّة الّتي كان فيها آدمﷺ لم تكن جنّة الخلد الّتي وعد الله بها عباده الصّالحين وذلك للأسباب التالية:

---

١ ـ طه، ٥٥.
٢ ـ البقرة، ٣٠.
٣ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ـ الطبرسي ج ١ص ١٧٦و ١٧٧.
٤ ـ سورة البقرة، ٣٤ ـ ٣٦.

١ ـ إن جنّة الخلد ليس فيها تكليف وجنّة آدم عليه السلام كان فيها تكليف بـدليل قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾

٢ ـ إنّ جنّة الخلد ليس فيها طعام ممنوع من الأكل وجنّة آدم عليه السلام فيها طعام ممنوع من الأكل بدليل قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾.

٣ ـ ان جنّة الخلد لاتقع فيها معصية ولا يمكن لإنسان إنّ يعصي الله عزّوجلّ فيها في حين جنّة آدم عليه السلام تقع فيها معصية كما حصل بدليل قوله تعالىٰ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾

٤ ـ إنّ جنّة الخلد لايمكن إن يكون فيها الإنسان ظالماً لنفسه اولغيره أما جنّة آدم عليه السلام يمكن فيها أن يكون الإنسان ظالماً بدليل قوله تعالىٰ: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

٥ ـ ان جنّة الخلد لا فناء فيها ولاموت بل الإنسان يكون خالداً فيها ومن اسمها جنّة الخلد قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيراً﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَٰبِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2]

وقال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللهِ وَمَن يُطِعِ ٱللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي

---

١ ـ الفرقان: ١٥.
٢ ـ البقرة.

﴿مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[١]

وهناك العشرات من الآيات المباركة تشير إلىٰ هذا المعنىٰ في حين ان جنّة آدمعليه السلام لم تكن جنّة خلد وليس فيها خلود بدليل قوله تعالىٰ: ﴿مَانَهَـٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ﴾[٢].

هكذا خدع الشّيطانُ آدم وحواء بان قال لهما ان تكونا من الخالدين.

٦ ـ ان جنّة الخلد ليس فيها وسوسة أوانحراف أوشيطان أما جنّة آدمعليه السلام كان فيها وسوسة وكان فيها شيطان بدليل قوله تعالىٰ: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ...﴾[٣]

٧ ـ ان جنّة الخلد ليس فيها قسم بالله عزّوجلّ كاذب بل هي وعد الصّدق الّذي كانوا يوعدون قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ * فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[٤].

أي في مجلس حقّ لا لغو فيه ولاتأثيم ووصفه بالصدق لكونه رفيعاً مرضياً[٥].

في حين ان جنّة آدمعليه السلام كان فيها قسم بالله كاذب بدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾[٦]

١ ـ النساء، ١٣.
٢ ـ الاعراف، ٢٠.
٣ ـ الأعراف، ٢٠.
٤ ـ القمر، ٥٤ ـ ٥٥.
٥ ـ مجمع البيان ـ الطبرسي م ٥ج ٩ص٢٩٥
٦ ـ الأعراف، ٢١.

٨ ـ ان جنّة الخلد ليس فيها غرور ومعنىٰ الغرور هو الخداع والغش قال تعالىٰ: ﴿أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾(١)

في حين ان جنّة آدمعليه السلام كان فيها غرور قال تعالىٰ: ﴿فَدَلَّـٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾(٢)

٩ ـ ان جنّة الخلد ليس فيها نصب ولا عناء ولا آلام قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ * ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾(٣).

في حين ان جنّة آدمعليه السلام حصل فيها عناء ونصب قال تعالىٰ: ﴿...بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ...﴾(٤)

أي ظهرت لهما سوءاتهما وشرعا في ترقيع أوراق الشّجر حتّىٰ صار كهيأة الثوب لكل منهما في حين ان لباس أهل الجنّة السّندس والإستبرق والحرير قال تعالىٰ: ﴿وَجَزَٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾(٥)

وقال تعالىٰ: ﴿عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾(٦)

١٠ ـ ان جنّة الخلد ليس فيها أعداء لساكنيها بل إخواناً وأحباءاً قال تعالىٰ:

---

١ ـ الأحقاف، ١٦ .
٢ ـ الأعراف، ٢٢ .
٣ ـ الحجر، ٤٥ ـ ٤٨ .
٤ ـ الأعراف، ٢٢ .
٥ ـ الإنسان، ١٢ .
٦ ـ الإنسان، ٢١ .

﴿وَنَزَعْنا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾[١]

في حين ان جنة آدمعليه السلام كان فيها عدو وهو الشّيطان حيث قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٢]

١١ ـ ان جنة الخلد لايقع فيها ظلم إطلاقاً في حين ان جنّة آدمعليه السلام وقع فيها الظّلم فعلاً بدليل قوله تعالىٰ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا...﴾[٣].

١٢ ـ ان جنّة الخلد ليس فيها إخراج أو هبوط أو إنتقال منها إلىٰ ما هو دونها من حيث الرّفعة أو المتعة قال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٤]

في حين ان جنّة آدمعليه السلام فيها إخراج أو هبوط قال تـعالىٰ: ﴿قَـالَ ٱهْـبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ...﴾[٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[٦]

كما ورد في تفسير القمي عن أبيه رفعه قال: سئل الصّادقعليه السلام عن جنّة آدم أمن جنان الدّنيا كانت أم من جنان الآخرة؟ فقالعليه السلام: كانت من جنان الدّنيا تطلع فيها الشّمس والقمر ولو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها أبداً، وقالعليه السلام فلما

١ ـ الحجر، ٤٧ .
٢ ـ الأعراف، ٢٢ .
٣ ـ الأعراف، ٢٣ .
٤ ـ المائدة، ١١٩ .
٥ ـ سورة الأعراف، ٢٤.
٦ ـ البقرة، ٣٦ .

اسكنه الله الجنّة وأباحها له إلاّ الشّجرة، لانّه خلق خلقه لا يبقىٰ إلاّ بالأمر والنهي والغذاء واللباس والإكتنان والنكاح، ولا يدرك ما ينفعه مما يضره إلاّ بـالتوفيق فجاءه ابليس فقال له: إنكما ان اكلتما من هذه الشّجرة الّتي نهاكما الله عنها صرتما ملكين، و بقيتما في الجنّة أبداً وان لم تأكلا منها أخرجكما الله من الجنّة، وحلف لهما انّه لهما ناصح)[١].

أما مسألة الهبوط في قوله تعالىٰ: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[٢] يمكن الجزم ان تكون جنّة آدم كانت في السّماء وان لم تكن جنّة الآخرة التي هي جنّة الخلد و الّتي لا يخرج منها من دخل فيها وانّه تعالىٰ أبدل الظّلم فـي قـوله: ﴿...وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٣].

ابدله في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾[٤]

فالحياة الأرضية تغاير حياة الجنّة حيث ان حـقيقتها مـمتزجـة بـحقيقة الأرض ذات عناء وشقاء يلزمها ان يتكون الإنسان في الأرض ثم يعاد بالموت إليها ثم يخرج بالبعث منها.فأوضح إذن ان المراد بالشقاء هوالتعب الدّنيوي، الّذي تستتبعه هذه الحياة الأرضية من جوع وعطش وعراء وغير ذلك.

إذن وان كانت تلك الجنّة لها مزايا خاصة لكنها تبقىٰ انها ليست جنّة الخلد

---

١ ـ الميزان في تفسير القرآن ـ الطّباطباني، ج ١ ص ١٣٨.
٢ ـ البقرة، ٣٦.
٣ ـ البقرة: ٣٥.
٤ ـ طه، ١١٧ ـ ١١٨.

أو من جنان الآخرة.

كما يذهب بعض العلماء[١] إلىٰ ان جنة آدمعليه السلام هي جنّة ملكوتيّة سماوية للادلّة التالية:

١) لم يكن فيها تكبر ولامكان للمتكبرين قال تعالىٰ: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[٢].

فهي دار العزة والكرامة والخارج منها من الاذلاء.

٢) إنَّ جنّة آدم ليس فيها عداوه فكل ساكنيها يحب بعضهم بعض ولايبغض بعضهم البعض الآخر قال تعالىٰ: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ...﴾[٣]

٣) إنَّ هذه الجنّة فيها السعادة والخروج منها يكون فيه الانتقال إلى الشقاء قال تعالىٰ: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾[٤].

٤) إنَّ هذه الجنّة ليس فيها جوع ولاعطش ولاعري ولا حر ولا تقلبات للجو قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾[٥]، ولكن مع كل هذا لم تكن هي جنة الخلد ولم يخلق آدمعليه السلام للبقاء فيها.

---

١ ـ محاضرات الشيخ الدكتور محمد تقي پور.
٢ ـ سورة الاعراف، ١٢ ـ ١٣.
٣ ـ سورة الأعراف، ٢٤.
٤ ـ سورة طه، ١١٧.
٥ ـ سورة طه، ١١٨ ـ ١١٩.

٢ ـ الأنبياء و الشّيطان

هل يؤثر الشّيطان على الرّسل والأنبياء والمعصومين؟

أطلعنا سابقاً كيف يؤثر الشّيطان علىٰ الإنسان بنحومن التأثير، علىٰ الإنسان العادي فحسب، أما بخصوص الإنسان الكامل الّذي لاتصدر منه المعاصي والّذي هو في رتبته الوجودية أعلىٰ من رتبة الشّيطان، هل يتسلط عليه الشيطان بالإضلال؟

الجواب: الشّيطان وان امكن ان يمس الأنبياء في أجسامهم أو بتخريب أو إفساد ما يرجونه من نتائج أعمالهم في رواج الدّين واستقبال النّاس، أو تضعيف أعداء الدّين كما يدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّـهُ أَنِّـي مَسَّنِى ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[١]

مما أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيهُ محمدﷺ ان يصبر كما صبر ايوب؏.

حيث نادىٰ ربّه، وكلمةُ (ربّه) تشعر بأنّه يناديه لحاجته ولم يصرّح بما يريد ويسأله تواضعاً وتذللاً بان مسه الشّيطان ـ أي أصابه الضر كما ورد في سورة الأنبياء من ندائة ان مسني الضر وانت أرحم الرّاحمين بناءاً علىٰ شمول الضر في نفسه وأهله ولم يشر في هذه السّورة ولا في سورة الأنبياء إلىٰ ذهاب ماله وان وقع ذكر المال في الرّوايات[٢].

وقوله (بنصب وعذاب) أي بتعب ومكروه ومشقة وقيل بوسوسة فيقول له ـ

---

١ ـ سورة ص، ٤١ ـ ٤٢.

٢ ـ الميزان ـ الطباطبائي ج ١٧ص٢٠٨

طال مرضك و لا يرحمك ربّك، أو بأن يُذَكِّره ماكان فيه من نعم الله تعالىٰ من الأهل والولد والمال وكيف زال ذلك كله و حصل فيما هو فيه من البلية، طمعاً ان يزله بذلك ويجد طريقاً إلىٰ تضجره وتبرُّمه فوجده صابراً مسلِّماً لامر الله[١].

وقد ورد في الكشّاف قوله (لا يجوز ان يسلط الشّيطان علىٰ أنبيائه عليهم السلام ليقضي من تعذيبهم و اتعابهم وطره ولو قدر علىٰ ذلك لم يدع صالحاً إلّا وقد نكبه وأهلكه، وقد تكرر في القرآن انّه لا سلطان له إلّا الوسوسة فحسب).

وفيه ان الّذي يخص الأنبياء وأهل العصمة أنهم لمكان عصمتهم في أمن من تأثير الشّيطان في نفوسهم بالوسوسة وأما تأثيره في أبدانهم وسائر ما ينسب إليهم بايذاء أو اتعاب أو نحو ذلك من غير إضلال فلا دليل يدل علىٰ امتناعه، وقد حكىٰ الله سبحانه عن فتىٰ موسىٰ وهو يوشع النّبي عليه السلام[٢] ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾[٣]

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ أي ادفع برجلك الأرض ﴿هَـٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ وفي الكلام حذف أي فركض برجله فنبعت بركضته عين ماء وقيل نبعت عينان فاغتسل من أحدهما فبرئ وشرب من الاخرىٰ فروى عن قتادة والمغتسل الموضع الّذي يغتسل منه وقيل هو[٤] إسم للماء الّذي يغتسل به عن ابن قتيبة.

أمّا الجانب القصصي فقد وردت قصة ايوب عليه السلام في الرّوايات، ففي تفسير

---

١ ـ مجمع البيان ـ الطبرسي ج ٨ص ٧٤٥
٢ ـ الميزان ـ الطباطبائي ج ١٧ ص ٢٠٩.
٣ ـ الكهف، ٦٣.
٤ ـ مجمع البيان للطبرسى، ج ٨ ص ٧٤٥.

القمي قال حدثني أبي عن أبي فضال عن عبدالله ابن بحر عن ابن مسكان عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال سألته عن بلية أيوب الّتي أبتلي بها في الدّنيا لأي علّة كانت؟ قال: لنعمة أنعم الله عزّوجلّ عليه بها في الدّنيا وأدىٰ شكرها، وكان في ذلك الزّمان لايُحجب إبليس دون العرش فلما صعد ورآي شكر نعمة ايوب حسده إبليس فقال ياربّ إن ايوب لم يؤدّ إليك شكر هذه النعمة إلّا بما أعطيته من الدّنيا، و لو حرمته دنياه حتّىٰ تعلم أنّه لم يؤدّ إليك شكر نعمة أبداً فقيل له: قد سلطتك علىٰ ماله وولده قال: فانحدر إبليس فلم يبق له مالاً ولا ولداً إلّا أعطبه، فازداد أيوب شكراً وحمداً، فقال ياربّ سلطني علىٰ بدنه، فسلطه علىٰ بدنه ما خلا عقله وعينيه، فنفخ فيه إبليس فصار قرحة واحدة من قرنه إلىٰ قدمه فبقي في ذلك دهراً طويلاً يحمد الله ويشكره حتّىٰ وقع في بدنه الدّود... وحتّى أخرجوه من قريتهم، فأنزل الله عليه ملكاً فركض برجله فخرج الماء فغسله بذلك الماء فعاد أحسن ما كان واطرأ و أنبت الله عليه روضة خضراء ورد عليه أهله وماله و ولده وزرعه وقعد معه الملك يحدثه ويؤنسه[1].

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِى أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2]

وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾[3]

---

١ ـ الميزان في تفسير القرآن ـ الطّباطبائي ـ ١٦ص ٢١٢

٢ ـ الحج، ٥٢ .

٣ ـ الكهف، ٦٣ .

هذا وغيره من مس الشّيطان وتعرضه لا ينتج إلّا إيذاء النّبي وأمّا مسه في نفسه، فالأنبياء معصومون من ذلك.

كما ورد في صحيح مسلم عن ابن مسعود ان النّبيﷺ قال ما من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن، قالوا وإيّاکَ يارسول الله، قـال: وإيـاى إلّا ان الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير.

وإن موسىٰ؈ رأىٰ الشّيطان وعليه برنس فسأله عـن بُـرْنُسِهِ فـقال: بـه أصطاد قلوب بني آدم.

وفي مجالس ابن الشّيخ عن الرِّضا عن آبائه؈: ان إبليس كـان يأتـي الأنبياء من لدن آدم؈ إلىٰ ان بعث الله المسيح؈ يتحدث عندهم ويسألهم ولم يكن بأحد منهم أشدُّ أنساً منه بيحيىٰ بن زكريا فقال له يحيىٰ: ياأبامُرّة إن لي إليك حاجة فـقال أنت أعـظم قـدراً مـن أن أردّك بـمسألة فـاسألني مـاشئت فـإني غيرمخالفك في أمر تريده، فقال يحيىٰ: يا أبا مرّة أحب أن تعرض عليَّ مصائدك وفخوخك الّتي تصطاد بها بني آدم، فقال له إبليس: حباً وكرامة وواعده لغدٍ.

فلما أصبح يحيىٰ قعد في بيته ينتظر الموعد، فدخل عليه فإذا وجهه صورة وجه القرد، وجسده علىٰ صورة الخنزير، وإذا عيناه مشقوقتان طولاً وإذا أسنانه وفمه مشقوقات طولاً عظماً واحداً بلا ذقن ولا لحية، وله اربعة أيدٍ يدان في صدره ويدان في منكبه وإذا عراقيبه وقوادمه وأصابعه خلفه وعليه قباء وقد شد وسطه بمنطقة فيها خيوط معلقة بين أحمر وأصفر وأخـضر وجـميع الألوان، وإذا بـيده جرس عظيم وعلىٰ رأسه بيضة، وإذا في البيضة حديدة معلقة شبيهة بالكلّاب.

فلما تأمله يحيىٰ قال: ماهذه المنطقة الّتي في وسطك، فقال هذه المجوسية

أنا الّذي سننتها و زينتها لهم...

فقال له: فما هذا الجرس الّذي بيدك؟

قال: هذا مجمع كل لذّة من طنبور وبربط ومعزفة وطبل وناي وصرناي (جميع الآلآت الموسيقية) وإنّ القوم ليجلسون علىٰ شرابهم فلايستلذونهُ فأحرك الجرس فيما بينهم فإذا سمعوه استخف بهم الطّرب فمن بين من يرقص، ومن بين من يفرقع اصابعه ومن بين من يشق ثيابه...

فقال له يحيىٰ: ما هذه البيضة علىٰ رأسك؟

قال بها اتوقىٰ دعوة المؤمنين. قال: فما هذه الحديدة الّتي أرىٰ فيها؟ قال: بهذه أُقلّب قلوب الصالحين.

قال يحيىٰ: فهل ظفرتَ بي ساعة قط؟

قال: لا، ولكن فيك خصلة تعجبني. قال يحيىٰ: فما هي؟ قال: أنت رجل أكول، فإذا افطرتَ أكلت وبشمت فيمنعك ذلك من بعض صلاتك وقيامك بالليل.

قال يحيىٰ: فإني اعطي الله عهداً أن لا أشبع من الطّعام حتّىٰ ألقاه.

قال له إبليس: و أنا أعطي الله عهداً ان لا أنصح مسلماً حتّىٰ ألقاه، ثم خرج فما عاد إليه بعد ذلك[1]. اخرج سعيد بن منصور وابن أبي داود عن عروة بن رويم ان عيسىٰ ابن مريمﷺ دعا ربه ان يريه موضع الشيطان من بني آدم فجلي له، فإذا رأسه مثل الحيّة واضعاً رأسه علىٰ ثمرة القلب، فإذا ذكر العبد الله سبحانه خنس (أي غاب وتوارىٰ) يوسوس برأسه، واذا ترك الذكر منّاه وحدّثه، وان

---

١ ـ الميزان في تفسير القرآن ـ الطّباطبائي ج ٨ص ٦٥ـ٦٤

سكت عاد إليه، فهو الوسواس الخنّاس[١].

إذن للشيطان مع الانبياء والمرسلين والمعصومين حقّ العرض والدّعوة والوسوسة ليس إلّا أما مع سائر النّاس فإنّه يضلهم ويمنيهم ويستزلهم بذنوبهم قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ...﴾[٢].

استزلال الشّيطان لهم ببعض ماكسبوا ـ أي بسبب بعض ما اكتسبت نفوسهم وما عملوا، فإن السّيئات يهدي بعضها إلىٰ البعض الآخر ويتمم بعضها البعض الآخرفهي مجبولة ومبنيّة علىٰ متابعة هوىٰ النفس، وهوىٰ النفس للشيء هو ما يشاكله، فبسبب ما قدموا من الذّنوب والآثام تمكن الشّيطان من اغوائهم واستزلالهم حتىٰ لاذوا بالتولي والفرار من المعركة[٣] في حين ان هذا لا يحصل للرسل والأنبياء عليهم السلام لعصمتهم ولعدم ارتكابهم الذنوب والآثام كي يتمكن الشّيطان منهم فيغويهم.

إذن ان الانبياء جاءوا بالبيان الكافي، وقابلوا الامراض بالدواء الشافي وتوافقوا علىٰ منهاج لم يختلف، فأقبل الشيطان يخلط البيان شبها، وبالدواء سمّاً، وبالسبيل الواضح جْرداً مضلاً.

---

١ ـ لقط المرجان في احكام الجان ـ جلال الدين السيوطى ص / ٨٤ التعري الشيطاني ـ عدنان الطرشه ص ١٩

٢ ـ آل‌عمران، ١٥٥ .

٣ ـ الميزان في تفسير القرآن ـ الطّباطبائي ج ٤، ص ٥٠ ـ ٥١ .

ومازال يلعب بالعقول إلىٰ ان فرّق الناس مذاهب شتىٰ ومعتقدات غـريبة عن الفطرة والحضارة حتىٰ بعث الله سبحانه محمداًﷺ فـرفع المـقابح، وشـرّع المصالح. فسارمعه أهل البيتعليهم السلام واصحابه المنتجبين في ضوء نوره سالمين من العدو وغروره وكيده ومكره، فلما تقادم الزمن واختلفت الوجوه و تكالب القوم على الدنيا فاصبحوا حقاً عبيداً لها كما قال الإمام الحسينعليه السلام «إنَّ الناس عـبيد الدنيا و الدين لعق على السنتهم حوطونه مادرَّت معايشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون»[١].

اقبلت اغباش الظلمات، فعادت الاهواء تنشئ بدعاً وتضيق سبيلاً مـازال متسعاً ففرق الناسُ دينهم وكانوا شيعا، ونهض ابليس وجاء دوره يلبس ويزخرف ويفرّق ويؤلف، وانما يصح له التلصص في ليل الجهل، فلو طلع عليه صبح العلم افتضح.

ففي الصحيحين من حديث حُذيفه قال: كان الناس يسألون رسول اللهﷺ عن الخير وكنتُ اسأله عن الشر مَخافة أن يدركني.

وقد ورد عن ابن عباس (رض) انه قال: (والله ما أظن علىٰ أهل الارض اليوم أحد احب إلى الشيطان هلاكاً منّي فقيل وكيف؟ فقال: والله انه يحدث البدعة في مشرق او مغرب فيحملها الرجل اليَّ فإذا انتهت اليَّ اقمعتها بالسُنَّة فتردّ عليه كما اخرجها)[٢]

---

١ ـ تاريخ الامم والملوك ـ ابو جعفر الطبرى / تحف العقول ـ ابن شعبه الحرّاني / سيرة رسول الله وأهل بيته ـ مؤسسه البلاغ ج ٢ص٦١

٢ ـ تلبيس ابليس ـ ابن الجوزي البغدادي ص ١٧ .

٣ ـ ملازمة الشيطان للإنسان

نحن نعلم ان لكل انسان قرين من الجن، كماان له قرين من الملائكة يسدده فقد قال رسول الله ﷺ (ما منكم أحد إلاّ وكِّل به قرينه من الجن) قالوا واياك يارسول الله؟ قال (واياى إلاّ أن الله أعانني عليه فاسلم فلا يأمرني إلاّ بخير)[١].

وان مايدل علىٰ ملازمة الشيطان كائناً من كان: ذات مَرَّة ان صفيّة بنت حيي زوج النبي ﷺ وأمّ المؤمنين، زارت النبي ﷺ، وقد كان معتكفاً في المسجد، فخرج معها ليلاً ليردها إلىٰ منزلها فلقيه رجلان من الانصار، فلمّا رأيا النبي ﷺ اسرعا، فقال رسول الله ﷺ علىٰ رسلكما، انها صفيّة بنت حيي، فقالا سبحان الله يارسول الله، قال (ان الشيطان يجري من الإنسان مجرىٰ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءاً او قال: شيئا)[٢].

فكما ان للإنسان قرين سوء من الجن يضلُّه ويغويه كذلك له قرين خير يسدده ويهديه فقد قال رسول الله ﷺ « ما من أحد إلاّ وقد وُكِّل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة)[٣].

وقال أيضاً ﷺ «اذا اراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من نفسه: يأمره

---

١ ـ اخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار / التعري الشيطاني ـ عدنان الطرشه، ص ١٧.

٢ ـ متفق عليه واللفظ للنجاري في كتاب بدء الخلق باب صفه ابليس وجنوده عن كتاب التعري الشيطاني ـ عدنان الطرشه ص ١٨

٣ ـ اخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار / التعري الشيطاني ـ عدنان الطرشه، ص ٢٢٩.

وينهاه»[١] و في رواية (من قلبه) أي ناصحاً ومذكراً بالعواقب، فيأمره بالخيرات وينهاه عن المنكرات ويذكره بالعواقب فيقطع العلائق والاسباب الداعية إلىٰ موافقة النفس والشيطان ويصرف هواه إلىٰ ما ينفعه ويستعمله في تنفيذ مراد ربه ويفرغ باله لامر الآخرة فيقبل الله عليه برحمته ويفيض عليه من نعمته[٢].

---

١ ـ رواه الديلمي ـ في مسند الفردوس عن أم سلمة.التعري الشيطان ـ عدنان الطرشة ص ٢٢٩

٢ ـ فيض القدير ـ المناوي ج ١، ص ٢٥٦ .

٤ ـ الإنسان مسؤول عن أعماله

صحيح ان الشيطان متسلط علىٰ الإنسان بمستوي معين حيث يراه ورجاله من الشياطين والمردة، ويدخل في كل زاوية من زوايا خياله، وانه مطلع تماماً علىٰ ما يفكربه ويمرُّ بمخيلته من مشاعر وعواطف وافكار وأحاسيس لاتخفىٰ عليه، ولكن دور الشيطان وقبيله مع الإنسان هو دور الفتنة والغرور فقط، فإذا وقع في شراكهم تصرفوا به كيف ما شاؤوا وكما ارادوا كما قال تعالىٰ: مخاطباً إبليس ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَلِ وَٱلْأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـانُ إِلَّا غُرُوراً * إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾[١].

فقوله تعالىٰ: (ان عبادى...) أي الذين يطيعونني اضافهم إلىٰ نفسه تشريفاً لهم وإلّا كلهم عباده (ليس لك عليهم سلطان) أي قوة ونفاذ لانهم يعلمون ان مواعيدك باطلة فلا يغترون بها، وقيل معناه لا سلطان لك علىٰ جميع عبادى إلّا في الوسوسة والدعاء إلى المعصية، فأما في ان تمنعهم عن الطاعة و تحملهم على المعصية جبراً وكرهاً فلا. كما ورد عن الجبائى (وكفىٰ بربك وكيلا) أي حافظاً لعباده من الشرك[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ

---

١ ـ سورة الأسراء، ٦٤ ـ ٦٥.

٢ ـ مجمع البيان ـ الطبرسي م ٣ج ٦ص٦٥٨

ٱلْغَاوِينَ﴾[١] هذا هو القضاء الذي اشار إليه سبحانه في الآيه السابقة ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[٢].

فقد أشار سبحانه في امر الاغواء وذكر انه له وحده ليس لغيره فيه صنع ولا نصيب، ومحصله ان آدم وبنيه كلهم عباده لا كما قاله إبليس حيث قصر عباده على المخلصين منهم إذ قال: «إلا عبادك منهم المخلصين» ولم يجعل سبحانه له عليهم ـ أي على العباد ـ سلطاناً حتىٰ يستقل بأمرهم فيغويهم، و إنما جعل له السلطان علىٰ طائفة منهم وهم الذين اتبعوه من الغاوين وولّوه أمرهم وألقوا إليه زمام تدبيرهم فهؤلاء هم الذين له عليهم سلطان.

فإذا أمعنت في الآية وجدتها تردّ علىٰ إبليس قوله: «لاغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين» من ثلاث جهات أصلية:

إحداها: أنه حصر عباده في المخلصين منهم ونفىٰ عنهم سلطان نفسه وعمّم سلطانه على الباقين والله سبحانه عمّم عباده على الجميع وقصر سلطان إبليس علىٰ طائفة منهم وهم الذين اتبعوه من الغاوين ونفىٰ سلطانه على الباقين.

والثانية: أنه لعنه الله ادَّعىٰ لنفسه الاستقلال في إغوائهم كما يظهر من قوله: «لاغوينهم» في سياق المخاصمة والتقريع بالانتقام والله سبحانه يردّ عليه بأنه منه مزعمة باطلة وإنما هو عن قضاء من الله و سلطان بتسليطه وإنما ملّكه إغواء من اتبعه وكان غاوياً في نفسه وبسوء اختياره.

---

١ ـ سورة الحجر، ٤٢.

٢ ـ سورة الحجر، ٣٩ ـ ٤٠.

فلم يأتِ إبليس بشيء من نفسه ولم يفسد أمراًعلىٰ ربه لافي إغوائه أهل الغواية فإنه بقضاء من الله سبحانه أن يستقر لأهل الغواية غيّهم بسببه ـ وقد اعترف لعنه الله بذلك بعض الاعتراف بقوله: «رب بما أغويتني» ـ ولا في استثنائه المخلصين فإنه أيضاً بقضاء من الله نافذ حكم إلا لله.

و هذا الذي تفيده الآية الكريمة أعني تسليط إبليس علىٰ إغواء الغاوين الذين هم في أنفسهم غاوون وتخليص المخلصين وهم مخلصون في أنفسهم من كيده كل ذلك بقضاء من الله، مبني علىٰ أصل عظيم يفيده التوحيد القرآني المفاد بأمثال قوله تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[1]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾[2] وقوله: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾[3]، وقوله: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾[4]، وغير ذلك من الآيات الدالّة علىٰ أن كل حكم إيجابي او سلبي فهو مملوك لله نافذ بقضائه.

ومن هنا يظهر ما في تفسيرهم قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ من المسامحة فإنهم قالوا: إنه إذا قبل من إبليس واتبعه صار له سلطان عليه بعدوله عن الهدىٰ إلىٰ ما يدعوه إليه من الغيّ، و ظاهره أنه سلطان قهري يحصل لإبليس عن سوء اختيارهم ليس من عند نفسه ولا يجعل من الله سبحانه.

وجه الفساد: أن فيه أخذ الاستقلال والحول الذاتي من إبليس وإعطاؤه

---

١ ـ يوسف، ٦٧.
٢ ـ القصص، ٧٠.
٣ ـ آل عمران، ٦٠ .
٤ ـ يونس، ٨٢.

ذوات الأشياء ولو كان إبليس لا يملك شيئاً من عند نفسه وبغير إذن ربه فالأشياء والامور أيضاً لا تملك لنفسها شيئاً ولاحكماً حتىٰ الضروريات ولوازم الذوات إلا بإذن من الله وتمليك.

والثالثة: أن سلطانه علىٰ إغواء من يغويه وإن كان بجعل وتسليط من الله سبحانه إلا أنه ليس بتسليط علىٰ الإغواء والإضلال الابتدائى غيرالجائز إسناده إلىٰ ساحته سبحانه بل تسليط علىٰ الإغواء بنحو المجازاة المسبوق بغوايتهم من عندهم وفي أنفسهم.

والدليل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ فإبليس إنـما يغوي من اتبعه بغوايته أي إن الإنسان يتّبعه بغوايته أولاً فيغويه هو ثانياً فـهناك غواية بعدها إغواء والغواية إجرام من الإنسان والإغواء بسبب إبليس مجازاة من الله سبحانه.

ولو كان هذا الإغواء إغواءاً ابتدائياً من إبليس لمن لايستحق ذلك لكان هو الأليق باللوم دون الإنسان كما يذكره يوم القيامة علىٰ ما يحكيه سبحانه بـقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾[١] فاللوم علىٰ الإنسان المجرم و هو مسؤول عن معصيته دون إبليس. وابليس صادق في قوله ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ...﴾ لأن الله سبحانه قال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾[٢]

نعم إبليس ملوم علىٰ ما يتلبّس به من الفعل بسوء اختياره وهو الإغـواء

---

١ ـ سورة ابراهيم، ٢٢.

٢ ـ سورة الأسراء، ٦٥.

الذي سلّطه الله عليه مجازاة لماّ امتنع من السجود لآدم لماّ أمر به فالإغواء هو الذي استقرت ولايته عليه كما يشير سبحانه إليه في موضع آخر من كلامه إذ يقول: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١] و قال تعالىٰ: وهو أوضح ما يؤيّد جميع ما قدّمناه: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[٢].

وقد تحصّل مما تقدم: أن المراد بقوله: «عبادى» عامة الإنسان، وأن الاستثناء في قوله: «من اتبعك» متصل لا منقطع، وأن «من» في قوله: «من الغاوين» بيانية، وأن الكلام مبني علىٰ ردّ قول إبليس، وأن الآية مشتمل علىٰ قضاءين من الله سبحانه في عقدي المستثنىٰ والمستثنىٰ منه وغير ذلك[٣]

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٤].

أي ليس له تسلط وقدره على الذين آمنوا بالله وعلىٰ ربهم يتوكلون، فهو لايقدر علىٰ ان يكرههم على الكفر والمعاصي اوليس له حجة علىٰ مايدعوهم إليه من المعاصي عن قتاده، ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[٥]، إنّما تسلطه على الذين يطيعونه بمحض إختيارهم فيقبلون دعاءه

١ ـ سورة الاعراف، الآية ٢٧.

٢ ـ سورة الحج، ٤ .

٣ ـ الميزان ـ الطباطبائي ج ١٢، ص ١٦٦ ـ ١٦٧ ـ ١٦٨ .

٤ ـ سورة النحل، ٩٩ .

٥ ـ سورة النحل، ١٠٠.

ويتبعون اغواءه، وبسبب طاعتهم له يشركون بالله[١].

ثم ان الشيطان يقول لهم بعد ذلك ﴿...وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا أَنفُسَكُم﴾[٢].

أي ما كان لي عليكم سلطان بالاكراه والاجبار على الكفر والمعاصي وانما كان لي عليكم سبيل الوسوسة والدعوة فقط (فاستجبتم لي) بسوء اختياركم، وقيل معناه ما أظهرت لكم حجّة أحتج بها عليكم إلّا ان دعوتكم إلى الضلال وأغويتكم فصدقتموني وأجبتموني وقبلتم مقالتي بسوء اختياركم لانفسكم (فلا تلوموني) علىٰ ماحلَّ بكم من العقاب بسوء اختياركم (ولوموا انفسكم). إذن ليس للشيطان إلّا الدعوة للشر ولا تتم هذه الدعوة إلى الشر إلّا بوجود ارضيّة لها واستعداد من قبل ذلك الإنسان المذنب المبتعد عن طاعة ربه، فإذا غفل وابتعد عن الله سبحانه هجم عليه ذلك الوحش الكاسر، فإذا حمل عليه ليدفعه عن الصراط ينبغي له الرجوع فوراً والعودة إلىٰ الله مباشرةً بلا تعطيل قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُّبْصِرُونَ﴾[٣].

فهؤلاء الذين اتقوا الله باجتناب معاصيه إذا وسوس إليهم الشيطان واغراهم بمعاصيه تذكروا ما عليهم من العقاب فيجتنبونه ويبصرون الرشد لارتباطهم بالله سبحانه وبشرط تقواهم يبصرون، و إلّا فليس هناك فائدة لهذه الدعوة، لا لأن الله عزوجل اراد غواية أحد من عباده بل لمن ارادها وأصرَّ على الانحراف والابتعاد

---

١ ـ المجمع ـ الطبرسي م ٣، ج ٦، ص ٥٩٣ .
٢ ـ سورة ابراهيم، ٢٢.
٣ ـ سورة الأعراف، ٢٠١ .

فيكون بمثابة عقاب له قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[١]

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ﴾[٢]

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٣]

فالانسان مسؤول عن تصرفاته، عن طاعته وعن معصيته علىٰ صعيد واحد، وعلىٰ حد سواء، فكما ان هناك دعوة إلى الشر ترافقه كذلك هناك دعوة إلى الخير تلازمه فهو طليق باختياره أي درب سلك، وأى واد هبط، واى عاقبة غنم كي يستحق الثواب بجهده، أو ينال العقاب بظلمه قال تعالىٰ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[٤] ظلموا أنفسهم أو الآخرين وبظلم الآخرين ظلم لأنفسهم أيضاً.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[٥] السبيل: هو الطريق الجادة إلىٰ مافيه النفع بواسطة الرسل إلى العقائد الصحيحة والأعمال الصالحة التي هي سبب فوزه بالنعيم الابدى، بحال من يدل السائر على الطريق المؤدية إلىٰ مقصده من سيره. وفي قوله ﴿إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ هذا نداء علىٰ ان الله أرشد الإنسان إلى الحق وان بعض الناس أدخلوا علىٰ أنفسهم ضلال الاعتقاد

---

١ ـ آل‌عمران، ١٨٢ .
٢ ـ هود، ١٠١ .
٣ ـ النمل، ١١٨ .
٤ ـ الزخرف، ٧٦ .
٥ ـ سورة الانسان، ٣.

ومفاسد الاعمال، فمن برّأ نفسه من ذلك فهو شاكر وغيره الكفور...[١].

ولقد أورد ابن كثير في سياق الآيتين الأخيرتين حديثاً عن جابر بن عبدالله قال: «قال رسول الله ﷺ كل مولود يولد على الفطرة حتىٰ يُعْرِبَ عنه لسانُه إما شاكراً واما كفوراً و حديثاً رواه الإمام مسلم عن أبي مالك الاشعرى قال «قال رسول الله ﷺ: كلُ الناس يغدوا فبائعٌ نفسه فموبقُها او معتقُها» حيث ينطوى في الحديثين توضيح نبوي دعم للتوكيد الذي ينطوي في الآيات وغيرها من قابلية الإنسان للتمييز والاختيار ومسؤوليته عن ذلك[٢].

فهنا رسول الله ﷺ قد وضح لنا ان الامر والاختيار بيد المكلف فهو اما ان يكرم نفسه او يرديها.

وقال تعالىٰ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[٣] ـ الهداية هنا هي الدلالة على الطريق المبلِّغة إلى المكان المقصود إليه، وقد أُستعيرت الهداية هنا للالهام الذي جعله الله في الإنسان يدرك به الضار والنافع وهو اصل التمدُّن الانساني واصل العلوم والهداية بدين الإسلام إلىٰ مافيه الفوز[٤].

والنجد: هو الارض المرتفعة و(النجدين) هنا طريق الخير وطريق الشر وورد في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «ايها الناس هما نجدان نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر أحبّ اليكم من نجد الخير[٥]، فمن بعد أن أتمَّ الحُجة علىٰ

---

١ ـ التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور) محمد الطاهر ج ٢٩ص ٣٤٩ـ٣٤٨

٢ ـ التفسير الحديث ـ محمد عزة دروزة ج ٢ص١٠٦

٣ ـ سورة البلد، ١٠.

٤ ـ تفسير التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور) محمد الطاهر ج ٣٠ص٣١٣

٥ ـ تفسير الامثل ـ ناصر مكارم الشيرازي ج ٢٠ص ١٦٧

الإنسان بأنه زوّده بالحواس وبعث له الرسل والانبياء و الرسالات والمعجزات واكمل عقله ويسّر له وسائل الهدايه قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ ترك له اختيار أحد السبيلين لكي يدخل الجنَّة بعمل صالح او النار بعمل طالح.

سيما ان الله سبحانه قد نبّه في سياق الآية ﴿وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ وبيّن للناس طريقي الخير والشر، و التقوىٰ والفجور، وأوجد فيهم قابلية التمييز بينهما، وجعلهم مسؤولين عن اختيارهم وسلوكهم إن خيراً فخير وان شراً فشر.

فالآية تحتمل اشارة إلىٰ ماأودعه الله عزوجل في الإنسان من عقل يستطيع ان يميّز بين الخير و الشر ويختار، كذلك اشارة لما في القرآن والدعوة النبوية من تبيان معالم الخير والشر، والحديث الشريف المتقدم (..هما نجدان نجد الخير ونجد الشر...) ينطوى علىٰ سؤال تعجبي او تنديدي للذي يحب نجد الشر اكثر من نجد الخير حيث يدعم هذا معنىٰ قابلية الاختيار في الإنسان ومسؤوليته عن اختياره[1].

وكما قال تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّـٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّـٰهَا﴾[2]

قيل إن المراد بالنفس هنا روح الإنسان وقيل انه جسمه وروحه معاً فقد وردت (النفس) في القرآن الكريم بمعنىٰ الروح قال تعالىٰ في سورة الزمر آية ٤٢ ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ...﴾ وبمعنى الجسم كما ورد في سورة القصص

---

١ ـ التفسير الحديث ـ محمد عزة دروزة ط ٢ج ٢ص٢٥٦

٢ ـ الشمس، ٧ ـ ١٠.

آية ٣٣، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ و الانسب هنا أن يكون معنىٰ النفس هنا شاملاً للمعنيين لأن قدرة الله سبحانه تتجلي في الاثنين معاً، وهنا نُكِّرت النفس إشارة لعظمتها وإبهامها، وتسويتها هو انه نظمها وعدّل قواها[١].

فالتسوية حاصلة من وقت تمام خلقة الجنين من أول اطوار الصبا اذ التسوية تعديل وايجاد القوي الجسدية والعقلية ثم تزداد كيفية القوي فيحصل الالهام.

حيث ان من آثارتسوية النفس إدراك العلوم الاولية وادراك الضروري.. إلىٰ ان يبلغ ذلك إلىٰ اول مراتب الاكتساب بالنظر العقلي، وكل ذلك الهام، وتعدية الالهام إلىٰ (الفجور و التقوىٰ) في هذه الآية مع ان الله أعلمَ الناسَ بما هو فجور وما هو تقوىٰ بواسطة الرسل[٢]

ولاتعني ان الله سبحانه قد أودع عوامل الفجور والتقوىٰ في نفس الإنسان، بل تعني ان الله تعالىٰ علّم الإنسان هاتين الحقيقتين وألهمه إيّاهما، وبيّن له طريق السلامة وطريق الشر[٣].

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّـٰهَا﴾ والتزكية تعني النمو والبركة، وورد عن علي﵇ قوله: (المال تنقصه النفقة و العلم يزكو على الانفاق)[٤]

---

١ ـ تفسير الامثل ـ مكارم شيرازي ج ٢٠ص١٨١
٢ ـ تفسير التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور) ـ محمد الطاهر ج ٣٠ص٣٢٦
٣ ـ تفسير الامثل ـ مكارم شيرازى ج ٢٠ص١٨٢
٤ ـ نهج البلاغة ـ الكلمات القصار ـ الكلمة ١٤٧

ثم استعملت الكلمة بمعنىٰ التطهير، وقد يعود ذلك إلىٰ أنَّ التطهير من الآثام يؤدّي إلى النمو والبركة، فالفلاح لمن ربىٰ نفسه ونمّاها، وطهرها من التلوث بالخصائل الشيطانية وبالذنوب والكفر والعصيان.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ والخيبة هي فوات الطلب، والدس في الاصل هو إدخال الشيء قسراً، أهل التقوىٰ يظهرون أنفسهم و المذنبون يخفونها، و قال الإمامان الباقر و الصادق عليهما السلام في تفسير هذه الاية الكريمة (قد أفلح من أطاع وخاب من عصىٰ)[١].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال حين تلا الآية «اللهم آت نفسي تقواها، انت وليُّها ومولاها، و زكها أنت خير من زكّاها»[٢]

وورد عنه صلى الله عليه وآله في تفسير الآيتين قوله: «أفلحت نفس زكّاها الله وخابت نفس خيبها الله من كل خير»[٣].

وقد ورد في التفسير الحديث ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ أي جعلها سويّة تامة الصفات والمظاهر خلقاً و عقلاً ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ أي بمعنىٰ أودع فيها قابلية الفجور والتقوىٰ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ أي قد أفلح من طهرها بصالح الاعمال وخاب من أفسدها بسيِّء الاعمال وخبيثها[٤].

وكذلك قوله تعالىٰ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ

---

١ ـ تفسير الامثل ـ مكارم شيرازى ج ٢٠ص ١٨٣ـ ١٨٤

٢ ـ الدر المنثور ـ السيوطى ج ٦ص ٣٥٧

٣ ـ الدر المنثور ـ السيوطى ج ٦ص ٣٥٧

٤ ـ التفسير الحديث ـ محمد عزة دروزة ج ٢ص ١٣٨ـ ١٣٩

ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[١].

رُوي عن عبدالله بن مسعود أنّه قال: إنّ أحكم آية في القرآن ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ وكان رسول الله ﷺ يسميها (الجامعة)[٢].

لو تدبّر الإنسان في محتواها تكفيه دافعاً إلىٰ طريق الخير وناهياً عن طريق الفساد والانحراف، فقد ورد عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نزلت هذه الآية ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ قلت يا رسول الله إني لراء عملي؟ قال نعم. قلت واثكلىٰ أمي، قال: أبشر يا أبا سعيد فإن الحسنة بعشر أمثالها يعني إلىٰ سبعمائة ضعف، والله يضاعف لمن يشاء، والسيئة بمثلها أو يعفو الله، ولن ينجو أحد بعمله. قلت: ولا أنت يانبي الله؟ قال: ولا أنا إلّا أن يتغمدني الله منه بالرحمة[٣].

ان هاتين الايتين تدلّان علىٰ ان أصغر الاعمال يحاسب عليها تلك المحاسبة، وتحذّر أيضاً من استصغار الذنوب الصغيرة، او التهاون في اعمال الخير الصغيرة، فما يحاسب عليه الله سبحانه ـ مهما كان ـ ليس بقليل الأهميّة[٤].

إذن نخلص بنتيجة هي ان (مثقال ذرة في أقل القلة و ذلك للمؤمنين ظاهر، حيث المثقال ما يعرف به ثقل الاشياء، والذرة هي النملة الصغيرة في ابتداء

---

١ ـ الزلزلة، ٧ ـ ٨.

٢ ـ نور الثقلين ـ الحويزى ـ ج ٥ص ١٦٤

٣ ـ تفسير روح البيان ـ اسماعيل البروسى ج ١٠ص ٤٩٥

٤ ـ تفسير الامثل ـ مكارم شيرازى ـ ج ٢٠ص ٢٩٧

حياتها[١] او الذره هي ما يُرىٰ في شعاع الشمس من الهباء[٢] فتنتظرهم رحمة الله وتَشملهم رأفته اما بالنسبة للكافرين فالمقصود ماعملوا من شر، وأما بالنسبة إلىٰ اعمالهم من الخير فهي كالعدم، فلا توصف بخير عند الله، لأنَّ عمل الخير مشروط بالايمان قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[٣][٤].

وأصدق برهان ودليل علىٰ أن الإنسان مسؤول عن أعماله هو أن آدمﷺ أبوالبشر، أول انسان وزوجه حينما ارتكبا الظلم او المعصية لم ينسباهما إلى الشيطان و يتنصلا عنهما، ولم يقولا انه خدعنا و اقسم بالله كاذباً ونحن لم نسمع او نرىٰ من يُقسم بالله كاذباً، وهما صادقين في ذلك قال تعالىٰ: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾[٥].

بل نسبا ذلك الظلم او تلك المعصية إلىٰ نفسيهما وتحملا المسؤولية كاملة وقالا ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[٦]، ولو نسبا ذلك الظلم او المعصية إلى الشيطان، لكانت المعصية اعظم والتوبة منقوصة ضعيفة.

١ ـ تفسير التحرير والتنوير ـ محمد الطاهر ابن عاشور ج ٣٠ص٤٣٦
٢ ـ الميزان، الطباطبائي، ج ٢٠، ص ٣٤٣.
٣ ـ النور، ٣٩.
٤ ـ تفسير التحرير والتنوير محمد الطاهر ابن عاشور ج ٣٠ص٤٣٦
٥ ـ الأعراف، ٢١ .
٦ ـ الأعراف، ٢٣ .

٥ ـ الشيطان في الميدان الإجتماعي

الشيطان همّنا الكبير في مجتمعنا الكبير، ومهمته في حياتنا هي ان يبعدنا عن الطريق القويم و ان يزين لنا المعصية فنراها طاعة، ويشوّه لنا الطاعة فيخيل لنا انها معصية، ويشوّه لنا الحسن فنراه قبيحاً كما يزيّن لنا القبيح فنراهُ حسناً.

ولذلك نحتاج دائماً إلىٰ أن ندرس طريقته وذهنيته وأساليبه وطرقه في الوسط الإجتماعي كي نستعد له ونتنبه ونكون حذرين دائماً.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[1]

ولقد حدثنا القرآن الكريم ان هناك شياطين الإنس وشياطين الجن، كما ذكرالله تعالىٰ في بعض آياته، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنْسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُوراً﴾[2].

بمعنى انهم يجتمعون من أجل أن يرتبوا الكلمات الّتي تثير الحقد والفتن والأضغان والشرور بين أفراد المجتمع الواحد، أو فيما بين النّاس.

كما نجد القرآن الكريم في سورة النّاس يدعو كلّ شخص إلىٰ الإستعاذة بالله تعالىٰ من أولئك الّذين يوسوسون للنّاس ويربكون تفكيرهم ويضللون مشاعرهم وعواطفهم وينحرفون بهم إلىٰ الطريق الّذي يؤدّي بهم إلىٰ النار، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ * مَلِكِ ٱلنَّاسِ * إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ * مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ

١ ـ سورة فاطر: ٦.

٢ ـ الأنعام، ١١٢.

ٱلْخَنَّاسِ * ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ * مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَ ٱلنَّاسِ﴾[1]

يعني ان هناك من يوسوس للإنسان من أجل أن يحرفه عن الصراط المستقيم.

لذلك أراد الله منا أن نقرأ هذه السورة المباركة، أن تطلع عليها القلوب الحيّة وبصورة جديّة.

نحن عندما نعيش مع اخوتنا ورفاقنا وأقربائنا ومع كلّ النّاس الّذين نتعامل معهم ويتعاملون معنا لنحذر ولننتبه إلىٰ أن من الممكن أن يكون هناك وسواس خنّاس في داخل بعض هؤلاء بل معظم هؤلاء، لأن الشيطان يزيِّن لهم أعمالهم فلاينبغي أن نستسلم لهم كلهم فنقبل كلّ مايقولون، ونعمل كلّ ما يريدون، ونوافق علىٰ كلّ مايقررون، بل يجب علينا أن نعي ما حولنا، لأنه من الممكن أن يكون هناك وسواس خنّاس في المجتمع لانعرفه نحن.

لذا ينبغي الحذر إلّا من ثبت عندنا صدقه ووعيه وإيمانه وأمانته، فنرىٰ مثلاً من نحبه معصوماً و ان صدر منه الكثير من الخطأ، لانراه خطأ لإننا نحبه.

لو عرفنا ان هناك عدواً يتربص بنا الدوائر و ينتهز الفرص، فهل نقف مكتوفي الأيدي موقف الإسترخاء؟ أم اننا نحتاط ونحذر منه؟

فكيف إذا كان عدونا لانراه بأعيننا ولايخضع لحواسنا كي نرقبه، فهو إذن أشد خطراً من غيره من الأعداء.

فلا نستسلم له حتّىٰ نكتشفه ونحذره بما اوتينا من قدرة.

---

١ ـ سورة الناس.

ان عملية الإستعاذة ـ وكما جرىٰ الحديث عنها سابقاً ـ من الوسواس الخنّاس هي إسلوب قرآني يريد به الله عزّوجلّ منا أن نثق به جلّت قدرته ونستجير به مما لانعلمه، وأن نكون واعين لا ان نواجه ما حولنا بعقلية بسيطة ساذجة.

أكثر من هذا، فقد يتحول الإنسان ومن خلال طاعته للشيطان إلىٰ عبادة النّاس من أمثاله بدلاً من أن يعبد الله عزّوجلّ وقد يشرك النّاس بعبادة الله عزّوجلّ بحيث يقع في شرك الطاعة وشرك العبادة وشرك المحبّة مما يجعله مشركاً بصورة موحد[١].

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَـٰنَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِى هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾[٢].

الخطاب لبني آدمعليه السلام لتشعيرهم بانهم أبناء آدمعليه السلام الّذي أخرجه إبليس من الجنّة، فهو عدو لأبيكم قبل أن يكون عدوكم، ألم أقل لكم يابني آدم أن لاتعبدوا الشيطان، وكيف نعبده؟نحن لم نركع ولم نسجد للشيطان لم نصم ولم نصل ولم نحج لإبليس.

والجواب: هذا صحيح، لكنكم اتخذتموه وليّاً لكم من دون الله، أطعتموه ووافقتموه وراضيتموه بسخط الله، أليس كذلك؟

وهل العبادة إلّا الطاعة و المحبة والرضا والقرب والمعرفة.

---

١ ـ الإستفادة من بعض المحاضرات الفكرية والعقائدية.

٢ ـ سورة يس، ٦٠ ـ ٦٢.

عندما نصلي أو نحج أو نصوم رياءً فسوف تكون تلك الصلاة أو ذلك الحج أوالصيام كلها طاعة للشيطان.

العبادة:

الصلاة ليست ركوعاً وسجوداً فحسب ربما يسجد الإنسان ظاهره لله ولكن واقعه للشيطان البعض يقف بدون انحناء أو بدون ركوع وسجود أمام الظالم ولكن قلبه راكع وساجد له. إرادته وشعوره راكع وساجد للشيطان أو للظالم علىٰ حد سواء، رأيه خاضع وهو المهم.

والبعض الآخر راكعين ساجدين إلىٰ الله عزّوجلّ والجلاد يضربهم، لكنهم شامخين، لأنهم ما خضعوا لذلك الجلاد، ولأن ارادتهم حُرّة.

والله عزّوجلّ يريدنا أن نركع له بأفكارنا وارادتنا وقلوبنا لا بأجسادنا فحسب.

فينبغي للإنسان أن يجعل كلّ حياته ركوعاً وسجوداً وخشوعاً لله، وفي كلّ أمر من الأمور.

أما إذا كنا نطيع الشيطان في شهواتنا وأطماعنا ونطيعه في علاقاتنا و نعصي الله في ذلك كلّه فإننا نكون قد عبدنا الشيطان.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَـٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[1].

---

١ ـ سورة يس، ٦٠ ـ ٦١.

إذن عبادة الله هي السير على الصراط المستقيم، وطاعة الله هي اتباع أنبيائه ورسله لا اتباع الشيطان، ليس هناك إله غيرالله عزّوجلّ.

الشيطان يسوّل للنّاس فيطيع بعضهم البعض الآخر بالباطل، ويطيعه البعض في معصية الله و ينسىٰ من دون الله أنهم لايملكون له نفعاً ولاضرّاً، وينسىٰ ان عبادة غيرالله خسران لكرامته ولشخصيته ولحريته، ينسىٰ انه يغدو مشركاً في صورة موحد، انه الشرك في الطاعة، إطاعة الغير في معصية الله، وبيع لدينه بدنيا غيره، فلاهو يربح الدّنيا ولا هو يفوز بالدّين وذلك هو الخسران المبين.

ينبغي علىٰ الإنسان أن يطيع من أطاع الله في خط طاعته لله لامن عصىٰ الله في فكره فكان فكره فكر الباطل، وفي عاطفته فكان قلبه قلب الباطل، وفي حركته فكانت حركته حركة الباطل.

٦ ـ بين الإرتباط الواقعي والإرتباط التجريدي

إنّ من العناوين الّتي طرحت في أحاديث الرسول ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام عنوان طاعة النّاس في معصية الله، وهذا العنوان كبير جداً، الكثير من النّاس يرتبطون بالواقع ارتباطاً فكرياً، أما ارتباطهم بالله فهو ارتباط تجريدي لايرون ان الواقع يمكن أن يخضع له.

فالإنسان يدرس مراكز القوة في المجتمع بين مركز سياسي يسيطر على الواقع السياسي، ومركز اجتماعي يملك الساحة الإجتماعية، ومركز أمني يملك الساحة الأمنية، وهكذا تمتد القضية للمركز الإقتصادي الّذي يشعر صاحبه بأنه يمكن أن يُخضِّع النّاس لمايريد، وهنا يجد النّاس مصالحهم الآنية مرتبطة بهذا المركز أو بذاك.. أو بهذا الشخص أو بذاك، سيما إذا كان لديهم خوف من أن يكون انسحابهم من طاعة هذا أو طاعة ذاك مما يؤدّي إلىٰ بعض الضرر في بعض أوضاعهم أو بعض أمورهم العامة كما قال الحسين بن علي عليه السلام: «النـاس عبيد الدّنيا والدّين لعق علىٰ ألسنتهم يحوطونه ما درّت معائشهم فإذا محّصوا بالبلاء قل الدّيانون»[١].

يتحرك النّاس ليحدقوا بالطاعة الّتي تضمن لهم مصالحهم المادية الآنية ـ لأنها واقع ملموس ـ و ينسون الله سبحانه وتعالىٰ، وإذا ذكر الله ليذكروا طاعته، فإنهم يؤجلونها ليوم آخر ولظرف آخر، وربما يستسهلون معصيته علىٰ أساس ما

---

١ ـ تحف العقول / الحراني ص ١٧٦.

يخيل إليهم ان رحمة الله تتسع لكلّ المعاصي حتّىٰ الّذي يتمرد علىٰ الله وفي خياله ان الله يمكن أن يسامحه وهو يبدأ العمل بمخالفة أوامره وارتكاب نواهيه، وهذا الموضوع يتحرك في خطين: ـ

الخط الأول: ـ تحول هذا النهج في علاقة الإنسان بالنّاس الّذين ترتبط مصالحه بهم مقارنة بعلاقته بالله، انه يتحول إلىٰ إنسان يعبد النّاس بدلاً من أن يعبدالله، وإذا فكر بعبادة الله، فإنه يشرك النّاس بعبادته، بحيث يقع في شرك الطاعة وفي شرك العبادة وفي شرك الحب وهذا مما يجعله مشركاً في صورة موحد، لأن القليل من النّاس الّذين أشركوا بالله يعتقدون الشرك في العقيدة، ولأن الّذين عاشوا في صدر الدعوة الأولىٰ وهم مشركوا قريش كانوا يبررون عبادتهم للأوثان بقولهم اننانعبد هذه الأصنام لتقربنا إلىٰ الله، قال تعالىٰ: حاكياً عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللهِ زُلْفَىٰٓ﴾[1]

فالمشركون موحدون في العقيدة لذلك كانوا يكتبون في مطلع وثائقهم (بسمك اللّهم) وما شركهم إلّا شرك عبادة وليس شرك عقيدة، ولهذا كانت كلّ آيات القرآن الّتي تعالج واقع هؤلاء تركّز علىٰ أنهم لايملكون لهم نفعاً ولاضرّاً ولا علاقة لهم بالله من قريب أو من بعيد، لذلك يتحول الإنسان إلىٰ عابد للشخص كأن تعبد صاحب المال من خلال عبادتك لماله وصاحب السلطة من خلال عبادتك و خضوعك لسلطته وهكذا صاحب الجاه وصاحب السلاح وصاحب السياسة...

---

١ ـ الزمر، ٣.

الخط الثاني: ويمثل هذا الخط خطراً على هذا الإنسان وهو ان يبتعد عن إسلامه، لأن قضية الإسلام ليست قضية كلمة نقولها، وليست مسألة طقوس نمارسها، ولكنها مسألة عقل ليس فيه إلّا الله و قلب ليس فيه إلّاالله وحياة ليس فيهاإلّاالله وعندمايكون غيرالله في عقل الفرد المسلم وفي قلبه وحياته فلايكون لأحد غيرالله شيء عنده قال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[1]

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى للهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2]

وهذا ماعبّرالله عنه في بعض آياته عندما تحدث عمّن يشركون غيرالله في الحب، ومن الطبيعى فإن الحب يجذب الإنسان للخضوع، والخضوع يجذب الإنسان للطاعة قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَشَدُّ حُبّاً للهِ﴾[3]

فلايحبون غير الله أبداً إلّا من خلال حُبّهم لله، ولذلك نحن نحب الأنبياء والرسل والأصفياء و الأولياء المقربين إلىٰ الله لأنهم أنبياء ولأنهم رسل أو أئمة لأنهم المقربين إلىٰ الله دون غيرهم و نحب المؤمنين لأنهم آمنوا بالله، وهذا هو معنىٰ الحب في الله ونحن نبغض الكافرين والفاسقين والمنافقين لأنهم كفروا بالله أو فسقوا عن أمر الله أو استبطنوا الكفر و أظهروا الإيمان وهذا هو معنىٰ البغض في الله.

---

١ ـ البقرة، ١٣١ .

٢ ـ الانعام، ١٦٢ ـ ١٦٣ .

٣ ـ البقرة، ١٦٥ .

نحن لانحب إطلاقاً من حالة مزاجية أومن خلال مصلحة شخصية، وكلّ ذلك يقصم ظهر الشيطان ويفت عضده ويشل حركته وسعيه ويخيّب آماله وأحلامه في إضلال النّاس وغوايتهم فإن ألف شيطان وألف مارد لايستطيع غواية إنسان مسلم إذا وعىٰ دوره وشعر بمسؤوليته واهتم بها وقام بأدائها بجد و حزم.

نسيان الله:

ان كلّ مايجري من انحراف يحصل من أن الإنسان ينسىٰ ربّه وينسىٰ مقام ربّه وينسىٰ عبوديته لربّه و ينسىٰ حجم النّاس في المقارنة مع ربّ النّاس، ولذا قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ...﴾[١]

إذا نسي المسلم ربّه فإنه ينسىٰ مايصلحه، مايصلح نفسه وما يفسدها، وإذا نسي الله تاه و نسي الطريق المستقيم ونسي إشراقة القلب والإنفتاح على النور الرباني لذا كلما آمن الإنسان بالله أكثر كلما تيقن بالله أكثر وكلما عرف الله أكثر كلما استطاع ان يوازن حياته أكثر وأن يملك حريته أكثر.

فلابدَّ للإنسان أن يعيش روحيّة ذلك.

قال أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يصف المتقين وهو العارف بالمتقين لأنه إمام المتقين: (عظم الخالق في أنفسهم فصغر مادونه في أعينهم) لأن الإنسان كلما تجلّت عظمة الله في نفسه كلما تصاغرت كلّ القوىٰ أمامه قال تعالىٰ: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾[٢]

---

١ ـ الحشر، ١٩.

٢ ـ البقرة، ١٦٥.

وعندما يتجلىٰ علم الله فـي نفسه فإنه سيصغر كلّ علم دونه.

يتحرك الإنسان مع وجود الله وفي خط طاعته، فعندما يرىٰ شيئاً عـظيماً فإنه يقول (سبحان الله) وعندما يتذكر في واقع حمده فيقول (الحمد لله).. كما ورد في الدعاء الّذي روي عن النّبيﷺانه قال:

(أعددت لكلّ هول لاإله إلّا الله

ولكلّ همّ وغمّ ماشاء الله

ولكلّ نعمة الحمدلله

ولكلّ رخاء الشكر لله

ولكلّ اعجوبة سبحان الله

ولكلّ ذنب استغفر الله

ولكلّ مصيبة إنالله وإنا إليه راجعون

ولكلّ ضيق حسبي الله

ولكلّ قضاء وقدر توكلت علىٰ الله

ولكلّ عدو اعتصمت بالله

ولكل طاعة ومعصية لاحول ولاقوة إلّا بالله العلي العظيم)[1].

هذا الدعاء يجسد لنا حياة الفرد المسلم وتعلّقه بالله من خلال إسلامه في عبادته وفي آدابه وفي أخلاقه فهو ارتباط مباشر بالمطلق العظيم رغم ما يتعرض من أهوال وهموم وغموم، وكذلك من نِعَم و رخاء وتمتع وبالمقابل ما يواجه من

---

١ ـ الباقيات الصالحات/الشيخ عباس القمي ص ٦٥دارالأضواء ـ نـقلاً عـن البـلد الأمـين، وفضل هذا الدعاء عظيم.

مصائب وذنوب ومعاصي وضيق وأعداء محدقون به.

يذكره في إشراقة كلّ صباح وفي نور كلّ ضياء وفي ظلمة كلّ ليل وليقول في نفسه ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾[١]

﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾[٢]

وإذا أراد البعض أن يخوّفونا بالنّاس فلنتذكر قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[٣]

ولنتذكر قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰناً وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ * فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٤]

المنافقون والمرجفون قالوا للمؤمنين ان هناك قوىٰ كبيرة وعظيمة تهيأت للقضاء عليكم فخافوهم وتنازلوا عن مبادئكم ومعتقداتكم، فزاد هذا القول المؤمنين إيماناً وصلابة وانقياداً إلىٰ الله فقالوا ان الله كافينا ولينا وحفيظنا، ونعم الكافي والمعتمد والملجأ الّذي توكل إليه الأمور فرجعوا وعادوا بنعمة من الله وبعافية من السوء وبتجارة رابحة لم يصبهم اذىٰ ولاقتل، وأطاعوا الله بالخروج إلىٰ لقاء العدو و الله صاحب الفضل العظيم على المؤمنين، فقد ورد عن الصادق عليه السلام

---

١ ـ البقرة، ١٦٥ .

٢ ـ النساء، ١٣٩ .

٣ ـ التوبة، ٤٠ .

٤ ـ آل عمران، ١٧٣ ـ ١٧٥ .

انه قال: عجبت لمن خاف كيف لايفزع إلىٰ قوله (حسبنا الله ونعم الوكيل) فإني سمعت الله يقول بعقبها (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء)[١] لم يصبهم اذىٰ لأن الله حسبهم ونعم الوكيل، ثم قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ...﴾ أي إنما ذلك التخويف للنّاس من فعل الشيطان واغوائه وتسويله يُخوّف المؤمنين بالكافرين (فلاتخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) ان كنتم مُصدِّقين بالله فقد اعلمتكم إني انصركم عليهم فلا تخافوا أولياء الشيطان ولا تخشوا الشيطان ولاتخشوا اتباعه من النّاس واخشوني، فإن كلّ ما يخوفكم بالنّاس فهو الشيطان نفسه، أو الناطق باسم الشيطان.

وقال تعالىٰ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾[٢]

هؤلاء يتسترون عن النّاس بمعاصيهم لئلا يفتضحوا في النّاس ولا يتسترون عن الله وهو مطلع عليهم أو يستحون من النّاس ولا يستحون من الله وهو معهم حيث يُدبِّرون ما لا يرضىٰ من أقوالهم و أفعالهم، وان الله عالم وحافظ لأعمالهم وهو سبحانه أحق ان يراقب و أجدر أن يحذر[٣].

قال الإمام الباقر عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

(من طلب مرضاة النّاس بما يسخط الله كان حامده من النّاس ذاماً، ومن آثر طاعة الله بغضب النّاس كفاه الله عداوة كلّ عدو وحسد كلّ حاسد وبغي كلّ

---

١ ـ مجمع البيان / الطبرسي ج ٢ ص ٨٨٩.
٢ ـ النساء، ١٠٨.
٣ ـ مجمع البيان / الطبرسي ج ٢ ص ١٦٤.

باغ، وكان الله عزّوجلّ ناصراً وظهيراً)

مَن أسخط الله عزّوجلّ وتمرد علىٰ أوامره وارتكب نواهيه من أجل أن ترضىٰ عنه النّاس فانه يُحتقر عندهم لعلمهم باستخدامه الوسائل اللامشروعة والطرق الدنيئة، سواء أكان هذا الإحتقار بارزاً ظاهراً للعيان أو داخل أنفسهم لأنه أغضب الله عزّوجلّ من أجل عرض زائف زائل وسراب سرعان ما يتبدد.

ان النّاس الّذين يعون موقعه حتّىٰ لو مدحوه واطروه فإن مدحهم له لا يكون إلّا مجرد نفاق لأنه بموقعه في معصية الله يبقىٰ محتقراً وان حقق لهم بعض المكاسب أو حصل علىٰ شيء منها أيضاً.

أما الّذي يحترم نفسه وإيمانه وعقيدته بالله فإنه يملك احترام أعدائه قبل أصدقائه لأنهم يعرفون انه إنسان كامل الإنسانية يحترم إنسانيته راسخ العقيدة والمبدأ وغير منافق أو متذبذب مضطرب.

ونحن نعرف واقعنا الّذي نعيشه لذا لا ينبغي لنا أن نخدع أنفسنا أو ندع للشيطان سبيلاً في خداعنا.

قال رسول الله ﷺ في دعائه (ان لم يكن بك غضبٌ عليَّ فلا أُبالي).

وقال الشاعر:

فليتك تحلو والحياة مريرة   وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الّذي بيني وبينك عامر   و بيني و بين العالمين خراب

ولنتطلع إلىٰ مفردات من دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفه حيث يقول:

(... كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّىٰ يكون هو المظهر لك، متىٰ غبت حتّىٰ تحتاج إلىٰ دليل

يدل عليك، ومتىٰ بَعُدتَ حتّىٰ تكون الآثار هي الّتي توصل إليك، عميت عين لاتراك عليها رقيبا، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً...

ماذا وجد من فقدك، وما الّذي فقد من وجدك[1].

نعود لقوله تعالىٰ ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[2] ماذا كانت النتيجة؟

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3].

ونعود لقول رسول الله ﷺ:

(.. ومن آثر طاعة الله بغضب النّاس...) ماذا تكون النتيجة؟

(... كفاه الله عداوة كلّ عدو وحسد كل حاسد وبغي كلّ باغ، وكان الله عزّوجلّ ناصراً وظهيرا).

إذن ينبغي للمؤمن أن يصبر على الحرمان الّذي يلوّح به الآخرون، بأن يعطوا شيئاً مقابل معصية الله عزوجل، قال تعالىٰ: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[4]

كما ورد عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن جابربن عبدالله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ (من أرضىٰ سلطاناً بسخط الله خرج من دين الله).

---

١ ـ مفاتيح الجنان / عباس القمى ص٣٤٢و ٣٤٣

٢ ـ التوبة، ٤٠ .

٣ ـ التوبة، ٤٠ .

٤ ـ محمد، ٧.

إذا أصبح المسلم جاسوساً أو مخبراً للظالم أو أحد المنفذين له أو المبررين لأعماله العاذرين له فانه يصيبه ما أصاب السلطان من عذاب يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[١]

مما روي عنهم عليهم السلام ان الركون: المودة والنصيحة والطاعة[٢]، وعن الإمام الحسين عليه السلام قال: (من حاول امرءاً بمعصية الله كان أفوت لما يرجو، وأسرع لما يحذر)[٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام عن الحسين بن عليّ عليه السلام قال: (كتب رجل إلىٰ الحسين، عظني بحرفين فكتب إليه «من حاول أمراً بمعصية الله أفوت لما يرجو وأسرع لمجيء مايحذر») فالذي يريد ان ينال شيئاً بمعصية الله فانه يخسره عاجلاً ويفوته الخير.

فالله عزّوجلّ هو الّذي يلبي طموحات الإنسان ويحقق أحلامه وينجّح مشاريعه ويملك الحماية له وليس النّاس، والله هو الذي يملك القلوب فتستجيب أو لاتستجيب له قال تعالىٰ: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[٤]

هنا يخاطب الله رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله يقول له أنت لاتملك القلوب بل أنا

---

١ ـ هود، ١١٣.
٢ ـ المجمع / الطبرسي ج ٥ ص٣٠٦
٣ ـ تحف العقول / الحراني ص ١٧٩.
٤ ـ الأنفال، ٦٣.

أملكها ولاتستطيع أن تجعلها لوحدك منسجمة متحابة فيما بينها حتّىٰ لو أنـفقت وبذلت كلّ خزائن الدّنيا ولكن بتوفيق من الله استطعت يا رسول الله ﷺ أن تؤلف بينهم وتجعلهم أمّة واحدة.

فإذا أراد المؤمن الحصول علىٰ شيء فعليه ان يتوجه إلىٰ الله عزّوجلّ وبنيّة صادقة ويطلب منه، وإذا أراد أن يبتعد عن مايحذره فليسأل الله أن يصرف عـنه كيد الأعداء.

والحديث الأخير في هذا السياق للإمام الباقر عليه السلام قال:

«لا دين لمن دان بطاعة من عصىٰ الله، ولا دين لمن دان بفرية باطل، ولا دين لمن دان بجحود شيء من آيات الله»[١].

الإثم الباطني:

ان الشيطان مرتعه الإثم البـاطني، وله دور خـطير فـي مسـيرة الإنسـان الإجتماعية، حيث يغذّيه و ينمّيه.

فما معنىٰ الإثم الباطني؟ وما خطره؟

وما هي علاقة الإثم الباطني بالشيطان؟

وهل هناك ذنوب داخلية وذنوب خارجية؟

تنقسم الأحكام الشرعية إلىٰ قسمين أساسيين هما: الأوامر والنواهي، أو تسمي بالواجبات و المحرمات وكلاهما (الأوامر والنواهي) ينقسمان إلىٰ قسمين،

---

١ ـ الكافي ـ الكليني ج ٢ ص ٣٥٧.

فتكون أربعة أقسام هي:

١ ـ أوامر ظاهرية.

٢ ـ أوامر باطنية.

٣ ـ نواهي ظاهرية.

٤ ـ نواهي باطنية.

الأوامر والنواهي الظاهرية تقوم بها جوارح الإنسان كاليد والرجل والعين والأذن وهكذا.. ومثال الأوامر الظاهرية: الصلاة، والصيام، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومثال النواهي الظاهرية: عدم شرب الخمر، عدم الكذب، عدم الغيبة، عدم البهتان، عدم الزنا...

ومثال الأوامر الباطنية: صدق النيّة، الخشوع، الخضوع، الإخلاص، الخوف من الله، الإقبال علىٰ الله...

ومثال النواهي الباطنية: عدم الشك، عدم الحسد، عدم الحقد، عدم الريبة، عدم سوء الظن...

الأوامر والنواهي الظاهرية تخضع إلىٰ الجوارح كاليد والرجل والعين والأذن واللسان.

أما الأوامروالنواهي الباطنية فإنها تخضع إلىٰ جوانحي الإنسان كالعقل والقلب والنفس.من هنا جاء في دعاء كميل لاميرالمؤمنينعليه السلام قوله (.. يارب قوِّ

علىٰ خدمتك جوارحي واشدد على العزيمة جوانحي)[١].

نخلص إلىٰ نتيجة هي ان الواجبات والمحرمات علىٰ قسمين:

(١) ظاهرية خارجية.

(٢) باطنية داخلية.

أهمية الأعمال الباطنية:

ان الأعمال الباطنية أهم بكثير من الأعمال الخارجية ومثال علىٰ ذلك:

الصلاة: ظاهر الصلاة قيام وقعود وركوع وسجود وقراءة وذكر وتشهد وتسليم...

وباطن الصلاة: النيّة، والخشوع، والتوجه، وعدم الرياء، والإنقطاع إلىٰ الله....

قيمة الصلاة بباطنها وليس بظاهرها، و كذلك سائر العبادات، فالباطن هو الأساس في كلّ العبادات، وان كان الظاهر لا غنىٰ عنه وان الظاهر يتفرع منه ـ أي من الباطن ـ وباطن الإثم لايظهر علىٰ جوارح الإنسان.

ماهو الدليل علىٰ ماتقدم؟

قال تعالىٰ: ﴿وَذَرُواْ ظَـاهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾[٢]

١ ـ المنتخب الحسني ـ ص ٣٤٢، طباعة لندن.
٢ ـ الأنعام، ١٢٠.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[١]

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[٢]

وقال تعالى: ﴿...فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ...﴾[٣]

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾[٤]

وقال تعالى: ﴿... إِنَّ السَّمْعَ وِالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً...﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٦]

إذن بصريح الآيات المتقدمة نستخلص ما يلي:

١ ـ ان للإثم أو للذنب ظاهر وباطن، قال تعالى:

﴿وَذَرُواْ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ... ﴾[٧]

٢ ـ ان الّذين يرتكبون الإثم الظاهري أو الباطني سينالهم العذاب يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾[٨]

---

١ ـ الأنعام، ١٥١ .
٢ ـ البقرة، ٢٢٥ .
٣ ـ البقرة، ٢٨٣ .
٤ ـ البقرة، ٢٨٤ .
٥ ـ سورة الإسراء، ٣٦ .
٦ ـ النور، ١٩ .
٧ ـ الأنعام، ١٢٠ .
٨ ـ الأنعام، ١٢٠ .

٣ ـ ان الله عزّوجلّ يعاقب الإنسان الّذي يرتكب الإثم ولو كان باطنياً فقط، قال تعالىٰ: ﴿وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[1]

٤ ـ ان القلب يأثم كما تأثم الجوارح كالعين واليد والأذُن والرجل وغيرها، قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ﴾[2]

٥ ـ ان الجوارح والجوانح بينها ارتباط مباشر ووحدة علاقة بالأعمال الصالحة والطالحة، قال تعالىٰ: ﴿... إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً...﴾[3].

٦ ـ ان الّذين يضمرون الذنب لهم عذاب أليم ليس فقط في الآخرة بل في الدّنيا والآخرة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةُ وَٱللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[4]

لم يقل (ان الّذين يشيعون الفاحشة) بل قال ﴿... إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ﴾ ونحن نعلم ان الحب شيءٌ قلبي.

٧ ـ ان الله تعالىٰ مطلع علىٰ خفايا الأمور، وهو الّذي يعلم بأسرار وأفكار ونوايا وعقائد ووساوس النّاس، وليس البشر قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُـحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِـرَةُ وَٱللهُ يَـعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[5]

---

١ ـ البقرة، ٢٢٥ .
٢ ـ البقرة، ٢٨٣ .
٣ ـ سورة الإسراء، ٣٦ .
٤ ـ النور، ١٩ .
٥ ـ النور، ١٩ .

وكما ان الله عزّوجلّ مطلع علىٰ أعمال العباد الظاهرية فهو مطلع عليهم بما أخفوا في أنفسهم و ما تحدثت به أنفسهم لهم قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1]

أي انا خلقنا جنس الإنسان ونعلم مايحدّث به قلبه وما يخفي ويكن في نفسه ولا يظهره لأحدٍ من المخلوقين ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ بالعلم، وحبل الوريد عرق يتفرق في البدن يخالط الإنسان في جميع أعضائه، وقيل هو عرق الحلق عن ابن عباس ومجاهد، وقيل هو عرق متعلق بالقلب، يعني نحن أقرب إليه من قلبه عن الحسن، وقيل معناه نحن أعلم به ممن كان منه بمنزلة حبل الوريد في القرب، وقيل معناه نحن أملك له من حبل وريده مع استيلائِهِ عليه وقربه منه، وقيل معناه نحن أقرب إليه من حبل الوريد لو كان مدركاً.

ثم ذكر سبحانه وتعالىٰ أنه مع علمه به وكّل به ملكين يحفظان عليه عمله إلزاماً للحجة فقال ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ أي نحن أعلم به وأملك له حين يتلقىٰ المتلقيان وهما الملكان يأخذان منه عمله فيكتبانه كما يكتب المملىٰ عليه ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد هنا الملازم الّذي لايبرح لاالقاعد الّذي هو ضد القائم، وقيل عن اليمين كاتبُ الحسنات وعن الشمال كاتب السيئات عن الحسن ومجاهد، وقيل الحفظة أربعة ملكان بالنهار وملكان بالليل عن الحسن ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أي ما يتكلم

---

١ ـ ق، ١٦ ـ ١٨.

بكلام فيلفظه أي يرميه من فيه إلّا لديه حافظ حاضر معه، يعني الملك الموكل به، إما صاحب اليمين وإما صاحب الشمال يحفظ عمله لايغيب عنه والهاء في لديه تعود إلىٰ القول أو إلىٰ القائل، وعن أبي أُمامة عن النبيﷺ قال:

ان صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ أو المسيئ فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها، وإلّا كتب واحدة.

وفي رواية أخرىٰ قال: صاحب اليمين أمير علىٰ صاحب الشمال فإذا عمل حسنة كتبها له صاحب اليمين بعشر أمثالها وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين أمسك عنه سبع ساعات فإن استغفرالله منها لم يكتب عليه شيء، وإن لم يستغفرالله كتب له سيئة واحدة وعن أنس بن مالك قال: قال رسول اللهﷺ: (ان الله تعالىٰ وكّل بعبده ملكين يكتبان عليه فإذا مات قالا يارب قد قبضت عبدك فلاناً فإلىٰ أين؟ قال: سمائي مملوءة بملائكتي يعبدونني وأرضي مملوءة من خلقي يطيعونني، إذهبا إلىٰ قبر عبدى فسبحاني وهللاني فاكتبا ذلك في حسنات عبدي إلىٰ يوم القيامة.[١]

هنا نكتشف فهماً جديداً من خلال القرآن الكريم في مضمار بحثنا، من أن هناك من الذنوب و الخطايا باطنية تخص القلب و ذلك:

١ ـ ان القرآن الكريم يفتح أفقاً جديداً أمام الفكر البشري بأن للإثم ظاهر وباطن، حيث كان الفلاسفة والمفكرون سابقاً، وكانت المدارس الفكرية والفلسفية تخالف هذا المبدأ وتقول ان الحقد أو الحسد ليس ذنباً ولاإثماً لأنه أمر نفساني

---

١ ـ مجمع البيان / الطبرسي / ج ٩ ص ٢١٦.

غيرخاضع لإرادة صاحبه ويشترط بأن يكون باختيار صاحبه، وإنما الإثم محصور في التصرف الخارجي القائم علىٰ أساس الحسد.

٢ ـ ان القرآن الكريم يضع باطن الإثم تحت طائلة العقوبة أي ان العقوبة تشمل ظاهرالإثم وباطنه، قال تعالىٰ: ﴿... إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً...﴾[1].

السمع مسؤول والبصر مسؤول والفؤاد مسؤول الكل مسؤول علىٰ صعيد واحد، وهذه أيضاً رؤية جديدة للإثم حيث تشمل الجارحة والجانحة علىٰ حد سواء.

٣ ـ ان القرآن الكريم يعمم النهي عنهما معاً، قال تعالىٰ:

﴿وَذَرُواْ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾[2]

ان الّذين يكسبون الإثم معاً (ظاهراً وباطناً) سيعاقبون بما كانوا يرتكبون، وهناك بعض الاسئلة التي تطرح نفسها في هذا الصدد منها:

س: ماهو مصدر باطن الإثم في حياة الإنسان؟

ج: مصدره مرضُ القلب، أو القلب المريض.

س: ما الذي يمرض القلب؟

ج: كثرة الذنوب.

س: من الّذي يغذي الذنوب ويزينها للإنسان؟

---

١ ـ سورة الإسراء، ٣٦.

٢ ـ الأنعام، ١٢٠.

ج: الشيطان وحب الدّنيا الّذي هو مرتعه، ونقطة قوته، وانطلاقته في صدور النّاس وسيأتي تفصيل ذلك ان شاء الله.

أقسام القلوب:

تقسّم القلوب إلىٰ ثلاثة أقسام:

١ ـ القلب السليم.

٢ ـ القلب الميّت.

٣ ـ القلب المريض.

أولاً: القلب السليم:[١]

١ ـ ان سلامة القلب وصحته هي استقراره في استقامة الفطرة ولزومه الطريقة، ويؤول إلىٰ خلوصه في توحيد الله سبحانه وتعالىٰ وركونه إليه عن كلّ شيء يتعلق به هوىٰ الإنسان قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٢].

وقال الراغب: ان السلم والسلامة التعري من الآفات الظاهرة والباطنة.

والمعنىٰ: لكن من أتىٰ الله بقلب سليم فإنه ينتفع به والمحصل ان مدار السعادة يومئذٍ علىٰ سلامة القلب سواء كان صاحبه ذا مال وبنين في الدّنيا أو لم يكن[٣].

---

١ ـ الميزان / الطباطبائي / ج ٥ ص ٣٧٧.

٢ ـ الشعراء، ٨٨ ـ ٨٩.

٣ ـ الميزان الطباطبائي ج ١٥ ص ٢٨٩ـ٢٨٨.

وفي الكافي باسناده عن سفيان بن عيينه قال: سألته عن قول الله عزّوجلّ ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

قال: السليم الّذي يلقىٰ الله ربّه وليس فيه أحد سواه.

قال وكلّ قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط، وإنما أرادوا الزهد في الدّنيا لتفرغ قلوبهم إلىٰ الآخرة[١].

والقلب السليم، سليم من الشرك والشك عن الحسن ومجاهد، وقيل سليم من الفساد والمعاصي، وإنما خصّ القلب بالسلامة لأنه إذا سلم القلب سلم سائر الجوارح من الفساد، من حيث ان الفساد بالجارحة لايكون إلّا عن قصد بالقلب، وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: (هو القلب الّذي سلم من حب الدّنيا).

ويؤيده قول النبي صلى الله عليه وآله: حب الدّنيا رأس كلّ خطيئة[٢]. فتجد صاحب القلب السليم صدره رحب واسع، يسع المجتمع بأكمله ولايضيق بأحد، حتّىٰ بمن خالفوه، محب للجميع، يريد الخير والعطاء لكلّ النّاس، ليشمل السخاء الإلهي كافة النّاس.

لقد تعرَّض للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الكثير من السفهاء والجهال من مشركي مكة بالأذىٰ وبمختلف صوره، كم مرّة ومرّة رضخوه بالحجارة حتّىٰ سالت الدماء الزكية الطاهرة من سائر جسده الشريف.

وكم وضعوا عليه من سلي الحيوانات وأوساخها وهو قائم يصلي في المسجد الحرام.

---

١ ـ الميزان الطباطباني ج ١٥ ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

٢ ـ مجمع البيان / الطبرسي ج ٤ ص ٣٠٥.

وكم سكبوا عليه الرماد من فوق السطوح أو أحثوا التراب علىٰ رأسه الشريف و هو سائر في الطريق.

كان يرفع طرفه إلىٰ السماء ليدعو لهم بكلّ خير ويدعو لهم بالهداية ويقول: (اللّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون).

أكثر من هذا، نحن نجد ان من الأدعية الواردة عن النّبيﷺ فيها من الشمولية لكلّ الإنسانية ما يحيّر الألباب ويسلب العقول.

فلنقرأ معاً هذا الدعاء الشريف الوارد عنهﷺ ولندعوا به جميعاً:[١]

«اللّهم أدخل علىٰ أهل القبور السرور، اللّهم اغن كلّ فقير، اللّهم اشبع كلّ جائع، اللّهم اكس كلّ عريان، اللّهم اقض دين كلّ مدين، اللّهم فرّج عن كلّ مكروب، اللّهم ردّ كلّ غريب، اللّهم فكّ كلّ أسير، اللّهم أصلح كلّ فاسد من أمور المسلمين، اللّهم اشف كلّ مريض».

هكذا وبدون استثناء أحد.

فلا ينبغي أن تضيق صدورنا و لا يحكمنا حبّ الأنا حتّىٰ في عبادتنا وفي دعائنا.

ومثال آخر لصاحب القلب السليم، أحد تلامذة الإمام عليّؑ مالك الأشتر النخعي رضوان الله عليه ذات يوم مرّ مالك الأشتر في السوق، وكان قائداً للجند، أي بما يقابل وزيراً للدفاع لأكبر دولة في العالم يومها، فيعترضه أحد السفهاء ليسمعه كلمات قاسية ويرميه ببعض الأوساخ و هو يجهله فينصرف مالك

١ ـ مفاتيح الجنان / عباس القمي ص ٢٢٩، رواه الكفعمي في المصباح وفي البلد الأمين كما روىٰ الشيخ الشهيد في مجموعته عن النّبيﷺ.

الأشتر دون ان يرد عليه بشيء، فيلتفت رجل إلىٰ المعتدي ـ وبدون سبب سوي من أجل الإستهزاء والسخرية والترويح عن النفس بإيذاء الآخرين ـ ليقول له هل عرفت مَن هذا الّذي سخرت منه؟ فيجيبه: كلا لم أعرفه.

قال الرجل: انه مالك الأشتر صاحب أميرالمؤمنينعليه السلام فارتعد ذلك الرجل خشية العقاب، وتبع مالك ليعتذر منه، ويطلب السماح والصفح عنه، فيراه قد دخل المسجد ليصلي، وبعد ان انفتل من صلاته، تقدم إليه ذلك المعتدي نادماً معتذراً، فقال له مالك: مادخلت المسجد إلاّ من أجلك لأطلب لك الصفح من الله عزّوجلّ والسماح وغفران الذنوب.

ذلك هوالقلب السليم الّذي لايكون مرتعاً للشيطان ولا عشاً لإبليس ولا يصلح ان يسكن فيه أي شيطان لحظة واحدة بل يصلح لله وحده، وكما ورد في الحديث القدسي الشريف عن الله عزّوجلّ حيث قال: (لا تسعني أرضي ولا سمائي وإنما يسعني قلب عبدى المؤمن).

ثانياً: القلبُ الميت:

وهو ذلك القلب الّذي لا يُرتجىٰ شفاؤه كقلب المنافق والكافر قال تعالىٰ: ﴿... ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ...﴾[1].

إذن المنافقون غير الّذين في قلوبهم مرض فإن المنافقين هم الّذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم والكفر الخالص موت للقلب لارجاء ولاحياة فيه، قال

١ ـ سورة الأحزاب، ١٢.

تعالىٰ: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١]

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللهُ﴾[٢].

هنا أنزل الله تعالىٰ موتىٰ القلوب بمنزلة موتىٰ الأجساد. وقال سبحانه، وهو قول جامع في هذا الباب:

﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا للهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰناً مُّبِيناً * إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً * إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَٱعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ للهِ فَأُوْلَـٰئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾[٣].

هنا التوبة والندم والإصلاح في النيّة والإعتصام أي التمسك بكتاب الله والإخلاص لدين الله كلها قلبية قبل ان تبرز إلىٰ الجوارح.

ولزيادة في الإيضاح نعرض مشهداً من مشاهد يوم القيامة لنرىٰ دور الشيطان في إيراد النّاس التهلكة لأنهم أطاعوه واتبعوه فقست قلوبهم بل كانت ميتة قال تعالىٰ: ﴿وَٱمْتَـٰزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمجْرِمُونَ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَـٰنَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ * هَـٰذِهِ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ * ٱصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ

---

١ ـ سورة الأنعام، ١٢٢.

٢ ـ سورة الأنعام، ٣٦.

٣ ـ سورة النساء، ١٤٤ ـ ١٤٦.

أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١].

﴿وَٱمْتَـٰزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمجْرِمُونَ﴾ أي انفصلوا معاشر العصاة واعتزلوا عن المؤمنين، أو كونوا علىٰ حدة عن السدي، وقيل معناه ان لكل كافر بيتاً في النار يدخل فيردم بابه لايَرىٰ ولايُرىٰ، ثم خصهم سبحانه بالتوبيخ فقال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾، أي ألم آمركم علىٰ ألسنة الأنبياء والرسل في الكتب المنزلة ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَـٰنَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ أي لاتطيعوا الشيطان فيما أمركم به[٢] أو نهاكم عنه، والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس ويأمر به اذْ لاطاعة إلّا لله أو من أمر بطاعته، وقد علل النهي عن طاعته بكونه عدواً مبيناً، لأن العدو لا يريد بعدوه خيراً وقيل المراد بعبادته عبادة الآلهة من دون الله وإنما نسبت إلىٰ الشيطان لكونها بتسويله وتزيينه، وهو تكلف من غير موجب.

وإنما وجه الخطاب إلىٰ المجرمين بعنوان انهم بنو آدم لأن عداوة الشيطان إنما نشبت أول ما نشبت بآدمؑ حين أُمِر ان يُسجد له فأبىٰ واستكبر فرجم ثم عادي ذريته بعداوته وأوعدهم كما حكاه الله تعالىٰ إذ قال: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً﴾[٣].

وأما عهده تعالىٰ ووصيته إلىٰ بني آدم ان لا يطيعوه فهو الّذي وصّاهم به علىٰ لسان رسله و أنبيائه وحذرهم عن اتباعه[٤] كقوله تعالىٰ: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ

---

١ ـ سورة يس، ٥٩ ـ ٦٥.
٢ ـ مجمع البيان / الطبرسي /ج ٢، ص ٦٧٢ .
٣ ـ سورة الأسراء، ٦٤.
٤ ـ الميزان للطباطبائي ج ١٧، ص ١٠٢ .

لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾[١]

وقوله تعالىٰ ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٢].

وفي اعتقادات الصدوق قال الإمام الباقرؑ: «من أصغىٰ إلىٰ ناطق فقد عبده فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله وان كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس»، ثم قال تعالىٰ: ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾، فوصف عبادته بأنها طريق مستقيم من حيث كان طريقاً إلىٰ الجنة، ثم ذكر سبحانه عداوة الشيطان لبني آدم فقال ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ أي أضل الشيطان عن الدين خلقاً كثيراً منكم بأن دعاهم إلىٰ الضلال وحملهم على الضلال وأغواهم، ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ انّه يغويكم ويصدكم عن الحقّ فتنتبهون عنه صورته الإستفهام، ومعناه الإنكار عليهم والتبكيت لهم[٣]، والكلام مبني على التوبيخ والعتاب ﴿هَـٰذِهِ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ استمر الإيعاد مرّة بعد مرّة علىٰ لسان الأنبياء والرسلؑ وأوّل ما وعد الله سبحانه بها حين قال لإبليس ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٤].

﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: الصلا: اللزوم والإتباع، والخطاب لموتىٰ القلوب، للكافرين و هم المراد بالمجرمين.

---

١ ـ سورة الاعراف، ٢٧.

٢ ـ سورة الزخرف، ٦٢.

٣ ـ مجمع البيان ـ للطبرسي، ج ٨، ص ٧٦٢.

٤ ـ سورة الحجر، ٤٢.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، أي تشهد كلّ منها بما كانوا يكسبونه بواسطته، فالأيدي بالمعاصي الّتي كسبوها والأرجل بالمعاصي الخاصة بها، ومن هنا يظهر ان كلّ عضو ينطق بما يخصّه من العمل، وان ذكر الأيدي والأرجل من باب الإنموذج ولذا ذكر في موضع آخر السمع والبصر كما هو في قوله تعالىٰ: ﴿...إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً...﴾[١].

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللهُ ٱلَّذِى أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَـلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلآَ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٢].

يوم القيامة يحبس أصحاب القلوب الميتة ليتلاحقوا ولا يتفرقوا، إذا حشروا وقفوا، ثم جاؤوا إلىٰ النار الّتى حشروا إليها بعد أن شهد عليهم سمعهم بما قرعه من الدعاء إلىٰ الحقّ فأعرضوا عنه ولم يقبلوه وأبصارهم بما رأوا من الآيات الدالة علىٰ وحدانيّة الله فلم يؤمنوا وسائرجلودهم بماباشروه من المعاصي والأفعال القبيحة... وقيل بالجلود هنا الفروج علىٰ طريق الكناية عن ابن عباس والمفسرين[٣] ثم حكىٰ سبحانه وتعالىٰ عنهم بقوله: ﴿وَقَالُواْ﴾ أي الكفار

---

١ ـ سورة الإسراء، ٣٦.
٢ ـ سورة فصلت، ١٩ ـ ٢٢.
٣ ـ مجمع البيان ـ للطبرسي، ج ٩، ص ١٢.

﴿لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ يعاتبون أعضاءهم يقولون لها لِمَ شهدتم علينا ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِى أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي أعطانا الله آلة النطق والقدرة على النطق وتم الكلام ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة أي إلىٰ حيث لا يملك أحد الأمر والنهي سواه تعالىٰ ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ معناه وماكنتم تستخفون أي لم يكن يتهيأ لكم أن تستروا أعمالكم عن هذه الأعضاء لأنكم كنتم بها تعملون، فجعلها الله شاهدة عليكم في القيامة وقيل وما كنتم تتركون المعاصي حذراً أن تشهد عليكم جوارحكم بها لأنكم ما كنتم تظنون ذلك ﴿وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لجهلكم بالله تعالىٰ فهان عليكم ارتكاب المعاصي[1].

وفي الكافي باسناده عن محمد بن سالم عن أبي جعفرعليه السلام في حديث قال: «وليست تشهد الجوارح على المؤمن إنما تشهد علىٰ من حقت عليه كلمة العذاب فأما المؤمن فيعطىٰ كتابه بيمينه» قال الله عزّوجلّ: ﴿...فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾[2].

وفي تفسيرالعياشى عن مسعده بن صدقه عن جعفربن محمد عن جدّه قال: قال أميرالمؤمنينعليه السلام في خطبة يصف هول يوم القيامة: ختم الله علىٰ الأفواه فلاتكلم وتكلمت الأيدى وشهدت الأرجل و نطقت الجلود بما عملوا فلا يكتمون الله حديثا[3].

---

١ ـ مجمع البيان ـ للطبرسي، ج ٩، ص ١٤.
٢ ـ الإسراء، ٧١.
٣ ـ الميزان للطباطبائى، ج ١٧، ص ١٠٥.

ثالثاً: القلب المريض

والقلب المريض يقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

١) قلب مريض يُرجىٰ شفاؤه ومثاله المريض بمرض حاد يعالج أو يمكن علاجه فيبرؤ.

٢) قلب مريض ويبقىٰ مريض ولا يُرجىٰ شفاؤه ومثاله المريض بمرض مزمن لا هو بميت فيُنعىٰ ولاهو بحيّ فيُرتجىٰ.

٣) قلب مريض بمرض خطير من الممكن أن يؤدّي به إلىٰ الموت ومثاله المصاب بمرض نقص المناعة (الإيدز) أو مصاب ببعض أنواع السرطان الّذي لاعلاج له ويؤدّي به إلىٰ الموت.

وقد تحدث لنا القرآن الكريم في العديد من الآيات المباركة عن القلب المريض الّذي هو مصدر للتحرك الباطني النفسي السلبي المحرم.

١ ـ قال تعالىٰ: ﴿فِى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ...﴾[1]

إذن القلوب تمرض، ويزداد مرضها، وأساس المرض هذا ارتكاب المعاصي والذنوب.

٢ ـ وقال تعالىٰ: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾[2].

---

١ ـ البقرة، ١٠.

٢ ـ المائدة، ٥٢.

الذين في قلوبهم مرض يسارعون في مولاة الأعداء ومعاونتهم على المسلمين خشية ان يدور الدهر عليهم بمكروه فيجعلون لأنفسهم سبيلاً للرجعة(١).

٣ ـ وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾(٢)

إذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم حتّىٰ قال المنافقون والّذين في قلوبهم مرض (قول واحد مشترك) ان المسلمين خُدعوا بدينهم حتّىٰ خرجوا ـ لقلّتهم ـ إلىٰ قتال المشركين ـ لكثرتهم ـ(٣).

٤ ـ وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾(٤).

إذا ما أنزلت سورة من القرآن ـ نجد الّذين في قلوبهم مرض يزدادون شكّاً إلىٰ الشكوك السابقة ويزدادون انحرافاً وإذا ماتوا علىٰ هذه الحالة ماتوا كافرين(٥).

٥ ـ وقال تعالىٰ: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾(٦)

---

١ ـ مجمع البيان ـ للطبرسی ج ٣ ص ٣١٩.
٢ ـ الأنفال، ٤٩ .
٣ ـ مجمع البيان ـ للطبرسی ج ٤ ص ٨٤٥.
٤ ـ التوبة، ١٢٥ .
٥ ـ مجمع البيان ـ للطبرسی ج ٥ ص ١٢٧.
٦ ـ الحج، ٥٣ .

ان الشيطان شدد علىٰ مرضىٰ القلوب وعلى القاسية قلوبهم، بسبب مرض قلوبهم وقسوتها حيث تلزمهم الدلالة على الفرق بين مايحكمه الله وبين مايلقيه الشيطان وانهم في معاداة و مخالفة بعيدة عن الحقّ[١].

١ ـ وقال تعالىٰ: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٢]

هؤلاء لمرض قلوبهم وريبتهم يخافون أن يظلمهم الله ورسوله، ولكنهم لمرض قلوبهم ولريبهم ظلموا أنفسهم وظلموا غيرهم لأن خوف الحيف من الله تعالىٰ خلاف الدّين[٣].

٢ ـ و قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَٰفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً﴾[٤]

قول واحد مشترك بين المنافقين ومرضىٰ القلوب وهو قول شك وريبة قالوا يعدنا محمد أن يفتح مدائن كسرىٰ وقيصر ونحن لانأمن ان نذهب إلىٰ الخلاء هذا والله الغرور[٥]. وقولهم هذا كان يوم الخندق فظهر من كان ثابتاً قوياً في الإيمان ومن كان ضعيفاً.

٣ ـ وقال تعالىٰ: ﴿يَٰنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا

---

١ ـ مجمع البيان ـ للطبرسی ج ٧ ص ١٤٦.
٢ ـ النور، ٥٠.
٣ ـ مجمع البيان ـ للطبرسی ج ٧ ص٢٣٦.
٤ ـ الأحزاب، ١٢.
٥ ـ مجمع البيان ـ للطبرسی ج ٨ ص ٥٤٥.

تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾[١]

الّذي في قلبه مرض يكون طمعاً، أي نفاق وفجور عن قتادة، قيل من في قلبه شهوة للزنا عن عكرمة وقيل ان المرأة مندوبة إذا خاطبت الأجانب الغلظة لأن ذلك أبعد من الطمع في الريبة[٢].

٤ ـ وقال تعالىٰ: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَـٰفِقُونَ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً * مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾[٣]

المنافقون وضعاف الإيمان، و الّذين لاإيمان لهم و هم مرضىٰ القلوب، والمرجفون و هم المنافقون أيضاً هذه الأصناف كلها علىٰ حد سواء في اللعن وهو الطرد من المدينة أو من الرحمة أو علىٰ ألسنة المؤمنين[٤].

١٠ ـ وقال تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[٥]

إذا وجب علىٰ مرضىٰ القلوب القتال رأيتهم شاخصة أبصارهم نحوك لثقل ذلك عليهم(فأولىٰ لهم) هذا تهديد ووعيد.. وقال قتاده معناه العقاب لهم والوعيد لهم، وقيل أولىٰ لهم طاعة الله ورسوله و قول معروف بالإجابة.. وهذا معنىٰ قول

١ ـ الأحزاب، ٣٢.
٢ ـ مجمع البيان ـ للطبرسي ج ٧ ص ٥٥٨.
٣ ـ الأحزاب، ٦٠ ـ ٦١.
٤ ـ مجمع البيان ـ للطبرسي ج ٨ ص ٥٨١.
٥ ـ محمد، ٢٠.

ابن عباس في رواية عطاء واختيار الكسائى

١١ ـ وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾(١)

ان مرضىٰ القلوب يعتقدون ان أحداً لايطلع عليهم ولكن الله أطلع رسوله ﷺ عليهم، وعن أبي سعيد الخدرى قال لحن القول بغضُ عليّ عليه السلام قال كنا نعرف المنافقين علىٰ عهد رسول الله ﷺ ببغضهم عليّ بن أبي طالب وروي مثل ذلك عن جابربن عبدالله الأنصاري وعباده ابن الصامت، وقال انس ماخفي منافق علىٰ عهد رسول الله ﷺ بعد هذه الآية (والله يعلم أعمالكم) ظاهرها وباطنها(٢).

١٢ ـ وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِيمَـٰناً وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلاً كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾(٣).

قول مشترك بين مرضىٰ القلوب والكافرين، انهم لم يتدبروا فيؤدي بهم التدبر في ذلك إلىٰ الإيمان(٤).

---

١ ـ محمد، ٢٩ ـ ٣٠.

٢ ـ مجمع البيان ـ للطبرسى ج ٩ ص ١٦٠.

٣ ـ المدثر، ٣١.

٤ ـ مجمع البيان ـ للطبرسى ج ١٠ ص ٥٨٧.

قوله تعالىٰ ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ دلالة علىٰ ان للقلوب مرضاً، فلها لامحالة صحة إذ الصحة والمرض متقابلان لا يتحقق أحدهما في محل إلّا بعد إمكان تلبسه بالآخر كالبصر والعمىٰ، ألا ترىٰ أن الجدار مثلاً لا يتصف بأنه مريض لعدم جواز اتصافه بالصحة والسلامة.

وجميع الموارد الّتي أثبت الله سبحانه فيها للقلوب مرضاً في كلامه يذكرفيها من أحوال تلك القلوب و آثارها اموراً تدل علىٰ خروجها من استقامة الفطرة و انحرافها عن مستوىٰ الطريقة كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَـٰفِقُونَ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً﴾[١]

وقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾[٢]

وقوله تعالىٰ ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ...﴾[٣]

وجملة الأمر ان مرض القلب تلبسه بنوع من الإرتياب والشك يكدر أمر الإيمان بالله والطمأنينة إلىٰ آياته، وهو اختلاط من الإيمان بالشرك، ولذلك يرد علىٰ مثل هذا القلب من الأحوال ويصدر عن صاحب هذا القلب في مرحلة الأعمال والأفعال ما يناسب الكفر بالله وآياته[٤].

---

١ ـ الأحزاب، ١٢.
٢ ـ الأنفال، ٤٩.
٣ ـ الحج، ٥٣.
٤ ـ الميزان ـ للطباطبائى / ج ٥ ص ٣٧٧.

فالظاهر ان مرض القلب في عرف القرآن هو الشك والريب المستولي على إدراك الإنسان فيما يتعلق بالله وآياته وعدم تمكن القلب من العقد على عقيدة دينية.

فالّذين في قلوبهم مرض بحسب طبع المعنىٰ هم ضُعفاء الإيمان، الّذين يصغون إلىٰ كلّ ناعق و يميلون مع كلّ ريح، دون المنافقين الّذين أظهروا الإيمان واستبطنوا الكفر رعاية لمصالحهم الدنيوية ليستدروا المؤمنين بظاهر إيمانهم والكفار بباطن كفرهم.

نعم ربما أُطلق عليهم المنافقون في القرآن تحليلاً لكونهم في عدم اشتمال باطنهم علىٰ لطيفة الإيمان، وهذا غيرإطلاق الّذين في قلوبهم مرض علىٰ من هو كافر لم يؤمن إلّا ظاهراً قال تعالىٰ:﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً * ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً * وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾[١].

وأما قوله تعالىٰ في سورة البقرة ﴿فِى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضاً... إلى أن قال ... وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ...﴾[٢].

---

١ ـ النساء، ١٣٨ ـ ١٤٠.

٢ ـ البقرة، ٧ ـ ٢٠.

فإنما هو بيان لسلوك قلوبهم من الشك في الحق إلىٰ إنكاره وأنهم كانوا في بادىء حالهم مرضىٰ بسبب كذبهم في الإخبار عن إيمانهم و كانوا مرتابين لم يؤمنوا بعد، فزادهم الله مرضاً حتّىٰ هلكوا بإنكارهم الحقّ واستهزائهم له.

وقد ذكر سبحانه ان مرض القلب علىٰ حد الأمراض الجسمانية ربما أخذ في الزيادة حتّىٰ أزمن وانجر الأمر إلىٰ الهلاك و ذلك بامداده بما يضر طبع المريض في مرضه، و ليس إلّا المعصية قال تعالىٰ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضاً...﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ... إلى أن قال ... وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ * أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثمّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[2].

وقال تعالىٰ: ـ وهو بيان عام ـ ﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَنْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾[3][4].

أسباب وعلاج مرض القلب:

أولاً: ـ حب الدّنيا:

ان من أهم أسباب مرض القلب هو حب الدّنيا فقد ورد عن رسول الله ﷺ

١ ـ البقرة، ٧ ـ ٢٠.
٢ ـ التوبة، ١٢٤ ـ ١٢٦.
٣ ـ الروم، ١٠.
٤ ـ الميزان للطباطبائي ج ٥ص ٣٧٨ـ ٣٧٩

انه قال (حب الدّنيا أصل كلّ معصية وأول كل ذنب).

وعنه ﷺ انه قال (حب الدّنيا رأس كل خطيئة).

وعنه ﷺ انه قال أيضاً (حب الدّنيا رأس الفتن وأصل المحن).

وقال الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام في مسيره إلىٰ كربلاء: (النّاس عبيد الدّنيا والدّين لعق علىٰ ألسنتهم يحوطونه ما درّت معائشهم فإذا محّصوا بالبلاء قل الدّيانون)[1].

النّاس خاضعون لدنياهم، ويتكلمون بالدّين ويعملون به مادام هذا الدّين يخدم دنياهم ومصالحهم، أما إذا حدث تعارض بين منافعهم الدنيوية وبين الدّين واستوجب التضحية تركوا دينهم واتبعوا دنياهم و مايصلحها ولو لفترة زمينة قصيرة بخراب آخرتهم إلاّ القليل من النّاس ممن اصطفاهم الله وهداهم إلىٰ صراطه المستقيم.وان حب الدّنيا ليس سبباً لمرض القلب فحسب بل يكون سبباً للكفر أيضاً قال تعالىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَـٰنِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[2].

تشير هاتان الآيتان إلىٰ ان تفضيل وإيثار الدّنيا أو محبة الدّنيا وإيثارها علىٰ الآخرة يؤدّي بالتالي إلىٰ الكفر، وكذلك تشير إلىٰ نقطة أهم وأعظم من الكفر وهي حالة انشراح الصدر للكفر، أي بسط صدره للكفر فقبله قبول رضىٰ

١ ـ تحف العقول / الحرّاني ص ١٧٦.

٢ ـ النحل، ١٠٦ ـ ١٠٧.

ووعاه[١] أي من اتسع قلبه للكفر وطابت نفسه به[٢].

ثانياً: ارتكاب المعاصي والذنوب

ان ارتكاب المعاصي والذنوب تُمرض القلوب كما يُمرض الميكروب جسد الإنسان ويفسده، و تتناسب كثرة المعاصي والذنوب مع مرض القلوب تناسباً طردياً، أي كلما زادت الذنوب و تعددت أشكالها زاد مرض القلب أكثر وقد يؤدّي به إلىٰ الهلاك والموت.

فقد ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام انه قال: (لا وجع أوجع للقلوب من الذنب).

ان ارتكاب الذنب يؤدّي إلىٰ مرض القلب والوجع هو الألم أو الأذىٰ، فلا شيء يؤثّرعلى القلوب كالذنوب فيتلفها.

وقال أيضاً عليه السلام: (الحقد داءٌ دوي ومرض وبيل)..

الحقد أيضاً مرض آخر يصيب القلب كالحسد وغيره وانه يستشري وينتشر فيصعب شفاؤه.

وقال أيضاً عليه السلام (الشهوات علل قاتلات)..

الشهوات تقود إلىٰ المهالك فهي أمراض تصيب القلب، وهكذا بقية الذنوب، فإن كلّ مريض القلب مرضه بقدر ذنوبه من حيث الكم والنوع وان كانت كلها ذنوباً.

وان الشيطان يزيّن للإنسان الذنوب فيراها جميلة حسنة مقبولة سهلة

---

١ ـ الميزان للطباطبائي ج ١٢ص ٣٥٤

٢ ـ مجمع البيان ـ للطبرسي ج ٦ ص ٥٩٨.

المنال سواء على الصعيد الفردي أو الأسري أو الإجتماعي وان المجتمعات لتمرض كما يمرض الفرد وكما ان الفرد يشكل الحجر الأساس واللبنة الأولىٰ للمجتمع.

ثالثاً: الخروج عن استقامة الفطرة

ان الإنسان يمرض قلبه إذا خالف فطرته و خرج عن الطريق باتباع هواه وقد جمّد عقله و ضيّع الأهداف الّتي من أجلها خُلق والّتي يجب عليه أن يحقّقها قال تعالىٰ: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[1].

وإن حقيقة العبادة هي نصب العبد نفسه في مقام الذلة وتوجيه وجهه إلىٰ مقام ربّه، وهذا هو مراد من فسّر العبادة بالمعرفة الحاصلة بالعبادة.

فحقيقة العبادة هي الغرض الأقصىٰ من الخلقة، وهي ان ينقطع العبد عن نفسه وعن كلّ شيء و يذكر ربّه[2].

وفي التوحيد باسناده عن ابن أبي عمير قال: قلت لأبي الحسن موسىٰ بن جعفرعليه السلام: ما معنىٰ قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إعلموا كلٌّ ميسّر لما خُلِق له؟» فقال: ان الله عزّوجلّ خلق الجن والإنس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه وذلك قوله عزوجل: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ فيسّر كلاً لما خلق فويل لمن استحب العمىٰ على الهدىٰ وفي العلل باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خرج الحسين بن عليّ عليه السلام علىٰ أصحابه فقال «ان الله عزّوجلّ ماخلق العباد إلّا ليعرفوه فإذا عرفوه

١ ـ سورة الذاريات، ٥٦ .

٢ ـ الميزان ـ للطباطبائي ج ١٨ ص ٣٨٨.

عبدوه فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه»[١].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾[٢]

إنَّ استقامة الفطرة تؤدي إلىٰ معرفة الله عزّوجلّ وطاعته وعبادته ولا قيمة للإنسان دون المعرفة و الطاعة.

وكلمة يعبؤا من ما عبأت به أي لم أُبال به.

وأصل العبء أي الثقل بمعنىٰ ما أرىٰ له وزناً وقدراً.

والمعنى: قل لاقدرولامنزلة لكم عند ربّي فوجودكم وعدمكم عنده سواء، فلاخير فيكم، فسوف يكون هذا التكذيب ملازماً لكم أشد الملازمة، إلّا ان الله يدعوكم ليتمّ الحجّة عليكم لعلكم ترجعون عن تكذيبكم[٣].

فعلىٰ مريض القلب ان أراد مداواة مرضه ان يتوب إلىٰ الله، وهو الإيمان به وان يتذكر بصالح الفكر وصالح العمل[٤] كما يشير إليه قوله تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُ﴾[٥]

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾[٦]

إذن ينبغي عبادة الله بعد معرفته كي يشفي مرض القلب، ويكون للعبد قدرا.

---

١ ـ الميزان ـ للطباطبائی ج ١٨ ص ٣٩٠.
٢ ـ الفرقان، ٧٧.
٣ ـ الميزان ـ للطباطبائی ج ١٥ ص ٢٤٦ـ٢٤٥.
٤ ـ الميزان ـ للطباطبائی ج ٥ ص ٣٧٩.
٥ ـ فاطر، ١٠.
٦ ـ يونس، ٩.

من نماذج للإثم الباطني:

نذكر بعض النماذج للإثم الباطني:

١) العزم على المعصية:

ان العزم علىٰ ارتكاب المعصية محرم ـ إلّا إذا تاب العبد واستغفر ربّه وانصرف عن ذلك العزم ـ فقد ذكر الشيخ البهائي‌ؒ ان الطائفة الشيعية أجمعت علىٰ حرمة العزم على المعصية.

وذكر صاحب المدارك في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ان العزم على المعصية محرم و التفكير بارتكاب المحرم محرم.. حيث يجري العقاب على العزم، والعزم عقد في القلب وهو من الأمورالباطنية.

٢) الرضا بالذنب:ـ

والرضا بالذنب أخطر من المعصية ذاتها حيث يرضىٰ الإنسان بمعصية العاصين فيكون شريكهم بما فعلوا، ينشرح ويرتاح ويرضىٰ بأفعالهم قال تعالىٰ:

﴿وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١]

والإنشراح هي حالة من اتساع القلب للإنحراف والتمرد والكفر وطيب النفس به.

فقد ذكرصاحب كتاب الجواهر في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

---

١ ـ النحل، ١٠٦ .

ان الرضا بالحرام حرام.

كما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام (.. من رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أن رجلاً قتل بالمشرق فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي عند الله عزّوجلّ شريك القاتل...)[1].

وفي قصة عقر أو قتل ناقة صالح عليه السلام قال تعالىٰ: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَـٰدِمِينَ﴾[2]

نسب العقر إلىٰ الجميع ولم يعقرها إلّا واحد من القوم وذلك لأنهم رضوا بفعله، فقد ورد في نهج البلاغة عن أميرالمؤمنين عليه السلام انه قال: أيها النّاس انما يجمع النّاس الرضا والسخط وانما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرضا فقال سبحانه: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَـٰدِمِينَ﴾[3].

وعن جابربن عبدالله الأنصاري عندما زار الإمام الحسين في أربعينيته الأولىٰ برفقة عطية العوفي خاطب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه بهذه العبارات: (... والّذي بَعَث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق لقد شاركناكم في مادخلتم فيه، فقال له عطية كيف ولم نهبط وادياً ولم نعلوا جبلاً ولم نضرب بسيف و القوم قد فُرّق بين رؤوسهم وأبدانهم وأوتمت أولادهم ورمّلت الأزواج، فقال لي: يا عطية سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (من أحبَّ قوماً حشر معهم، ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم).

---

١ ـ عيون أخبار الرضا ج ٢ص ٢٤٧حديث رقم (٥).

٢ ـ الشعراء، ١٥٧.

٣ ـ الميزان للطباطبائى ج ١٥ ص ٣٠٧.

والّذي بعث محمداًﷺ بالحقّ إن نيتي ونيّة أصحابي علىٰ ما مضىٰ عـليه الحسين و أصحابه[١].

ونحن نقرأ في زيارة الإمام الحسينعليه السلام السابعة الّتي رواهـا الشـيخ فـي المصباح (مروية عن كتاب المزار لإبن قولويه) عن الإمام الصادقعليه السلام مـخاطباً الإمام الحسينعليه السلام في زيارته بهذه العبارات...

فلعن الله أمّة قتلتك.

ولعن الله أمّةً ظلمتك.

ولعن الله أمّةً سمعت بذلك فرضيت به[٢].

٣)كره المؤمنين:

كره المؤمن حرام (وان كانت مسألة باطنية وليست ظاهرية)، الحقد على المؤمن وكرهه حرام، فقد ورد عن رسول اللهﷺ انه قال: ـ

(من بات وفي قلبه غش لأخيه المسلم بات في سخط الله و أصبح في سخط الله حتّىٰ يتوب) و قال (ليس منا من غشّ مسلماً أو ضرّه أو ماكره)[٣] وكما ورد عنهﷺ انه قال أيضاً: (من أعان علىٰ أخيه المؤمن بشطر كلمة حشر يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله)[٤].

---

١ ـ مقتل الإمام الحسينعليه السلام / الشيخ عبدالزهراء الكعبي

٢ ـ مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمي ص ٤٩٧ ـ ٥٠٠.

٣ ـ تحف العقول ص ٣٦.

٤ ـ بحارالأنوار ج ٧٤، للعلامة المجلسي.

كما ان الغيبة والكذب والبهتان والإفتراء والسرقة يحرم فعلها كذلك كـره المؤمنين بعضهم للبعض الآخر محرم، وكما ان الكفر ملّة واحدة فينبغي للمسلمين أن يكونوا ملّة واحدة موحدة متحدة ولايجوز لهم ان يهجر بعضهم بعضاً فقد ورد عن رسول الله ﷺ انه قال: (لايحلّ لمسلم ان يهجرأخاه فوق ثـلاث) أي ثـلاثة أيام.

وعن الصادق عليه السلام قال: (لايزال إبليس فرحاً ما اهتجر المسلمان فإذا التقيا اصطكت ركبتاه). إن إبليس يفرح إذا اختلف المؤمنان أو المؤمنون فيما بـينهم، ولكن إذا عادت العلاقة الطبيعية فيما بينهم و رجع الإنسـجام وسـادت المـحبّة اشتاط غيظاً وغضباً إلىٰ الدرجة الّتي تجعل ركبتيه تضرب الواحـدة الثـانية ألماً وحقداً وحسداً.

فإذا واجه المؤمنون حالة من الهجران أو الكره عـليهم أن يسـارعوا إلىٰ الإصلاح وإلىٰ حلها.

فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام انه قال: (ان الشيطان يغري بين المؤمنين فإذا فعلوا ذلك قال فُزتُ، فرحم الله امرءً ألّف بين وليبّن لنا، يامعاشر المؤمنين تآلفوا وتعاطفوا).

كما ورد عن معتق ـ أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ـ عن أبـي عـبدالله الصادق عليه السلام انه قال:

(لايفترق رجلان على الهجران إلّا استوجب أحدهما البراءة واللعن، وربما استحق ذلك كلاهما).

قال: قلتُ هذا الظالم فما بال المظلوم؟

قال عليه السلام: (لأنه لا يدعو أخاه إلىٰ صلته ولا يتغامز له عن كلامه).

أي لا يدعو أخاه إلىٰ إعادة العلاقة معه بصورة طبيعية، ولا يغض طَرْفَهُ عن كلامه.

طبعاً هذا في غير مسألة الظلم أو التعسف أومصادرة الحقوق وإنما في الأمور الإعتيادية المتعارفة و الخلافات الطبيعية ونحن نعلم ان الدّنيا دار التزاحم والإحتكاك والتدافع ويجري فيها من مثل هذه الأمور.

كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: سمعت أبي يقول (إذا تنازع اثنان فليرجع المظلوم إلىٰ صاحبه وليقطع الهجران مع صاحبه فإن الله تعالىٰ حكم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم).

ان في دائرة سوء التفاهم، إذا حصلت شحناء بين اثنين من المؤمنين، فالمظلوم يستطيع ان يكسب ودّ من ظلمه حيث يعتذر من ظالمه ويقول أنت صاحب الحقّ وانا المخطىء فأرجو ان تسامحني ولنرجع إلىٰ مودتنا ومحبّتنا ونقطع الهجران، فإن الله عزّوجلّ عادل حكيم يأخذ حقّ المظلوم من الظالم ولو بعد حين.

وقالت فاطمة الزهراء(س) في خطبتها الّتي خطبتها في مسجد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله من جملة ماقالت:

(... فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك والصلاة تنزيهاً لكم من الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص والحج تشييداً

للدين والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملة وإمامتنا أماناً للفرقة...)[١].

وقال زين العابدين لابنه محمدﷺ «افعل الخير إلىٰ كلّ من طلبه منك، فإن كان أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن بأهل كنت أنت أهله، وإن شتمك رجل عن يمينك، ثم تحوّل إلىٰ يسارك، واعتذر إليك فاقبل عذره»[٢]. فمن القبيح جداً ان المؤمن إذا أراد ان يعتذ لأخيه المؤمن ان لايقبل عذره ولايسامحه، كما ورد عن النّبيﷺ انه قال: (من لم يقبل من متنصل عذراً صادقاً كان أو كاذباً لم ينل شفاعتي) وقال أيضاًﷺ (أقبلوا العذر من كلّ متنصل محقاً كان أو مبطلاً ومن لم يقبل فلا ناله شفاعتي) أي فلا تناله شفاعتي.

وكما ورد في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

أيْ حقداً وغشاً وعداوة، سألوا الله سبحانه ان يزيل ذلك بلطفه، وها هنا احتراز لطيف وهو انهم أحسنوا الدعاء للمؤمنين ولم يرسلوا القول إرسالا، والمعنىٰ اعصمنا ربنا من إرادة السوء بالمؤمنين ولا شك ان من أبغض مؤمناً وأراد به السوء لأجل إيمانه فهو كافر وإذا كان لغير ذلك فهو فاسق[٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَٰرُ﴾[٥]

وقال تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَىٰ سُرُرٍ

---

١ ـ شرح خطبة الصديقة فاطمة الزهراء / محمد طاهر آل شبير الخاقاني ص ١٦٦ ـ ١٧٩ .
٢ ـ تحف العقول / الحرّاني ص ٢٠٤.
٣ ـ الحشر، ١٠ .
٤ ـ مجمع البيان ـ للطبرسي / ج ٩ ص ٣٩٤.
٥ ـ الأعراف، ٤٧ .

مُتَقَـٰبِلِينَ﴾[١]

وأصل الغَلول من الغَل: وهو دخول الماء في خلل الشجر يقال انغل الماء في اصول الشجر، و الغُلول: الخيانة لأنها تجرى في المِلك علىٰ خفاء مـن غـير الوجه الّذي يحل كالغلل ومنه الغِل: الحقد لأنه يجري في النفس كـالغلل ومـنه الغليل: حرارة العطش والغلّة كأنها تجرى في الملك من جهات مختلفة والغـلالة لأنها شعار تحت البدن[٢].

ان هذا الدّين لايحاول تغيير طبيعة البشر في هـذه الأرض ولاتـحويلهم خلقاً آخر، ومن ثم يعترف لهم بأنه كان في صدورهم غلٌّ في الدّنيا، وبأن هذا من طبيعة بشريتهم الّتي لايذهب بها الايمان و الإسلام من جذورها، و لكنه يعالجها فقط لتخفّ حدتها و يتسامىٰ بها لتنصرف إلىٰ الحب في الله و الكره في الله وهل الايمان إلّا الحب والبغض؟

ولكنهم في الجنّة وقد وصلت بشريتهم إلىٰ منتهىٰ رُقيِّها وأدت كذلك دورها في الحياة الدّنيا ـ ينزع أصل الإحساس بالغل في صدورهم، ولاتكون إلّا الإخوّة الصافية الودود... انها درجة أهل الجنة.. فمن وجدها في نفسه غـالبة فـي هـذه الأرض، فليستبشر بأنه من أهلها، ما دام ذلك و هو مؤمن فهذا هو الشرط الّذي لاتقوم بغيره الأعمال[٣].

قال القرطبي في تفسيره المسمىٰ إحكام القرآن:

---

١ ـ الحجر، ٤٧ .

٢ ـ مجمع البيان ـ للطبرسى / ج ٢ ص ٨٧٢.

٣ ـ في ظلال القرآن / سيد قطب / ج ٤ ص ٢١٤٥.

(قال رسول الله ﷺ: الغل علىٰ أبواب الجنة كمبارك الإبل قد نزعه الله من قلوب المؤمنين)[١].

كما ورد عن النبي ﷺ: (ان العبد ليحبس علىٰ ذنب من ذنوبه مائة عام عن الجنة وانه ينظر إلىٰ أزواجه في الجنة يتنعّمن).

يقال للعبد انه من أهل الجنة وسيدخلها ولكن بعد حين لذنب استخف به ذلك العبد، فلا ينبغي للمؤمن ان ينظر إلىٰ صغر المعصية بل عليه أن ينظر إلىٰ من عصىٰ.

كيف نتعامل مع مرضىٰ القلوب!

ان الإسلام يعطينا ثلاث نقاط في التعامل مع مرضىٰ القلوب وهي:ـ

١) نحن نعلم ان صاحب كلّ معصية مريض القلب، باعتبار ان المعصية تمرض القلب، وكلّ انحراف عن الطريق مرض فالمنحرف مريض، والمغتاب مريض، والكذاب مريض، والزاني مريض، والطماع مريض...

ان هذا التشخيص الأوّلي ينفعنا في تشخيص ومعرفة العلاج، كالطبيب: حيث ان أول خطوة يخطوها هي محاولة معرفة المرض وتشخيصه، فإذا شخَّص الداء استطاع ان يشخِّص الدواء، وهذا مطلب مهم جداً وضروري للغاية، ولكن ليس دائماً وبالضرورة ان ذلك الداء له دواء، ففي أحيان كثيرة نجد ان الطبيب يشخص الداء ولكن يجد ذلك الداء لادواء له لخطره أو لانتشاره أو قد اكتشفه بعد

---

١ ـ في ظلال القرآن / سيد قطب / ج ٣ ص ١٢٩٢.

فوات الأوان فهو مرض قاتل لا محالة.

٢) ان هذا المرض الباطني ـ والّذي يطفو على السطح بعد حين ـ مُعدي، فمرض المعصية من الأمراض المُعدية.

فقد ورد عن الإمام الصادقﷺ انه قال: (لا ينبغي للمرء المسلم ان يؤاخي الفاجر فإنه يزيّن له فعله ويحب أن يكون مثله).

والشيطان حاضر من أسمائه الغَرور أي الّذي يغر صاحبه بالمعاصي قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ﴾[1].

أي الشيطان، كماورد عن أميرالمؤمنينﷺ انه قال (لاتصاحب الشرير فإنّ طبعك يسرق من طبعه شراً وأنت لاتعلم) وعن الإمام الجوادﷺ أنه قال: (إياك ومصاحبة الشرير فإنه كالسيف يحسن منظره ويقبح أثره).

٣) لاينبغي التشهير بأصحاب المعاصي ما داموا يرتكبونها بسريّة وتكتم، فلا يجوز فضحهم أو تسليط الأضواء عليهم، لأن ذلك يدعوهم إلىٰ أن تأخذهم العزة بالإثم فيزدادوا عناداً وتعنتاً وانحرافاً، و لكل فعل رد فعل يساويه في المقداروبعاكسه في الإتجاه كما يقول نيوتن في نظريته الفيزيائية الثالثة.

بل من الأولىٰ لنا أن ننصحهم بشتىٰ الأساليب المدروسة سلفاً بصورة مباشرة أوغيرمباشرة بحسب طبيعة المذنبين وبحسب طبيعة الذنوب وكذلك حسب طبيعة الظروف المحيطة بهم، والأساليب لا حصر لها و لا عد.

---

١ ـ سورة فاطر، ٥.

فقد ورد عن عليّ بن الحسين عليه السلام ان آخر ما أوصي به خضر موسىٰ بن عمران عليهما السلام في لقائهما الّذي تم بينهما أنه قال له: (لاتعيّرن أحداً بذنب)، وكما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

(إذا وقع بينك وبين أخيك هنّة فلا تعيّره بذنب)، إذا حصلت مشكلة بينك وبين أخيك فلا تعيّره بذنب قد أحصيته عليه سلفاً وأعددته ليوم خلافك معه.

اما الّذين يجاهرون بارتكاب المعاصي كيف نتعامل معهم؟

هنا الوضع يختلف تماماً، حيث أصبح الأمر خطيراً يضر بالمجتمع المسلم جميعاً، فيجب الوقوف بوجوههم، وإيقافهم عند حدهم بما أوتي المجتمع من قوة ومن أساليب، كما ورد عن النّبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (ما إن تركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتّىٰ يوليّ عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلايُستجاب لهم). هنا نحن مأمورون ان نواجههم بوجوه مكفهرة، فقد ورد عن عيسىٰ عليه السلام أنه قال: (تحببوا إلىٰ الله ببغض أهل المعاصي).

وان من أعظم الواجبات الدينية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ قيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم وشرّ من ذلك، وكيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ قيل: يارسول الله

---

١ ـ آل عمران، الآية ١٠٤.

ويكون ذلك؟ قال: نعم وشرّ من ذلك، وكيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكرُ معروفاً[١].

وكما ورد عن آل محمد‍ﷺ: ان بالأمر بالمعروف تقام الفرائض وتأمن المذاهب وتحل المكاسب، و تمنع المظالم، وتعمر الأرض وينتصف للمظلوم من الظالم، ولايزال النّاس بخير ماأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البر فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسلط بعضهم علىٰ بعض ولم يكن لهم ناصرفي الأرض ولافي السماء[٢].

---

١ ـ تحف العقول / الحراني ص ٤١.
٢ ـ منهاج الصالحين / السيد الخوئى ج ١ ص ٣٥٠.

الفصل الخامس

دفع و مبارزة الشيطان

١ ـ الاستعاذة
٢ ـ ذكر الله سبحانه
٣ ـ تقوية الارادة
٤ ـ جهاد النفس

١ ـ الاستعاذة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

وتفسير هذا القول وحل الفاظه وشرح معانيه العقلية ان قولنا (اعوذ) مشتق من العوذ وله معنيان

أحدهما: الالتجاء والاستجارة[١]

وثانيهما: الالتصاق، يقال أطيب اللحم اعوَذه، وهو الملتصق منه بالعظم.

فعلىٰ الأوّل معنىٰ: اعوذ بالله: التجى إلىٰ رحمته وعصمته

وعلى الثاني معناه: الصقُ نفسي بفضل الله و رحمته

واما الشيطان ففيه قولان:

أحدهما[٢]: انه مأخوذ من البعد يقال: شيطن دارُك أي بَعُدَ فلا جرم سُمّي كل متمرد من الجن او الانس او الدواب شيطاناً لبعده عن الرشاد والسداد.

---

١ ـ التفسير الكبير ـ الفخر الرازي ج ١ص ٦٤و ٦٥

٢ ـ مجمع البيان ـ الطبرسي، ج ١، ص ١٨ .

ذكروا: ان بعض الخلفاء ركب برذوناً. فطفق يتبختر به، فجعل يضربه فلايزداد إلّا تبختراً فنزل فقال: ما حملتموني إلّا علىٰ شيطان.

الثاني[١]: انه مشتق من شاط يشيط: ولمّا كان كل متمرّد كالباطل في نفسه لكونه مبطلاً لمصالح نفسه، سمّي شيطاناً.

الرجيم: معناه المرجوم، فهو فعيل، بمعنىٰ مفعول، حكىٰ الله عن والد ابراهيمعليه‌السلام انه قال ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ سورة مريم ١٩ آية ٤٦.

قيل عني به الرجيم بالقول، وحكىٰ تعالىٰ عن قوم نوحعليه‌السلام أنهم قالوا ﴿...لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ سورة الشعراء ٢٦ آية ١١٦

وفي سورة يس ﴿...لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ...﴾ سورة يس ٣٦ آية ١٨

والوجه الثاني: إن الشيطان إنما وُصف بكونه مرجوماً لانه تعالىٰ أمر الملائكة برَمي الشياطين بالشهب الثواقب طرداً لهم من عالم السماوات ثم وصف بذلك كلّ شرير متمرّد، وقد ذهب الفخر الرازي في تفسيره الكبير إلىٰ ذكر هذا الوجه مع الوجه الأوّل وهو أنه مرجوم بالقول[٢].

واما مايتعلق بالمقاصد العقلية في هذا المقام من الكلام فالبحث عنه يعتمد علىٰ خمسة اركان هي:ـ

أ ـ الاستعاذة

ب ـ المستعاذ به

ج ـ المستعيذ

---

١ ـ نفس المصدر السابق.

٢ ـ التفسير الكبير ـ الفخر الرازي ج ١، صفحة ٦٤.

د ـ المستعاذ منه

هـ ـ ما يستعاذ لاجله

الركن الأوّل: الاستعاذة:

الاستعاذة لاتتم إلّا بعلم وحال وعمل:

اما العلم: فهو علم العبد بنفسه وبكونه عاجزاً عن جلب المنافع و دفع المضار الدينيّة و الدنيويّة، وبكون الله قادراً عليهما لايقدر أحد سواه علىٰ ذلك واذا حصل هذا الاعتقاد في القلب تولد فيه حالة الانكسار والتواضع ويعبّر عن تلك الحالة بالتضرّع إلىٰ الله والخضوع له. واذا حصل ذلك، حصلت صفة أخري في القلب وصفة في اللسان فالتي في القلب.

ان يصيرالعبد ملتجئاً إلىٰ الله، مريداً لأن يصونه عن الآفات، ويخصّه بافاضة الخيرات والحسنات.

واما التي في اللسان فهي ان يصير طالباً لذلك بلسانه، معبّراً به عمّا في جنانه وذلك هو الاستعاذة وهي قوله: أعوذ بالله.

إذن العمده هو علْم العبد بنفسه وبربّه. فما لم يعرف أحد عزَّة الربوبيّة وذلّة العبودية لاتصح منه الاستعاذة بالله، والذي يوضح ذلك أن الصادر عن العبد إمّا العمل وإمّا العلم وهو في كلا البأبين في غاية العجز.

اما العلم في اشدّ حاجة العبد إلىٰ الاستعاذة بالله في ازالة الشبهات ودفع الاخطاء والوساوس و الشكوك ولايكفي في ذلك اصل الفطرة، ولا استعمال القوانين الميزانيّة فكم من المحققين والعلماء رأيناهم قد تحيّروا واشكوّا، واذا

جاز ذلك على البعض جاز على الكل، فما اشد حاجة الإنسان للاستعاذة وبالاستعاذة إلىٰ واهب الحكمة وخالق الانس والجان ولهذا فانه تعالىٰ امرنبيّهﷺ بالاستعاذة بربّه في قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[١].

فهذه الاستعاذه مطلقة غير مقيّدة بحالة مخصوصة[٢].

واما قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[٣].

ففي كل حالة ومقام شيطاناً مخصُوصاً يجب الاستعاذة منه وكلّما كان الإنسان افضل واجل ومقامه أعلىٰ واكمل، كان شيطانه أقوىٰ واغوىٰ واضل، وله في لطائف الحيل وجوه أدق وأخفىٰ وعن طريق الاستقامة أعوج. وعن سنن الاهتداء أميل، وعن رؤية الحق احول، ولمّا كان مقام قراءة الوحي وسماع الآيات أجلّ المقامات، وقع الامر بالاستعاذة بالله فيه عن الشيطان المعروف بالبعد عن جناب الاحديّة فلهذا صار موصوفاً بصيغة المبالغة في المرجوميّة فرجيم بصيغة فعيل بمعنىٰ مفعول أي مرجوم.

فلما ثبت انه لانهاية لجهات نقصانات العبد ودرجات فقره وفتوره وقصوره، كما أنّه لانهاية لكمال رحمة الله وقدرته ومبالغ عنايته وحكمته، ثبت ان الاستعاذة بالله واجبة في كل الاوقات عقلاً، كما تجب سمعاً، فيجب علينا في اول

---

١ ـ سورة المؤمنون، ٩٧.

٢ ـ تفسير القرآن الكريم ـ صدر المتألهين ـ تحقيق محمد جعفر شمس الدين دارالنبأ الكويت ج ١صفحة. ١٢

٣ ـ النحل: ٩٨.

كل قول وعمل ومبدأ كل لفظة ولحظة ان تقول ضميراً او لساناً: اعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

كما أنّه ثبت في العلوم العقلية انه ما من موجود في الممكنات إلّا وله كمالٌ من جهة وفقر من جهة اوجهات، ولكل منها عشق لما حصل فيه من الكمال، وشوق إلىٰ ما هوفاقد له. ولهذا حكموا بسريان العشق والشوق في كل الموجودات. ثم ان الإنسان مختص من بين الموجودات بخاصيّة هي تطوّره في الاطوار وتبدَّله في الاحوال، فما من منزلة او مقام يصل إليه ـ سواء كان بحسب ميله الجبلّة والطبع، او بحسب الطّلب والارادة. إلّا ويشتاق إلىٰ ما وراءه ولايقنع به سواء كان من اللذات الدنيوية، كالجاه و المال، او من السعادات الاخرويّة، كالعلم والحال، وقد ورد في الحديث عن النبيﷺ: (منهومان لا يشبعان: منهوم العِلم، ومنهوم المال) وفي الجامع الصغير[1] (طالب علم وطالب مال) وجاء في الخصال[2] عن الصادقعليه‌السلام (... منهوم علم و منهوم مال) والحاصل ان الإنسان كلّما كان اكثر فوزاً بالمقاصد التي يشتاقها ويطلبها كان اعظم حرصاً واشدّ رغبةً في تحصيل الزائد عليها، ولمّا لم يكف لمراتب الكلمات نهاية، فكذلك لانهاية لدرجات الحرص والشوق. وهما لايخلوان من الم وزجر وكل ما هو في عالم الإمكان فانه لايخلو من نقص وقصور وآفة وفتور، وانما يتحقق الكمال الاتم والغاية القصوىٰ والجلال الارفع والنور الأعظم في الحضرة الالهية التي هي منبع السرور ومعدن الخير والنور، فما دام الإنسان بعيداً عن جناب القدس، غير راجع

---

١ ـ الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي: ج ٢ ص ١٨٤.

٢ ـ الخصال: الشيخ الصدوق ج ١ص ٥٣باب الاثنين.

إلىٰ ربّه فهو بعْدُ في الم الحرمان، محترقاً بنار الفرقة والفقدان ممنوّاً بمرض الحرص وآفة الهجران، فثبت ان هذا الداء عظيم لاقدرة للعبد علىٰ علاجه إلّا برجوعه إلىٰ خالق كل شئ، ومبدع كل حي، ومفيض كل وجود، وكمال كل موجود، بل هو مطلوب كل طالب، وإليه أوبة كل آئب، فمن أراد أن يسكن عن هذا الاضطراب ويتخلص عن الم الشوق إلىٰ بحر الحقيقة في هذا المنزل الذي يتمثل فيه السراب ماء، والداء دواء، والشبح أصلاً، والفرقة وصلاً، فيجب عليه أن يرجع فيه إلى الربِّ الرحيم، ويطمئن قلبُه بذكره، ويسكن إليه ويعوذ به ويلوذ إلىٰ جنابِهِ فيقول: اعوذُ بالله من الشيطان الرجيم، لأن الشيطان مبدأ كل بُعد ونقصان، ومنشأ كلٍّ شرٍّ وحرمان وخسران.

ان الله تعالىٰ يقول: وعزتي وجلالي لاقطعنَّ أمل كل مؤمّل غيرى باليأس، ولألبسنّه ثوب المذلّة عند الناس ولأجنّبنّهُ من قربي ولابعدنَّهُ من وصلتي، ولاجعلنّهُ متفكّراً حيران، يؤمّل غيري في الشدائد، و الشدائد بيدي، وانا الحيُّ القيّوم. و يرجو غيري ويطرق بالفكر ابواب غيري وبيدي مفاتيح الابواب و هي مغلقة وبأبي مفتوح لمن دعاني.[1]

الركن الثاني: في المستعاذ به

هذا مما ورد في الكتاب والحديث علىٰ وجهين:

الأوّل: أن يقال: اعوذُ بالله

---

١ ـ اصول الكافي ٢، الكليني كتاب الايمان والكفر باب التفويض إلىٰ الله تصحيح وتعليق الشيخ محمد جعفر شمس الدين.

الثاني: أن يقال: اعوذُ بكلمات الله والمراد بكلمة الله هي مفاد قوله ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[١].

فقوله وكلمته ليستا من جنس الاصوات والحروف، كما ان ذاته وصفاته ليستا من جنس الاجسام والكيفيات بل وليستا من جنس الجواهر والاعراض. بل قوله وكلامه وامره وجود صرف فكلماته هي موجودات مقدّسة روحانيّة أمرية، هي وسائط بين الله وبين الاكوان الخلقية، وبها نفاذ علمه وقدمته، وسريان مشيئته وأرادته في الكائنات بحيث يستحيل ان يعرض له مانع او عائق.

ولاشك أنه لايُحسن الاستعاذة باللهِ إلّا لكونه حكيماً متقناً في الافعال، نافذ المشيئة قاهراً في الاقوال، وانما وقعت الاستعاذة بكلمات الله التي هي من عالم الامر والنور من الشرور، لانها بريئة من كل شر وقصور، بخلاف ما في عالم الخلق، فإن الاجسام وما يتعلق بها ممنوّة بالآفات والشرور فوجب الاستعاذة من شرّ ما خلق بما في عالم الامر فقوله ﷺ اعوذ بكلمات الله التامات كلّها من شرِّ ما خلق. استعانة من الارواح البشرية بالارواح العلوية المقدسة في دفع شرور الارواح الخبيثة الظلمانيّة الكدرة[٢].

والدليل علىٰ ان المراد بكلمات الله هي الموجودات العقلية المحضة الالهيّة انها قد وصفت بالتامات، فإن الموجود اما ناقص، او مستكف، او تام، او فوق التمام، فالاول هو كالاجسام وما يحلّها، و المستكفي كالنفوس الفلكية ونفوس الانبياء عليهم السلام ماداموا في هذا العالم، حيث إنّها لم تفتقر في كمالها إلىٰ سبب خارج

١ ـ النحل: ٤٠.

٢ ـ تفسير القرآن الكريم ـ صدر المتألهين ج ١، ص ١٦.

عن مقوِّم ذاتها. والتام هو كالعقول المفارقة، حيث لم يكن لها كمال مرتقب وتمام منتظر، وانما تمام كل منها معه وغايته لايفارقه وهو مُبدعها ومنشئها و المتكلم بها، فالله جلّت وعظمت كلمته فوق التمام وغاية الغاية، اذ به تمام كل شئ، وحياة كل حيّ، ونور كل ذي ضوء وفيّ، و دواء كل مرض.

إذن الجسمانيات جواهرها واعراضها وطبائعها وآثارها لايكون حدوثها الا تدريجيّاً شيئاً فشيئاً، كالحركة التي هي الخروج من القوة إلى الفعل يسيراً يسيراً، فأما الابداعيات فانما يحصل تكوّنها و خروجها إلى الفعل دفعة واحدة قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحِۭ بِٱلْبَصَرِ﴾[1]

ومتىٰ كان الامر كذلك كان حدوثها عن الله شبيهاً بحدوث الحرف الذي لايوجد إلّا دفعة، أي في الآن الذي لاينقسم فلهذه المشابهة كان تمامها عين بدئها، فسميّت نفاذ قدرته تعالىٰ الحاصلة بها بالكلمة، ووصفت بالتامّة.

كما ان الكلام ليس أمراً خارجاً عن ذات المتكلم بما هو متكلم، وإن أمكن اعتباره غيره، فكذا كلمات الله، وهي جملة عالم الامر فليست من حيث هي كلمات الله إلّا سرادق عظمته وكبريائه، فليست هي من جملة العالم وما سوىٰ الله اذ بهذا الاعتبار لايعتبريها الدثور والحدثان، ولا التعدد والامكان فلا قديم إلّا الله وحضرته العلمية، فيحسن الاستعاذة بها.

وأما باعتبار مايترتب عليها ويظهر منها من الآثار المختلفة والاجرام والنفوس، والصور النوعيّة، فهي امور متكثرة حسب تكثر الانواع الطبيعية التي

---

١ ـ القمر، ٥٠.

للفلكيات والعنصريات. وهي بهذا الاعتبار من جملة عالم الجسمانيات الحادثة المتغيّرة، وتكون حادثة متغيّرة حسب حدوثها وتغيّرها.

فإذا حصل هذا، فقد انكشف أن الاستعاذة بكلمات الله إنّما تحسن وتليق، لأن الاستعاذة بها من حيث هي كلمات الله وأوامره استعاذه به تعالىٰ لابغيره وبما سواه، واما الاستعاذة بها من حيث هي موجودات ممكنة بذواتها، موجودة بوجود جوهري إمكاني افتقاري، فلا تحسن ولاتليق لانها حينئذٍ تكون الاستعانه بها بغير الحق، ومن استعان بغير الله ذل[١].

ان قول العبد (اعوذ بكلمات الله التامّات) لائق به وملائم له إذا كان بعدُ لم يصل إلىٰ صفو العبوديه، ومقام الرجوع التام، اما إذا تغلغل في بحر التوحيد، وتوغّل في بحر الحقائق وصار بحيث لا يرىٰ في الوجود إلّا الله الواحد، لم يستعذ إلّا بالله، ولم يلتجئ إلّا إليه ولم يعوّل إلّا عليه.

اما الانبياء والاولياء(عليهم الصلاة والسلام)اعلىٰ وأجل من هذا المقام وانما تجري منهم الاستعاذة والدعاء والمناجاة ومايجري مجراه اما تعليماً للأُمّة، وامّا لنزولهم إلىٰ مباشرة الناس ماداموا في الحياة الدنيا، لأن من كان في هذه المرتبة كانت قبلته في دعائه واستعاذته طلب راحة نفسه.

الركن الثالث: المستعيذ

ان القرآن الكريم والاخبار يدلان علىٰ ان كل إنسان ملزم عقلاً ان يستعيذ

---

١ ـ تفسير القرآن الكريم ـ صدر المتألهين ج ١، ص ١٨ .

بالله (اعوذ بالله) أمر منه لعباده أن يقولوا ذلك فيدل علىٰ انه يجب عليهم ذلك ولانه تعالىٰ امر نبيّنا ﷺ بالاستعاذة مرّة بعد أُخرىٰ ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[١].

و قال ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[٢].

و قال ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[٣].

و قال ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٤]

و قال ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[٥]

فهذه الآيات تدل علىٰ ان النبي ﷺ مأمور بالاستعاذة بالله سبحانه والأمر بها له أمر بها للأُمّة اذ لاخصوصيّة للاستعاذة له ﷺ دون الأمّة ولانه تعالىٰ حكىٰ عن نوح عليه السلام انه قال: ﴿أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْئَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾[٦]

وحكىٰ عن يوسف عليه السلام انه قال ﴿مَعَاذَ ٱللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾[٧]

وقوله لمّا قيل له خذ أحدنا مكانه قال ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذاً لَّظَٰلِمُونَ﴾[٨]

وحكىٰ عن موسىٰ عليه السلام انه لمّا أمر قومه بذبح البقرة و ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً

---

١ ـ سورة المؤمنون، ٩٧.
٢ ـ سورة الفلق، ١.
٣ ـ سورة الناس، ١.
٤ ـ سورة الأعراف، ٢٠٠.
٥ ـ فصلت، ٣٦.
٦ ـ هود، ٤٧.
٧ ـ يوسف، ٢٣.
٨ ـ يوسف، ٧٩.

قال أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾[١]، وانه لمّا خوّفه القوم بالقتل قال: ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾[٢].

وقال في آية أخري ﴿إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾[٣] وحكىٰ عن أم مريمعليها السلام امرأة عمران قالت: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[٤].

وان مريم لمّا رأت جبرئيلعليه السلام في صورة بشر يقصدها في الخلوة ﴿قَالَتْ إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً﴾[٥]، جميع ذلك علىٰ وجه المدح والاستحسان هذه الآيات دالّة علىٰ ان الأنبياءعليهم السلام والأولياءعليهم السلام كانوا أبداً في الاستعاذة بالله من شر شياطين الإنس والجن.

و اما الاخبار فهي كثيرة جداً واظهر من ان تُخفي او تُحصي[٦].

ويقول صاحب المجمع ما نصُّهُ (امر الله بالاستعاذة من الشيطان إذ لايكاد يخلو من وسوسته الإنسان فقال...)[٧].

ولا يفوتني ان اذكر هنا ان حكم الاستعاذة الشرعي هو الندب والأستحباب.

١ ـ البقرة، ٦٧.

٢ ـ الدخان، ٢٠.

٣ ـ غافر، ٢٧.

٤ ـ سورة آل عمران، ٣٦.

٥ ـ مريم، ١٨.

٦ ـ تفسير القرآن الكريم ـ صدر المتألهين ج ١، ص٢١.

٧ ـ مجمع البيان ـ الطبرسي ج ١ ص ٨٩

الركن الرابع: المستعاذ منه

المستعاذ منه من الامور الواقعة تحت القضاء في عالم الخلق والتقدير من ذوات الشرور اللازمة او العارضة، سواء كانت من الاشياء الضارّة الداخلة في باطن الإنسان وإهابه، كقواه المدركة والمحركة التي رئيسها القوّة الوهمية المطيعة لاغواء الشيطان ووساوسها الباطلة المذعنه له في قضاياه الكاذبه الاعتقادية وغيرهاالمغترّه بمايورده عليها من باب الوعد بالشروالايعاد بالخيروالامربالمنكرات والنهي عن المعروفات وغير ذلك من الأماني والآمال.

او كانت من الاشياء الضارّة الخارجة عنه، سواء كانت إنسانيّة كالاعداء والخصوم الدينيّة و الدنيويّة، او حيوانيّة كالضواري والوحوش والحشرات، او نباتيّة كالسموم او جمادية كالاسلحة او غازيّة وغيرها وهذه الموجودات كلها مما تتضمن خيرات كثيرة وتتضمن شروراً في بعض الاوقات، فلهذا ينبغي علىٰ الإنسان أن يستعيذ منها جميعاً دلَّ عليه ما روي عن رسول الله ﷺ من انه كان يقول هذه الكلمات التي علّمه جبريل لما أُسرى به ليلة المعراج وهي قوله:

«اعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التي لايجاوزهنَّ برٌّ ولافاجر من شرِّ ماينزل من السماء، و ما يعرج فيها، وشرِّ ماينزل من الارض وما يخرج منها، وشرِّ فتن الليل والنهار ومن شرِّ طوارق الليل والنهار إلّا طارقاً يطرق بخير».

ومما يدل علىٰ ان الإنسان ان يستعيذ بالله من جميع هذه الشرور الواقعة في عالم الخلق، انه قد أمر الله نبيّه ﷺ في سورتي المعوذتين بالاستعاذة من كلها، و أشار إلىٰ مجامع أقسام هذه الشرور مجملاً و مبيّناً فقال ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾...

إلىٰ آخر المعوذتين أي فالق ظلمة العدم بنور الوجود هوالله فاستعذ به، وذلك من لوازم خيريّته المطلقة الصادرة منه بالقصد الأوّل.

ولول الموجودات الصادرة منه هو عالم أمره وقضائه وليس فيه شر اصلاً، لأن عالم الامر خيرٌ كله، فأمر نبيّه بالاستعاذه من موجودات عالم الاجسام.

قوله تعالىٰ ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي من شرٍّ من يحملُ شرّاً من الانس والجن والحيوانات وسائر ما لَهُ شرٌّ من الخلق فأن اشتمال مطلق ما خلق على الشرِّ لا يستلزم الاستغراق[١].

ثم امر نبيّه بالاستعاذة منه وقال ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ والغاسق هو الليل اذا اظلم وهو معنىٰ وقب، أي من شرِّ الليل إذا دخل بظلامه، او من شرِّ ما يحدث بالليل من الشرِّ والمكروه[٢].

والمراد به الشرور الداخلة في بدن الإنسان من الفواسق الجسمانية والقوىٰ الظلمانية فإن النفس الانسانيّة النطقيّة خلقت في جوهرها نقيّة صافية قابله لانوار الحقائق وصورها الحقّة، منزّهة عن الكدورات الماديّة، وتلك الطاقة والانوار لاتزول عنها إلّا بهيآت ترتسم في جوهرها من مقارنة هذه القوىٰ الداخلة في مادة بدنها، فتكون تلك الظلمة متجددة عليها من هذه الغواسق الظلمانية.

وهذا النزاع نشأ اولاً بين آدمعليه السلام والشيطان حيث ان الشيطان لو لم يغلب في فطرته جهة الوهم علىٰ جهة العقل ولم يتجوهر بملكة الجهل لم يصر شيطاناً وابليساً ـ وهو الداء العضال ـ امرالله بالاستعاذة منه.

---

١ ـ الميزان ـ الطباطبائي ج ٢٠ صفحة ٣٩٢

٢ ـ مجمع البيان ـ الطبرسي ج ١٠ م ٥ صفحه ٨٦٦

اما في قوله تعالىٰ ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ فأنه أراد بالوسواس مايوقع الوسوسة كالقوة المتخيّلة في الداخل والشخص الموسوس في الخارج فانهما مستعملتان للنفس الحيوانيّة ويحركانها حركة علىٰ خلاف ما يقتضيها توجه النفس الناطقة المنازعة المتوجهة إلى المبادئ العالية.

والموسوس الخارجى إنما يصل أثر وسوسته إلى النفس بواسطة الموسوس الداخلي، أي المتخيّلة.

والمراد من (الصدر) مسكن النفس الحيوانيّة وكرسيِّها، كما أن القلب عرش النفس الناطقة، و تأثير الوسوسة لايصل إلى القلب، بل إلى الصدر، ولذا قال ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ ولم يقل في قلوب الناس.

فأن اصحاب القلوب لاتؤثر فيهم الوسوسة ثم قال ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَ ٱلنَّاسِ﴾ تنبيهاً على القسمين و اشارة إلى القبيلتين[١].

ايها المستعيذ بنور معرفة الله من شرور عالم الاكوان، ان هذه الشرور متفاوته المراتب في البشرية، وكلّما كانت شرّيتهُ اعظم، تجب الاستعاذة منه اكثر، ومعلوم ان شرور الآخرة أشد من شرور الدنيا بل لانسبة بينهما كما لا نسبة بين خيرات الآخرة وخيرات الدنيا، لأن البقاء الاخروى غير متناه، وخيراتها ولذاتها عقلية او مثالية باطنية، و عالم العقل عظيم الفُسحة وكذا طبقات الجنان و لذّاتها إلىٰ لذات المقربين و الابرار.

ولا نسبة لما ينالُه أهل الجبروت والملكوت من الملائكة المقربين،

---

١ ـ تفسير القرآن الكريم ـ صدر المتألهين ج ١، ص ٢٥ .

والانبياء المرسلين، والاولياء الكاملين عليهم السلام ومن يتلوهم من السعداء الصالحين، من ملاحظة جمال الله وجلاله، وحضرة رب العالمين إلىٰ ماينالهُ أهل الحواس الخمس من البهائم والسباع والدواب والانعام ومن يحذو حذوها، من لذّات البطن والفرج والرياسة في هذه الحياة الفانية المشوية بالكدورات الممزوجة بالآفات، فالاستعاذة بالله مما يضرُّ في الآخرة، ويضاد للسعادة الآجلة يجب أن يكون أشدّ من الاستعاذة به مما يضرّ في الدنيا ويضادّ للسعادة العاجلة، على النسبة التي بين خيرات النشأتين وشرورها.

ثم إن أعظم تلك الامور تأثيراً في الإضرار بجوهر النفس الانسانية بحسب النشأة الاخروية، هي الاشياء الداخلة في إهابها، الجارية مجرىٰ الدم في عروقها وهي القوىٰ الحيوانية المدركة والمحرِّكة المشار اليهما في قوله: بخيلك ورِجلِك لأنّ جميعها لم يرتَضْ بالرياضات الدينيّة ولم يتأدب بالآداب العقلية، كانت من اعداء الله واولياء الطاغوت وجنود الشيطان، لانها واقعة في عالم البُعد ومهوىٰ الشياطين، و هي مفطورة مطبوعة علىٰ أفعال وأعمال مهويّة مبعّدة للإنسان عن دار الكرامة ومحل القرب من الله و منبع الخير والنور، فلاجَرَمَ تجيب دعوة الشيطان الذي هو رئيس الظلمة وولي أهل الظلمات فيجب علىٰ كل أحد ان يستعيذ أشدَّ الاستعاذة من شرور هذه الامور الداخلة في هيكل الإنسان، وهي التي تكون آله له و معينة إيّاه في سفره إلى الحق من وجه، ووبالاً عليه من وجه آخر، فمن وجهٍ كلها له ومن وجهٍ كلها عليه. كذلك حكم الشيطان، ولاجل ان مبدأ شريّة هذه القوىٰ النفسانيّة والحيوانيّة و اصلها هو الشيطان، وهي من توابعه وجنوده عند تعصيّها عن طاعة العقل المنوّر بنور الشرع، فتكون شرّيرة مثله،

وانزل منه، فوقعت الاستعاذة تارة منه كما في قوله:(اعـوذ بـالله مـن الشـيطان الرجيم) وتارة من هذه القوىٰ كما في قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[١].

ويقرب من هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[٢].

أي وقل ياربّ اعتصم بك من نزغات الشياطين و وساوسهم عن ابن عباس والحسن و المعنىٰ من دعائهم إلى الباطن والعصيان ومن شرورهم في كل شيء يخاف فيه من ذلك[٣].

الركن الخامس: فيما يستعاذ لاجله:

وهي المطالب التي لاجلها يسعيذ الإنسان بالله وكلماته مما هو شر وبال له اوهي (العلة الغائيّة)، كما إن الإنسان مما فطره الله بحيث يكون فيه استعداد كل صفة وحال، وأهليّة كل فضيلة وكمال، وما من شرف وفضيلة وكمال إلاّ وفي الإنسان قوة ذلك وأصله وفيه بذره وذلك الاصل والمبدأ في الإنسان هو عقله الذي هو مادة التحقق بحقائق الاشياء كلها، وذلك العقل هو خياله الذي هو طراز عالم الحس و صورة الصور في عالم الأجسام ومادة المواد في عالم العقل والامر.

---

١ ـ سورة الفلق.

٢ ـ سورة المؤمنون، ٩٧.

٣ ـ مجمع البيان ـ الطبرسي ج ٧صفحة ١٨٦

كما ان فيه بذره في استعداده في اول أمره ومبدأ تكوّنه.

وذلك لسرٍّ الهي وفطرة ربّانية مودعة في ماهيته ومبدعة في فطرته الاصليّة، وامّا إذا مرّت عليه أحوال ودهور ومضت عليه سنون وشهور، فإما ان يخرج هذه الكمالات او كلّ الكلمات من القوة إلى الفعل.

إذ له قوّة علىٰ كل شيء وقوة أيضاً علىٰ مقابله وضدّه هذا مادام في هذا الكون الدنيوي. وأما إذا خرج من الدنيا فقد بطلت قوّته وزال استعداده.

ان مطالب الإنسان غير متناهية، ومقابلاتها غير متناهية، يجب عليه ان يستعيذ لأجل كل مطلوب مما يعوقه عنه ويمنعه سواء كان وجوديّاً او عدميّاً.

فلا خير من الخيرات إلّا وهو يحتاج إلىٰ تحصيله، ولا شرَّ من الشرور إلّا وهو يحتاج إلىٰ دفعه عنه وابطاله، وذلك في أوائل نشأته و مبادئ تكوينه.

وأما عند رسوخ بعض الصفات والأخلاق وتأكد نوع من الملكات والقدرات فليس كذلك، ولهذا لاينفع التعويذ والتحذير لبعض الناس، كما لا ينجع لهم الدعوة والتأديب والارشاد والتهذيب لبطلان قوتهم وزوال استعدادهم لجانب الفضيلة والكمال، لتكرر اعمال قبيحة صدرت منهم تعدّ لنفوسهم هيئة مضادّة لها من باب الرذيلة والوبال، كما قال تعالىٰ: مخاطباً لمن هو مبعوث لهداية الخلق وتهذيبهم و ارشادهم ﷺ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[1]

وقوله ﴿وَمَآ أَنْتَ بِهَـٰدِي ٱلْعُمْيِ عَنْ ضَلَـٰلَتِهِمْ﴾[2].

وقوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا

١ ـ القصص، ٥٦.

٢ ـ النمل، ٨١.

يُؤْمِنُونَ﴾[١].

وقوله تعالىٰ ﴿وَلَـٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[٢]، وغير ذلك من الآيات الدّالة علىٰ بطلان الاستعدادات ومسخ البواطن[٣].

إن الإنسان بحسب مبادىء خلقته مختص من بين سائر الموجودات كما يذهب النوري رحمه الله فيقول: ان الكمّل من افراد الإنسان وإن كانوا لايحتاجون إلىٰ الاستعاذة من جهة مقاماتهم الالهية ولكنّهم ماداموا في الدنيا يحتاجون في مقاماتهم البشرية.اللهم إلا أن يكون تعلّقهم بالابدان الدنيوية اختيارياً لا افتقارياً.

فالانسان مُختصٌ من بين المخلوقات في احتياجه إلىٰ تحصيل جميع الخيرات والاستعاذة من جميع الشرور، وأمّا غيره فليس كذلك.

إذن لكلٍّ من سكان عالم الخلق والامر مقام معلوم، وليس لأحد منها خاصيّة استعداد الترقي اي كل كمال، والتطور بكل طور وحال إلّا بعض افراد البشر فقوله:

اعوذ بالله ينبغي أن يكونَ متناولاً لدفع جميع الشرور والآفات الروحانيّة والجسمانية وكلّها امور غير متناهيّة.

ان الشرور المقابلة للخيرات، اما ان تكون من الاعتقادات الحاصلة في النفوس، او من باب الاعمال الصادرة من قوىٰ النفوس والأبدان، او الانفعالات

---

١ ـ البقرة، ٦.
٢ ـ الزمر، ٧١.
٣ ـ تفسير القرآن الكريم ـ صدر المتألهين ج ١ص ٢٨

الواردة علىٰ الإنسان من خارج، فهي ثلاثة اقسام: ـ

اما القسم الأوّل: فيدخل فيه جميع العقائد الباطلة، وهي غيرمتناهية لأن المعلومات غيرمتناهية، كل منها يمكن أن يعتقد اعتقاداً حقّاً صحيحاً، ويمكن أن يعتقد اعتقاداً باطلاً خطأ ويدخل في جميع الآراء والمذاهب الباطلة لفَرق الضلال كلّها في العالم، ومنها اثنان وسبعون في هذه الامّة وما سواها خارج عنها فقوله (اعوذ بالله) يتناول الاستعاذة من كل واحد منها.

واما القسم الثاني: المتعلق بالاعمال النفسيّة والبدنيّة فمنها ما يضرّ في الآخرة، ومنها ما يضرّ في الدنيا.

اما الأوّل فكل ما نهىٰ الله عنه بحسب نصّ الكتاب والسنّه والاجماع، وضرب من القياس أي (قياس منصوص العَلّة)

وبِحسب ما يستنبط من هذه الاصول بالاجتهاد وهي خارجة عن الحصر والضبط.

واما الثاني: فهو جميع الالام والاسقام والآفات والمتاعب والمشاقّ مما هي خارجة عن العدّ.

كما يدلّ عليه الاحاطة بمسائل الطب وغيرها ويظهر منها أن في كل واحد من الاعضاء، بل في كل جزء صغير منها، انواعاً من الآلآم والاسقام والاوجاع.

واما القسم الثالث: فجميع المكروهات الواصلة إليه من الحرق والغرق والفقر والقتل والنهب و الشتم، وآثار الجور والظلم والبهتان والافتراء عليه وشهادة الزور في حقِّه والسرقه والاتلاف والايلام و العداوة و البغضاء، وغير ذلك مما لا يعدّ ولايحصىٰ فقوله (اعوذ بالله) يجب ان يتناولها كلها، ويجب علىٰ كل

عاقل أن يستعيذ منها، واذا أراد ان يقول أعوذ بالله يستحضر هذه الاقسام من الاجناس الثلاثة و أنواعها، وانواع انواعها واعدادها التي لاحدّ لها ولاعدًّ في خياله، ثم يعرف ان قدرة جميع الخلائق غير وافية بدفع شرور هذه الاقسام، فحينئذٍ يلتجيء إلى العليم القدير الذي قدرته شاملة لجميع المقدورات، وعلمه محيط بها فيقول: اعوذ بالله من شرِّ ما خلق ومن شرِّ ما علمتُ ومالم أعلم.

٢ ـ ذكر الله

قال تعالىٰ: ﴿يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾[١]

ورد عن ابن عباس عن النّبي ﷺ قال من عجز عن الليل ان يكابده و جبن عن العدو ان يجاهده و بخل بالمال ان ينفقه فليكثر ذكر الله عزوجل، ثم اختلف في معنىٰ الذكر الكثير، فقيل هو ان لا ينساه بدأ عن مجاهد و قيل ان يذكره سبحانه بصفاته العُلا و اسمائه الحُسنىٰ و ينزهه عما لا يليق به و قيل ان يقول سبحان الله والحمد لله و لا اله إلّا الله و الله اكبر علىٰ كل حال عن مقاتل، وقد ورد عن أئمتنا عليهم السلام انهم قالوا من قالها ثلاثين مرة فقد ذكر الله ذكراً كثيرا[٢].

فالذكر الكثير هو ان يرقب الله في كل حركة وسكون و قول و سكوت وفعل و سكون لانها جميعاً تخضع إلىٰ حكم شرعي اما أن يكون واجباً او حراماً او مندوباً او مكروهاً او مباحاً و ثم في مكان آخر قال تعالىٰ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[٣]

الذكر ربما يقابل الغفلة كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾[٤].

او ربما يقابل النسيان وهو زوال صورة العلم عن خزانة الذهن فالذكر

---

١ ـ الأحزاب، ٤١.
٢ ـ مجمع البيان ـ الطبرسي ج ٨ص ٥٦٨ـ٥٦٧
٣ ـ البقرة، ١٥٢.
٤ ـ الكهف، ٢٨.

خلاف النسيان و منه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ ولذلك ربما أطلق كالنسيان في موارد تتحقق فيها آثارهما و إن لم تتحقق أنفسهما فانك لم تنصر صديقك، وانت تعلم حاجته إلىٰ نصرك فقد نسيته، والحال انك تذكره و كذلك الذكر[١].

والظاهر ان اطلاق الذكر على الذكر اللفظي من هذا القبيل فإن التكلم عن الشيء من آثار ذكره قلباً، قال تعالىٰ: ﴿سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً﴾[٢] ونظائره كثيرة، ولو كان الذكر اللفظي أيضاً ذكراً حقيقة فهو من مراتب الذكر لانه مقصور عليه ومنحصر فيه، وبالجملة الذكر له مراتب كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[٣]، وقال: ﴿وَٱذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[٤].

وقال تعالىٰ: ﴿فَاذْكُرُوا ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً﴾[٥]

فالشدة يتصف به المعنىٰ دون اللفظ وقال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هٰذَا رَشَداً﴾[٦].

فالذكر القلبي ذو رتب في نفسه، حيث إذا تنزلت من مرتبة إلىٰ مرتبة دونها وهو النسيان، فاذكر ربك و ارجو بذلك ما هو أقرب طريقاً واعلىٰ منزلة فينتج ان الذكر القلبي ذو مراتب.

---

١ ـ الميزان ـ الطباطبائي ج ١ ص ٣٣٩
٢ ـ الكهف، ٨٣.
٣ ـ الرعد، ٢٨.
٤ ـ الأعراف، ٢٠٥.
٥ ـ البقرة، ٢٠٠.
٦ ـ الكهف، ٢٤.

ولقد تكاثرت الاخبار في فضل الذكر منها في عدة الداعي قال: ان رسول الله ﷺ قد خرج علىٰ اصحابه فقال: ارتعوا في رياض الجنّة، قالوا: يارسول الله و ما رياض الجنّة؟ قال: مجالس الذكر اغدوا وروحوا و اذكروا، ومن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله تعالىٰ ينزل العبد حيث أنزل العبد الله من نفسه، واعلموا: أن خير اعمالكم عند مليككم و أزكاها و أرفعها في درجاتكم، وخير ما طلعت عليه الشمس ذكر الله تعالىٰ، فانه تعالىٰ اخبر عن نفسه فقال: انا جليس من ذكرني، وقال تعالىٰ: فَاذكروني أذكركم بنعمتي، اذكروني بالطاعة و العبادة اذكركم بالنعم و الاحسان و الراحة و الرضوان.

وعن الصادق عليه السلام قال: ان الله تبارك وتعالىٰ يقول: من شغل بذكرى عن مسألتي، اعطيه افضل ما اعطي من سألني.

وفي المعاني عن الحسين البزّاز قال: قال: لي ابوعبدالله عليه السلام ألا أحدثك باشد ما فرض الله علىٰ خلقه؟ قلت: بلىٰ قال إنصاف الناس من نفسك، ومواساتك لاخيك و ذكر الله في كل موطن، اما اني لا أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله إلّا الله و الله اكبر وان كان هذا من ذاك. ولكن ذكر الله في كل موطن إذا هجمت علىٰ طاعته او معصيته.

وفي عدة الداعي عن النّبي ﷺ: قال قال سبحانه، إذا علمت ان الغالب علىٰ عبدي الاشتغال بي، نقلت شهوته في مسألتي ومناجاتي فإذا كان عبدي كذلك واراد ان يسهو حلتُ بينه و بين أن يسهو، اولئك اوليائي حقاً، اولئك الابطال حقاً، اولئك الذين إذا اردت أن اهلك أهل الارض عقوبة زويتها عنهم من اجل اولئك الابطال.

وفي المحاسن عن الصادقعليه السلام قال: قال الله تعالىٰ: ابن آدم اذكرني في نفسك اذكرك في نفسي، ابن آدم اذكرني في خلاء اذكرك في خلاء، اذكرني في ملأ اذكرك في ملأ خير من ملأك، وقال: ما من عبد يذكر الله في ملأ من الناس إلّا ذكره الله في ملأ من الملائكة.

وقد روي بهذا المعنىٰ الكثير في كتب الفريقين العامة والخاصة.

وفي الدر المنثور اخرج الطبراني وابن مردوية والبيهقي في شعب الايمان عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أعطىٰ اربعاً أُعطي اربعاً، وتفسير ذلك في كتاب الله، من أُعطي الذكر ذكره الله، لأن الله يقول: اذكروني اذكركم، ومن أُعطي الدعاء أُعطي الاجابة، لأن الله يقول: أدعوني استجب لكم، ومن أُعطي الشكر أُعطي الزيادة، لأن الله يقول، لئن شكرتم لازيدنكم، ومن اعطي الاستغفار اعطي المغفرة لأن الله يقول: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾.

وفي الدر المنثور أيضاً أخرج سعيد بن منصور و ابن المنذر و البيهقي في شعب الايمان عن خالد بن أبي عمران، قال: رسول الله، من اطاع الله فقد ذكر الله، و ان قلّت صلاته و صيامه و تلاوته للقرآن، و من عصىٰ الله فقد نسى الله و ان كثرت صلاته و صيامه و تلاوته للقرآن.

في هذا الحديث اشارة إلىٰ ان المعصية لاتتحقق من العبد إلّا بالغفلة والنسيان فان الإنسان لو ذكر ما حقيقة معصيته ومالها من الاثر لم يقدم علىٰ معصيته.

وفي الدر المنثور، عن أبي هند الداري، عن النّبيصلى الله عليه وآله قال الله: اذكروني بطاعتي اذكركم بمغفرتي ومن ذكرني ـ وهو مطيع ـ فحق عليّ ان اذكره بمغفرتي

ومن ذكرني ـ وهو عاص ـ فحق عليّ ان اذكره بمقت[١].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[٢]

الاطمئنان هو الاستقرار و السكون والايمان بالله سبحانه يلازم اطمئنان القلب، ولا ينافي ما في قوله تعالىٰ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[٣]، فإنّ الوجل المذكور فيه حالة قلبية متقدمة على الاطمئنان المذكور المبحوث عنها كما يرشد إليه قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰباً مُّتَشَٰبِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَآءُ﴾[٤]، ذلك ان النعمة هي النازلة منه سبحانه و النقمة هي امساك منه عن افاضة النعمة.

وقال الطبرسي في مجمع البيان: وقد وصف الله المؤمن ههنا بأنه يطمئن قلبه إلىٰ ذكره ووصفه في موضع آخر بأنه إذا ذكر الله وجل قلبه لأن المراد بالاول انه يذكر ثوابه وإنعامهُ والآءه التي لا تحصىٰ واياديه التي لا تجازى فيسكن إليه، وبالثاني يذكر عقابه وانتقامه فيخافه ويوجل قلبه.

وقوله ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[٥] فيه تنبيه للناس أن يتوجهوا إليه ويريحوا قلوبهم بذكره فانه لا همَّ للإنسان في حياته إلاّ الفوز بالسعادة والنعمة ولا

---

١ ـ الميزان ــ الطباطبائي ج ١، ص ٣٣٩ ـ ٣٤٢.
٢ ـ الرعد، ٢٨ .
٣ ـ الأنفال، ٢ .
٤ ـ الزمر، ٢٣ .
٥ ـ الرعد، ٢٨ .

خوف له الا من ان تغتاله الشقوة والنقمه والله سبحانه هو السبب الوحيد الذي بيده زمام الخير ويرجع إليه الامر كله، وهو القاهر فوق عباده والفعال لما يريد وهو ولي عباده المؤمنين.

فكل قلب يطمئن بذكر الله ويسكن به مافيه من القلق والاضطراب، نعم انما ذلك في القلب الذي يستحق ان يسمىٰ قلباً وهو القلب الباقي علىٰ بصيرته ورشده، واما المنحرف عن اصله الذي لا يبصر ولا يفقه فهو مصروف عن الذكر محروم عن الطمأنينة قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[١]، وقال: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[٢]

وقال: ﴿نَسُوا ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[٣].

وفي لفظ الآية حصر حيث قدم متعلق الفعل اعني قوله (بذكر الله) عليه فيفيد ان القلوب لا تطمئن بشيء غير ذكر الله سبحانه[٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[٥].

فمن اعرض عن ذكر الله وعن القرآن وعن الدلائل التي أنزلها الله سبحانه لعباده وصدف عنها ولم ينظر فيها فإن له عيشاً ضيقاً وهو ان يقتّر عليه في رزقه

---

١ ـ الحج، ٤٦.
٢ ـ الأعراف، ١٧٩.
٣ ـ التوبة، ٦٧.
٤ ـ الميزان ـ الطباطبائي ج ١١ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦.
٥ ـ طه، ١٢٤ ـ ١٢٦.

فان وسَّع عليه فانه يضيّق عليه المعيشه بان يمسكه ولا ينفقه، وان انفقه فإن الحرص على الجمع وزيادة الطلب يضيِّق المعيشة عليه، وقيل عذاب القبر وقيل طعام الضريع و الزقوم في جهنم وقيل الحرام في الدنيا وقيل عيشاً ضيقاً في الدنيا و سائر ما يشوبها و يكدرها.

ثم يحشر اعمىٰ البصر و مكفوف لا يرىٰ شيئاً او ثم يحشر أعمىٰ عن الحجّة، فلا حجّة له يهتدي اليها ولا مانع منه او يخرج من قبره بصيراً فيعمىٰ في حشره، فاعماه الله عن طريق الحق وهنا النسيان بمعنىٰ الترك فكما اتتك آياتنا فتركتها ولم تهتم بها في الحياة الدنيا فانك متروك هنا ولا يُسمع لك صوت لتكون فضيحة، كنت اعمىٰ القلب فتركت آياتي ولم تنظر فيها، وكما تركت اوامرنا فجعلتها كالشيء المنسي تترك اليوم في العذاب كالشيء المنسي[١]

١ ـ مجمع البيان ـ الطبرسي ج ٧ص ٥٧ـ٥٥

٣ـ تقوية الارادة

ان تقوية الارادة، وعلو الهـمة، وصـدق النـية، والاخـلاص فـي القـصد، والاصرار على الحق، و قصد السبيل كلها ملاكها واحد تـعتمد العـقيدة السـليمه الصالحة، فإن قصور النفس عن طلب معالي الامور وقناعتها بادانيها هو من نتائج ضعف النفس و خدرها وصغرها.

اما قوة الاراده و علو الهمة فعلي العكس حيث يعتمد علىٰ كمال النفس في طلب المعالي و قناعتها بالاعلىٰ دون قناعتها بالادون وهذا من نتاج قوة النفس، ولا يمكن للنفس ان تكون قوية دون العقيدة الصحيحه السليمة الواضـحة التـي تركن اليها الذات وتطمئن لها النفوس.

وهذا مما يؤدّي إلى السعي في تحصيل السعادة والكمال وطـلب مـعالي الامور من دون ملاحظة منافع الدنيا و مضارها. حتىٰ لا يعتريه السرور بالوجدان ولا الحزن بالفقدان بل لا يبالي في طريق الطلب بالموت والقتل و شتىٰ صنوف التضحيات وصاحب هذه الملكة (قوي الارادة) هو المؤمن الحقيقي فكل ما يقوي الايمان يقوي العزيمة والارادة والعكس صحيح كل ما يضعِّف الايمان يُـضعِّف الهمة والارادة.

إذن وضوح الطريق السالك إلىٰ الله عبر التضحيات، حيث لا يبالي بالموت بل يجده اعظم سرور يصل إليه إذا كان في رضا الله وطاعته، و هذه الملكه مـن نتاج كبر النفس وشجاعتها و هي اعظم الفضائل النفسانية، اذ كل من وصـل إلى المراتب العظيمة والامور العالية، فانما وصل اليها لاجلها، اذ صاحبها لا يـرضىٰ

بالمراتب الدنية، ويشمر لتحصيل المراتب العالية.

وفي جوهر الإنسان وجبلّته أن يصل إلىٰ كل ما يجتهد إليه[١] ﴿وَٱلَّـذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَـمَعَ ٱلْـمُحْسِنِينَ﴾[٢]

من طلب الشيء وجدَّ وجد، ومن افراد علو الهمة والارادة الشهامة، وهو الحرص علىٰ اقتناء عظائم الامور توقعاً لجميل الذكر علىٰ مر الدهور.

إذن كل ما يقوي القناعة يقوي الارادة، والقناعة لاتحصل بالالتماس والطلب اوبالاكراه والفرض، وانما تأتي من خلال دراسة حقيقية وكشف دقيق لحقائق الامور يتحرك فيها الوجدان، وتنكشف اسرار الخلق والوجود، وركائز هذا الدين القويم ليسلك بصاحبه الصراط المستقيم فتبدأ درجات القوة ترتفع لدىٰ صاحبها شيئاً فشيئاً، سيما إذا تعرض صاحبها إلىٰ هزّات قوية، و منعطفات مهمة، تكشف له ما اراده له عالم الغيب و الشهادة، فترتفع همته وتقوىٰ ارادته، فجهاد النفس واداء الفرائض و تلاوة القرآن والعمل الواعي في سبيل الله سبحانه والسعي والجد والمثابرة والمتابعة وطلب الحقيقة وتحمل المسؤولية اتجاه الذات والاسرة والمجتمع ومسؤولية الدين والدنيا والآخرة كلها عوامل حقيقية تؤدي إلىٰ تقوية الارادة واسباب مباشرة تغذّيها وتنمّيها وتزكّيها.

وكما ورد في دعاء كميل (قوّ علىٰ خدمتك جوارحي واشدد على العزيمة جوانحي، وهب لي الجد في خشيتك...)[٣].

---

١ ـ جامع السعادات ـ النراقي ج ١ص٢٦٣

٢ ـ العنكبوت، ٦٩.

٣ ـ دعاء اميرالمؤمنين عليه السلام ـ مفاتيح الجنان / عباس القمى ص ١٠٠

كما ان تقوية الارادة وجهاد النفس يلتقيان في الاسباب والنتائج فكل ما يقوي الارادة يكون نافعاً وسبباً لجهاد النفس والعكس صحيح حيث إذا كانت الارادة هزيله باسبابها كذلك تجد ان الهوىٰ يغلب علىٰ الإنسان ولا يستطيع ان يجاهد نفسه، وهو الجهاد الأعظم والاكبر.

فعملية تقوية الارادة هي أيضاً لون من الوان الجهاد الاكبر وليست بالامر الهين او أن يحصل عليها بالعافية والسهوله ذلك المكلف المبتلىٰ والممتحن.

فدراسة القرآن الكريم دراسة معمقة مما تؤدي إلىٰ ان يعتقد في كلام الله وكلام رسوله، خاصة و أن القرآن الكريم قدعرض الادلة الوجهانية التي تتحدث بوضوح عن الخلق والماهية والوجود والكون والإنسان فقد قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾[2] فالقرآن والاخبار مشحونة بذكر الامثلة من هذا الجنس[3].

والقرآن الكريم دائماً يخاطب ذوي الالباب واصحاب العقول لتكون ارادتهم في الدنيا هي الحاكم وليس الهوىٰ والشهوة قال تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾[4]

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ...﴾[5]

---

١ ـ الحشر، ٢١.

٢ ـ الواقعه، ٧٢.

٣ ـ مفاتيح الغيب ـ صدر المتألهين ج ١ ص١٧٣

٤ ـ الفرقان، ٤٣.

٥ ـ سورة الجاثية، ٢٣.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ...﴾ وهكذا، الذي يعيش الموضوعية والحالة المنطقية يصل إلىٰ شكيمة راسخه وعزيمة ثابتة وارادة قوية في سلوك الطريق الصحيح.

٤ ـ جهاد النفس

الجهاد في اللغه والاصطلاح:

الجهاد لغة: جاءت كلمة الجهاد من الجَهد و الجُهد بمعنى الطاقة وقيل الجَهد المشقة والجُهد الطاقة وهو ما جهد الإنسان من مرض او امر شاق فهو مـجهود، وجُهِدَ الرجل إذا هُزِلَ أو بلغ جهده و جهد الرجل: امتحنه عن الخير و غيره

والجَهد: المبالغة والغاية قال تعالىٰ: جَهد ايمانهم أي بـالغوا فـي اليـمين، وجُهِدَ الرجل إذا وجد مشقّة

وجاهد العدو مجاهدة وجهاداً: أي قاتله وجاهد في سـبيل الله والجـهاد استفراغ ما في الوسع، في الحرب او اللسان او ما اطاق من شيء[١].

والجهاد اصطلاحاً: هو استفراغ الطاقة والمجاهدة في مدافعة العدو وينقسم إلىٰ ثلاثة أضرب او أقسام كما ذكرها الراغب وهي:

١) مجاهدة العدو الظاهر

٢) مجاهدة الشيطان

٣) مجاهدة النفس

قـال تـعالىٰ: ﴿وَٱلَّـذِينَ جَـٰهَدُواْ فِـينَا لَـنَهْدِيَنَّهُمْ سُـبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَـمَعَ ٱلْـمُحْسِنِينَ﴾[٢]

أي الذين استقر جهادهم فينا، وكان جهدهم مبذولاً فيما يتعلق به سبحانه

---

١ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ج ٢، ص ٣٩٥ ـ ٣٩٧.

٢ ـ العنكبوت، ٦٩.

من اعتقاد وعمل، فلا ينصرف عن الايمان به و الائتمار بأوامره و الانتهاء عن نواهيه هؤلاء يهديهم ربهم إلىٰ سبله و هي الطرق المقربة منه والهادية إليه وان الله ناصر ومعين المحسنين برحمته وعنايته بهم وشمول رحمته لهم و هذه المعية أخص من معية الوجود الذي ينبيء عنه قوله تعالىٰ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[1]

النفس في اللغة والاصطلاح:

النفس لغة: النفس الروح والنفس الرَوْع، النفس بمعنىٰ جملة الشيء وحقيقته تقول: قتل فلان نفسه وأهلك نفسه أي أوقع الهلاك بذاته كلّها وحقيقته والجمع من كل ذلك أنفس و نفوس.

النفس: الروح، والنفس مايكون به التمييز، والنفس الدم، والنفس الاخ، والنفس بمعنىٰ عند، و النفس الذات والنفس العقل، والنفس آدم، والنفس العين...[2]

النفس اصطلاحاً: ان ما يعطية التأمل في موارد استعمال لفظ النفس هو اصل معناه ما أضيف إليه، فنفس الشيء معناه الشيء ونفس الإنسان معناه هو الإنسان، ونفس الحجر معناه الحجر و هكذا فلو قطع عن الاضافة لم يكن له معنىٰ محصل، وعلىٰ هذا يستعمل للتأكيد اللفظي كقولنا: جاء زيد نفسه، اولافادة معناه كقولنا: جاءني نفس زيد و منه قوله تعالىٰ: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[3]، وقال:

---

١ ـ الحديد، ٤ .

٢ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ج ١٤، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٥ .

٣ ـ الأنعام، ١٢ .

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ﴾[١]، وقال ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[٢]، ثم شاع استعمالها في شخص الإنسان خاصة وهو الموجود المركب من روح وبدن فصار ذا معنىً في نفسه وان انقطع عن الاضافة قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[٣] أي من شخص انساني واحد وقال ﴿مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعاً﴾[٤].

أي من قتل انساناً و من احيا انساناً، وقد اجتمع المضيان في قوله ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾[٥] فالنفس الاولىٰ بـالمعنىٰ الثـاني و الثـانية بالمعنى الأوّل[٦].

وقوله تعالىٰ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّـٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّـٰهَا﴾[٧].

لقد أقسم سبحانه بالنفس الانسانية، بكل نفس حيث عدل خلقها و سوىٰ اعضاءها وقيل سوّاها بالعقل الذي فضل به علىٰ سائر الحيوان وقيل بالنفس آدم ومن سواها فعرفها طريق الفجور والمعاصي وطريق التقوىٰ والطاعات وزهدها في الفجور ورغبتها في التقوىٰ، كما أنّه علمها الطاعة والمعصية لتفعل الطاعة

١ ـ آل عمران، ٢٨.
٢ ـ المائدة، ١١٦.
٣ ـ الاعراف، ١٨٩.
٤ ـ المائدة، ٣٢.
٥ ـ النحل، ١١١.
٦ ـ الميزان ـ الطباطبائي ج ١٤، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦.
٧ ـ الشمس، ٧ ـ ١٠.

وتترك المعصية.

قد أفلح من طهر نفسه و جاهدها وروضها واصلحها بطاعة الله وصالح الاعمال، قد خسر من اهملها واخملها واضلها واهلكها وجعلها قليل ذليلة خسيسة.

وعن الإمام الصادقعليه السلام انه قال (قد بيّن لها ما تأتي وما تترك.. قد افلح من اطاع و قد خاب من عصىٰ)

إذن الامر موكول إلىٰ الإنسان نفسه اولاً و آخراً في جهاد نفسه او عدم جهادها.

ورد عن أبي عبدالله الصادقعليه السلام ان النّبيصلى الله عليه وآله بعث سرية، فلما رجعوا، قال مرحباً بقوم قضوا الجهاد الاصغر وبقي عليهم الجهاد الاكبر، فقيل: يا رسول الله وما الجهاد الاكبر قال: (جهاد النفس)[١]

السرية: هي قطعة عسكرية من الجيش قوامها عدد من الرجال و خير السرايا اربعمائة رجل.

حينما رجع هؤلاء المجاهدون المقاتلون في سبيل الله سبحانه استقبلهم الرسولصلى الله عليه وآله وهم في نشوة الانتصار وعز الفتح وكانهم في انفسهم يعتقدون انهم أدّوا اخطر و اكبر دور كان عليهم وهو مبارزة العدو. بل مشوا إليه اياماً وليالي وفارقوا وهجروا وتركوا المال و الاهل والازواج والاولاد و الاحبة والديار معرّضين انفسهم لكل مكروه من قتل واسرٍ وجرح ومن آفات الطريق الشاق

١ ـ فروع الكافي ـ الكليني ـ ج ٥، كتاب الجهاد باب وجوه الجهاد ص ٣

المتعب و قد خامرتهم الافكار وتوالت عليهم سهام الشيطان بانكم سوف لن تعودون لاهليكم ابداً، وان ازواجكم سوف تُنكح واموالكم سوف تفرق بين القاصي والداني ومن قال لكم ان هناك جنّة ونار؟ وهكذا فحينما عادوا اعتقدوا انهم قد فرغوا من اشق تكليف الهي وما بقي فهو اهون بكثير فهم إذن وصلوا إلىٰ قمة الطاعة ورفعة المقام في الدنيا والآخرة واذا بهم يفاجأون بشيء غريب عليهم نزل كالصاعة قول الرسولﷺ وهو يرحب بهم ويشيد بجهادهم ولكن سماه أصغر، وهذا امر غريب.

إذن هناك جهاد اكبر، وكلمتا أصغر و اكبر بينهما بون شاسع جداً، فهو لم يقل أصغر و صغير، او لم يقل لهم كبير و اكبر، لو قال لهم قضيتم الجهاد الاصغر وبقي الجهاد الصغير، او قضيتم الجهاد الكبير وبقي الجهاد الاكبر، لكان الامر يسير بل تحدث معهم بصيغ (الاصغر و الاكبر)

هنا اقبلوا بشغف وبتعجب: يا رسول الله وما الجهاد الاكبر؟ فهم لم يسمعوا بهذا المصطلح سابقاً و أي شيء اكبر من مكابدة العدو في حرب ضروس أيسرها ان تقطع الرؤوس و تطيح الايدي و تَسمل العيون؟

فاجابهم (جهاد النفس) لو لم يكن هناك جهاد للنفس لم يكن هناك جهاد أصغر، فجهاد النفس الخفي هو اساس الجهاد العضلي الظاهري.

صحيح انتم في منازلكم وعند اهليكم آمنين فاكهين ولكن كيف تجاهدون انفسكم تجاه الحرص و الحقد والحسد والطمع والجشع والغيبة والنميمة والتهمة والبهتان والكبر والغرور والغصب والسرقة...

وكيف بكم في أداء كل الفرائض والقيام بكل العبادات من صلاة وصيام

وزكاة وخمس وحج و زكاة وامر بمعروف ونهي عن منكر، ونجد الجهاد مفردة من هذه المفردات اضافه إلىٰ تولي اولياء الله و التبري من اعدائهم فالمرء محشور مع من أحب و شريك عمله.

كل هذه وتلك تحتاج إلىٰ طاقات هائلة وضخمة توصل بصاحبها إلىٰ ادائها علىٰ اتم وجه و باحسن شكل.

فجهاد النفس[1] هو الجهاد الاكبر الذي يعلو على القتل في سبيل الحق تعالىٰ وهو في هذا المقام عبارة عن انتصار الإنسان علىٰ قواه الظاهرية، وجعلها تأتمر بأمر الخالق وتطهيره من دنس وجود قوىٰ الشيطان وجنوده حيث ان النفس الانسانية تشترك مع الملك في ظواهرها وعالمها.

---

١ ـ الاربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ص ٢٣

الفصل السادس

مأثور الحديث والشيطان

ماذا قال رسول الله ﷺ عن الشيطان
الشيطان كما ورد ذكره في نهج البلاغة
الشيطان كما ورد ذكره في الصحيفة السجاديّة
ماذا قال الإمام الصادق عليه السلام عن الشيطان
حديث العلماء عن الشيطان

١ ـ الشيخ الطوسي
٢ ـ المحقق محسن الكاشاني
٣ ـ العلامة محمد باقر المجلسي
٤ ـ الشيخ النراقي
٥ ـ سيد قطب
٦ ـ ابراهيم محمد الجمل

١ ـ ماذا قال رسول الله ﷺ عن الشيطان

لقد ورد عن رسول الله ﷺ الكثير من الاحاديث عن الشيطان ومنها انه قال لأصحابه: ألا أخبركم بشيء إن انتم فعلتموه تباعد الشيطان عنكم كما تباعد المشرق من المغرب؟

قالوا: بلىٰ، قال الصوم يُسوِّدُ وجهه، والصدقة تكسره ظهرهُ، والحبُّ في الله والموازرة على العمل الصالح يقطعُ دابره، والاستغفار يقطع وتينهُ[1] هنا يورد الرسول الأعظم ﷺ خمس خصال تؤدي إلىٰ فرار الشيطان وابتعاده عن من يزاولها و يواضب عليها وهي: الصوم، و الصدقة، و الحب في الله، والتعاون على العمل الصالح، و الاستغفار، كلٌّ يكمّل بعضه بعضاً.

ويقول ﷺ: «أمّا أعداؤك من الجن فإبليس وجنوده، فإذا اتاك فقال: مات ابنك فقل: إنما خُلقَ الاحياءُ ليموتوا، وتدخل بضعةٌ منّي الجنّة إنّه ليُسرُّني، فإذا أتاك وقال: قد ذهب مالُكَ فقل: الحمد لله الذي أعطىٰ وأخذ، وأذهب عنّي الزكاة

١ ـ سفينة البحار ج ٢، ص ٦٤، ميزان الحكمة ج ٥، ص ٩٣.

فلا زكاة عليَّ فإذا أتاك وقال لك الناس يظلموك و انت لاتظلم فقل: إنّما السبيل يوم القيامة على الذين يظلمون الناس وما على المحسنين من سبيل و إذا اتـاك وقال لك:ما اكثر احسانك يريدُ أن يُدخلك العجب فقل إساءتي اكثر من إحساني، واذا أتاك فقال لك ما اكثر صلواتك فقل غفلتي اكثر من صلواتي، واذا قال لك: كم تعطى الناس، فقل: ما آخذ اكثر مما أعطي، واذا قال لك، ما اكثر من ظلمك فقل: من ظلمته اكثر، واذا أتاك فقال لك كم تعمل؟ فقل طال ما عصيت»[١] واذا اتاك وقال لك اشرب الشراب، فقل لا أرتكب المعصية و إذا اتاك و قال لك: ألا تحبُّ الدنيا؟ فقل ما أحبها وقد اغتر بها غيري[٢].

نجد في الحديث النبوي الشريف ان ابليس له جنود واعوان وليس بمفرده عدواً، ثم انه يأتي من خلال الخاصرة الضعيفة كحب الولد وحب المال وهما محل اختبار وفتنه حيث قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٣] اى تحققوا وايقنوا ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي بليّة عليكم ابتلاكم الله تعالىٰ بها[٤] وردّ علىٰ ابليس بـهذا الجـواب لأثـارة تـبلبل عـقيدة المنكوب بماله او ولده طبيعيّة مستساغة ان ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ و ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ وان هذا الولد فرط لابيه ليس له ذنب يحاسب عليه فيدخل الجنّة.

وتسليه اخرىٰ ذهاب المال والمال عاريه بيد صاحبها ومالكها الحقيقي هو

١ ـ سفينة البحار ج ١، ص ١٠٠.
٢ ـ تحف العقول، ص ٢٤.
٣ ـ الأنفال، ٢٨.
٤ ـ المجمع ـ الطبرسي ـ، ج ٤، ص ٨٢٤.

الله سبحانه وحده فهو الذي اعطىٰ وهو الذي اخذ ما اعطىٰ وهذا امر طبيعي.

ثم ان الذي ليس لديه مال يسقط عنه التكليف في الحقوق الشرعيه كما هو عليه الزكاة.

ثم ينتقلﷺ إلىٰ حقيقه قائمة في المجتمع نجد ان الامر السائد بينهم انهم ظالم ومظلوم في آن واحد فهو ظالم لغيره ومظلوم من غيره، ولايمكن لاحد ان يعيش في معزل تام من بني جنسه فالحياة دار الاحتكاك ودار التزاحم والتدافع فيحصل من خلاله الظلم لذا هنيئاً لمن امسك نفسه عن ظلم الآخرين و ان كان مظلوماً من آخرين، فالذي تُسرق امواله لايكون له مبرراً ان يسرق اموال الآخرين وهكذا..

كما ان الإنسان المؤمن لاينبغي له ان يأخذه العجب في طاعاته وعباداته من الاحسان إلىٰ الاخرين الصلاة والصدقة وصلة الرحم واخلاص في العمل.

و قال رسول اللهﷺ لابن مسعود)[1] يابن مسعود اتخذ الشيطان عدواً، فإن الله يقول: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾[2]

الخطاب وان كان موجهاً لابن مسعود، ولكنه أيضاً لكل مكلف، تحذير خطير بان الشيطان عدونا فعلينا اليقظه والحذر، وأيُّ أخطر من عدوٍّ لم تره العين ولم يشعر به القلب.

فإن اغلب الناس غافلين عنه مصاحبين إياه متخذينه لهم خليلاً.

وقال رسول اللهﷺ (ألا وإنّ اعقل الناس عبدٌ عَرَفَ ربه فأطاعه وعَرَفَ

---

١ ـ ميزان الحكمة ـ محمدى رى شهرى، ج ٥، صفحة ٨٠.

٢ ـ سورة فاطر: ٦.

عدوه فعصاه)[١].

هذا الحديث الشريف يكشف لنا حقيقة دامغة يحتاجها كل انسان يهدف إلىٰ سعادة الدارين ان يميّز بين شيئين ويرتب علىٰ ذلك التمييز الاثار.

ان يفرّق بين ربّه وخالقه وبين مُضلّه وعدوه كي يكون عبداً خالصاً لله وليس شرك شيطان و إلّا فانه يقع في حبائله وشراكه فتارة يكون عبداً لله واخرىٰ عبداً للشيطان وهذا ليس من سمات العاقل بل حتىٰ وان كان أعقل الناس كما يعتقد.

وقد ورد عن حمران عن أبي جعفرعليه السلام قال: إن رجلاً أتىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله، إني نافقت، فقال: والله ما نافقت، ولو نافقت ما أتيتني تُعلمني، ما الذي رابك؟

أظن العدو الحاضر أتاك فقال لك: من خلقك؟ فقلت: الله خلقني فقال لك: من خلق الله؟ فقال أي والذي بعثك بالحقّ لكان كذا فقال: إنَّ الشيطان أتاكم من قبل الأعمال فلم يقو عليكم، فأتاكم من هذا الوجه لكي يستزلّكم، فإذا كان كذلك فليذكر أحدكم الله وحده[٢].

وعن اميرالمؤمنينعليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ الله حرّم الجنّة علىٰ كل فحّاش بذي قليل الحياء لايبالي ما قال ولا ما قيل له، فإنّكَ ان فتشتهُ لم تجده إلّا لَغيّة او شرك شيطان، قيل يارسول الله وفي الناس شرك شيطان؟ فقال رسول

١ ـ الحياة ـ محمد رضا الحكيمي ـ ج ٢، ص ١٣٢ .

٢ ـ الكافي ـ الكليني: ٣١١/٥. ٢ ـ وسائل الشيعة ج ٧، ص ١٦٨ .

الله ﷺ اما تقرأ قول الله عزوجل ﴿... وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ...﴾[1].

وهنا تصوير رائع جداً لاولئك الذين لا ذمام لهم ولاحياء ولايحافظون علىٰ كرامتهم فهم من ابناء الفواحش او تغذوا الحرام وانهم شرك شيطان حيث شارك الآباء في نتاج الأبناء.

١ ـ سورة الأسراء، ٦٤.

٢ ـ الشّيطان كما ورد ذكره في نهج البلاغة

لقد ورد في نهج البلاغة في جملة من خطب اميرالمؤمنين‌عليه السلام ذكرالشّيطان أوابليس، فقد تعرض له وذم اتباعه، وذكر خطورته، وكأنما هو تـفسير للآيـات القرآنية الكريمة السّالفة الذكر في طرق تأثيره علىٰ الإنسان وتحذيره من مصائده ومكائده منها : قال أميرالمؤمنين‌عليه السلام في ذم اتباع الشّيطان:

«اتَّخذوا الشّيطان لامرهم مِلاكا، واتخذهم لَهُ أشراكاً، فباض وفَـرَّخَ فـي صدورهم، ودَبَّ ودَرَجَ في حُجُورهم فَنَظَرَ بأَعْيُنِهِمْ ونَطَقَ بألسنتِهِم، فرَكِبَ بِـهِمُ الزَّلَلَ، وزيَّنَ لَهمُ الخَطَل، فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشّيطان في سلطانِهِ ونَطَقَ بالباطِل علىٰ لسانِهِ»[١].

يحدثنا اميرالمؤمنين عن هؤلاء القـوم ـ اوليـاء الشّـيطان ـ وقـد جـرىٰ الحديث عنهم في المرحلة السّادسة من مراحل التأثير الشّـيطاني عـلى النـفس الإنسانية، فيقول بان هؤلاء القوم اتـخذوا الشّـيطان لامـرهم قـواماً واعـتماداً، يعتمدون عليه ويقومون به، واتخذهم الشّيطان له مصائد يصطاد بها حيث اصبحوا آلة له في الضلال، فاستقر وتوطن في صدورهم وأطال مكثه فيها لأن الطّائر لا يبيض إلا في عشه، فهي امارة علىٰ طول بقائه وفراخ الشّيطان وسـاوسه، ودب ودرج وتربىٰ في حجورهم كما يُربىٰ الطّفل في حجري والدّيه، فذابوا بِهِ ووصلوا إلىٰ حد الفناء حتّىٰ نظر في اعينهم، وكأنهم ليسوا هم الذين ينظرون بل الشيطان

١ ـ نهج البلاغة ـ الدّكتور صبحي الصّالح ص ٥٣ .

نظر في أعينهم، ونطق بالسنتهم وكأنهم ليسوا هم النـاطقين بـل الشّـيطان نـطق بالسنتهم، فامتطاهم واقحمهم الخطأ وحسّن وزيّن لهم ما هـو اقـبح مـن الخـطأ والغلط، فعل من اصبح شركه الشّيطان، وقد تسلط عليه. وشاركه حتّىٰ في نـطقه فكانا معاً وكان نطقه باطل أيضاً.

ولا غرابة بان للشيطان ذرية قال تعالىٰ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾[١].

حيث ذكر سبحانه وتعالىٰ ان ابليس من الجن، وله ذرية وان ضلال الإنسان في صراط سعادته ومايلجمه ويصيبه من انواع الشّقاء انما هو بـاغواء الشّـيطان فالمعنىٰ افتتخذونه وذريته آلهة وارباباً من دوني تعبدونهم وتتقربون إليهم وهـم لكم عدو[٢].

كما أنّه لامكان أرحب واوسع للأبالسة والشّياطين من بغض عليّ عليه‌السلام وسبه وحربه... واى شيء في عليّ عليه‌السلام يستوجب السّب والعداء؟ في زهده في الدّنيا؟... أم في عدله؟... أم في علمه؟... أم في شجاعته؟...[٣].

وقال عليه‌السلام ((ألا وان الشّيطانَ قَدْ ذَمَّرَ حِزبه واستجلب جَلَبه، ليعودَ الجور إلىٰ أوطانِهِ، ويرجع الباطل إلىٰ نصابِهِ، والله ما أنكروا عليَّ منكراً، ولا جـعلوا بـيني وبينهم نصَفاً[٤]. والمعنى: إلّا وأن الشّيطان قد حث حزبه علىٰ معصية الله ورسوله،

---

١ ـ سورة الكهف، ٥٠.
٢ ـ الميزان في تفسير القرآن ـ الطّباطبائي ج ١٣، ص ٣٢٥.
٣ ـ في ظلال نهج البلاغة ـ شرح محمد جواد مغينه ـ دارالعلم للملايين ط ٣، ج ١، ص ١١٤.
٤ ـ في ظلال نهج البلاغة ـ محمد جواد مغينه ـ دارالعلم للملايين ط ٣، ج ١، ص ١٦٠، والّتي تليها.

ان لله سبحانه حزباً وقد حدد الله في كتابه العزيزكلاً من الحزبين تحديداً واضحاً لا لبس فيه، قال تعالىٰ: في تحديد حزبه: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾[١]

والمراد هنا الطّاعة بقرينة الحال، وبالذين آمنوا و هم أهل العصمة من آل محمدعليهم السلام الذين ساوىٰ النبيﷺ بينهم وبين القرآن، وامر بالتمسك به وبهم في حديث الثقلين الّذي رواه مسلم في صحيحة و غيره من العلماء فضلاً عن علماء الشيعة وأيضاً قال سبحانه عن حزبه ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٢]

أما حزب الشيطان فقد أشار إليه سبحانه وتعالىٰ بقوله: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾[٣].

فحزب الشّيطان هم الذين نسوا ولاية الله ورسوله وأهل بيته و (واستجلب جلبه) بعد ان حث الشّيطان اتباعه وحزبه علىٰ معصية الله جمعهم لحرب الحق وأهله ...

وقالعليه السلام في خطبة اخرىٰ: «أوصيكُمْ بتقوىٰ الله الّذي أعذَرَ بما أنذَرَ، واحتج بما نهج، وحَذّركم عدواً نفَذَ في الآذان نَجيّاً، فأضل وأردىٰ، وَوَعدَ فمنّىٰ، وزَيّنَ سيئاتِ الجرائمِ وهَوَّنَ موبقاتِ العظائم، حتّىٰ إذا استدرجَ قرينَتَهُ، وَاستغرَقَ

١ ـ المائدة، ٥٦ .

٢ ـ المجادلة، ٢٢ .

٣ ـ المجادلة، ١٩ .

رهينَتَهُ، أنْكرَ ما زيَّنَ واستعظم ما هوَّنَ، و حذّرَ ما أمَّنْ»[١].

هنا يوصي اميرالمؤمنينعليه السلام بتقوىٰ الله، الّذي له الحجة البالغة والّذي حذّر من ذلك العدو الّذي استقرّ في الصّدور ألّا وهو الشّيطان الّذي يهمس في الآذان سراً مما يؤدّي إلىٰ الضلال والتردي، ثم يعد ويصور الاماني كذباً ويجعل بني آدم يتجرأون علىٰ ارتكاب المعاصي واقتراف الخطايا والذنوب، حتّىٰ استدرج وبشكل مدروس ومتقن النفس الّتي قارنها، وأسَّرَ واعتقل وكبّل ذلك الإنسان، فلا يستطيع التخلص منه حتّىٰ يرديه ثم بعد ذلك يتبرأ منه ـ أي الشّيطان يتبرأ من الإنسان ـ ويتركه في وسط الطّريق. قال تعالىٰ: ﴿...وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُوراً﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوا أَنفُسَكُم...﴾[٣]

وقالعليه السلام: «إنّ الشّيطانَ يُسنِّى لَكُمْ طُرُقَهُ، ويُريدُ أن يَحُلّ دينكم عقْدةً عقْدةً وَيُعطيكُمْ بالجماعِة الفُرقَةَ، وبالفُرقَةِ الفِتنَةَ، فاصدِفوا عن نزغاتِهِ ونفثاتِهِ واقبَلوُا النصيحَةَ ممن هَداهَا إليكم واعقِلوها علىٰ أنفسِكم»[٤].

الشّيطان يُعّبد لكم طرقه ـ أساليبه ووسائله وآلات تأثيره ـ فيجعلها سهلة ميسورة سالكة فيها شيء من المتعة واللذة، ثم بعد ذلك يهدم دينكم خطوة

١ ـ نهج البلاغة ـ الدّكتور صبحى الصّالح ص ١١٢ .
٢ ـ سورة الأسراء، ٦٤.
٣ ـ سورة ابراهيم، ٢٢.
٤ ـ نهج البلاغة ـ الدّكتور صبحي الصّالح، ص ١٧٨ .

ومرحلة مرحلة حتّىٰ يأتي علىٰ آخره، فهو كدابة الارض المساة بـ (الارضة) تنخر الاعمدة والرّكائز الّتي يعتمدها البناء في قوامه ثم فجأة ترىٰ ذلك البناء الشّامخ ينهار ويصبح ركاماً وكأنّه لم يكن.

فيحوّل الجماعة الواحدة إلى جماعات شتىٰ، ويحوّل تلك الجماعات المتشتتة إلىٰ بؤر صراع وإلى افراد ومراكز ومحاور ينازع بعضهم البعض الآخر علىٰ اُمور تافِهة لااعتبار لها أو لا اساس لها من الواقع او الصّحة.

فينبغي ادراك خطره والاعراض عن وسوسته ونفخه وخطواته وآثاره، وتقبّل النصيحة ممن اسداها لكم وقدمها هدية بين ايديكم، وان هذه النصيحة ينبغي لكم عدم التفريط بها بل الاعتزاز فيها وعدم تركها أو تضييعها واهمالها.

وقال عليه السلام محذراً من الشّيطان[1]:

«فاحذرَوُا عبادَ اللهِ عَدُوَّ اللهِ أن يُعديكم بِدائِهِ وأن يَستفزَّكُم بِنِدائِهِ، وان يُجلِبَ عليكُم بخيلِهِ و رجلهِ، فلعمري لَقَد فَوَّق لكم سَهمَ الوعيد وأغرَقَ عليكُم بالنزعِ الشّديد، ورَماكُم من مكانٍ قَريبٍ فقال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2] قذفاً بِغيب بعيد، ورجماً بظن غير مُصيبٍ صدّقهُ به ابناءُ الحميّة واخوانُ العصبية، وفرسانُ الكِبر والجاهلية. حتّىٰ إذا انقادت له الجامحةُ منكم، واستحكمتِ الطّماعيةُ منهُ فيكم فَنَجَمَت الحالُ من السّرِّ الخفيّ إلىٰ الامرِ الجلي استَفحَلَ سُلطانُهُ عليكم، وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحوَكُم فَأقحموكُم وَلَجاتِ الذُّلِّ، واحلّوكم وَرَطات القَتلِ، وَأوطؤوكُم إثخان الجِراحَةِ، طَعناً في عُيونِكُم،

---

١ ـ في ظلال نهج البلاغة ـ محمد جواد مغنية ـ ج ٣، ص ١١٢ .

٢ ـ سورة الحجر، ٣٩ .

وَحَزّاً في حُلُوقِكُم، ودقّاً لِمناخِرِكُم، وَقَصداً لمقاتِلكُم، وسوقاً بخزائِمِ القَهْرِ إلىٰ النّار المُعَدَّةِ لَكُم. فأصبحَ أعظَمَ في دينكم جَرحاً وأورى في دنياكم قَدحاً من الذين اصبحتُم لهُم مُناصبين وعليهم متألّبين. فاجعَلُوا عليه حَدَّكُم، وله جَدَّكُم فَلَعمرُ لَقَد فَخرَ علىٰ اصلِكُم، ووقَعَ في حَسَبِكُم، ودَفَعَ في نَسَبِكُم، وَأجلبَ بِخَيلِهِ عَلَيكُم، وقصدِ برَجلِهِ سَبيلَكُم يقتنصونكُم بكلِّ مكانٍ، ويضربونَ مِنكُم كُلَّ بَنان. لاتمتنِعونَ بِحيلَةٍ، ولا تَدفَعونَ بعزيمَة، في حومَة ذُلّ، وحَلَقَة ضيقٍ، وَعَرصةِ مَوتٍ، وَجَولةِ بَلاءٍ، فَأطفِئُوا ما كَمَنَ في قُلوبِكُم من نيرانِ العصبيةِ وأحقادِ الجاهليةِ فأنّما تِلك الحميّةُ تكونُ في المسلِمِ من خطراتِ الشيطانِ ونخواتِهِ ونزعاتِهِ ونفثاتِهِ. واعتمِدوا وَضعَ التذَلُّلِ علىٰ رُؤوسِكُم، وإلقاءِ التّعزُّزِ تحت أقْدامِكُم، وَخَلعَ التَّكبُّرِ مِنْ اعناقِكُم، واتَّخِذُوا التَّواضُعَ مَسلَحَةً بَيْنَكُم وَبَيْنَ عَدُوِّكُم إبليسَ وجُنُودِهِ، فإنَّ لَهُ مِن كلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وَأعواناً، وَرِجالاً وَفُرساناً، وَلاتَكونُوا كالمُتَكبِّرِ علىٰ ابن أُمِّهِ مِن غَيْرِ ما فَضلٍ جَعَلَهُ اللهُ فيهِ سوىٰ ما ألحقَتِ العَظَمَةُ بِنفسِهِ مِنْ عَداوَةِ الحَسَدِ، وَقَدَحتِ الحميَّةِ في قلبِهِ من نارِ الغَضَبِ، وَنَفَخَ الشيطانُ في أنفِهِ من ريحِ الكِبر الذي اعبَقَهُ اللهُ بِهِ الندامَةَ وأَلْزَمَهُ آثامَ القاتلينَ إلىٰ يومِ القيامةِ»[1].

والمعنىٰ: (فاحذروا عباد الله ـ إلىٰ ـ النزع الشديد)

المراد بعدوِّ الله ابليس، وبندائه وخيله ورجله وسهمه، المغريات والشهوات وانه بها يصطاد و يضلل ابناء آدم عدوّه اللدود، ولسان حال ابليس يقول: ((مهما تورَّع ابن آدم واحتاط لدينه فاني موقعه، لامحالة، بجريمة من ثلاث: ان يأخذ

---

١ ـ نهج البلاغة، د. صبحي الصالح ـ الخطبة ١٩٢، ص ٢٨٩، و نهج البلاغة ـ الشيخ محمد عبده، الخطبة ١٩٠، ص ٣٩٦.

المال من غير حل، أو يمنعه من غير حق، أو ينفقه في غـير وجـهه)). فـالدرهم والدينار هما المحك الوحيد أخذاً وعطاءً، والحد الفاصل بين الاخلاص والخيانة، وبهما يُمتحن المؤمن لا بصلاته وصيامه، ولابتواضعه، أو بأية فضيلة من الفضائل فحسب.

(ورماكم من مكان بعيد وقال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١]:

والشيطان يزيّن ويحسّن، ويغري ويكذب و يخلف في المواعيد، فإن تنزَّل الإنسان عن خياره للشيطان، واسلم له القياد ـ فعل به ما يشاء ورماه من قريب حيث يجري منه مجرىٰ الدم..

وقال بعض العارفين: ان الشيطان مهذب، يقرع الباب، ويتواري خلفه، فإن فتحتَ له دخل و إلّا تركك ومضي في سبيله.

(قذفاً بغيب بعيد، ورجماً بظن مصيب). وفي بعض النسخ (غَير مـصيب) بزيادة (غير) وهو خَطأ بدليل قول الأمام بلا فاصل (صدّقه به ابناء الحمية) وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾[٢].

أي أصاب في ظنه بهم، ولم يخطيء وإذن فكلمة (غير) حشو والمعنىٰ ان ابليس قال: لأغوينّ بني آدم، ولم يكن عند قوله هذا آدمي علىٰ وجـه الأرض، وانما قال ذلك ظنا ورجماً بالغيب... ومع هذا صدّق في ظنه، لأن الناس كلهم من حزبه إلّا قليلاً.

---

١ ـ سورة الحجر، ٢٩.

٢ ـ سورة سبأ، ٢٠.

(صدّقه به ابناء الحمية...) الهاء في صّدقه لابليس وفي (به) لظنه في قوله: (ولاغوينهم أجمعين) والمعنىٰ لقد صدق ظن ابليس علىٰ أهل المعصية والكبرياء والجاهلية، وتسرَّب إلىٰ نفوسهم من طريق تعصبهم لأصلهم، وسفههم وحبهم للتعاظم والشهرة الزائفة (حتىٰ إذا انقادت له الجامحة منكم الخ...).. والمراد بالجامحة النفوس الّتي لم يقرع الشيطان بابها بعد، ولكنها علىٰ تمام الاستعداد لأن تفتح له وتنقادُ إليه، والمعنىٰ ان نفوسكم طاهرة في الظاهر، وخبيثة في الباطن، ولمّا حرّكها الشيطان ظهرت علىٰ حقيقتها، وبيّن للجميع انكم من جند الشيطان وانصاره.

(استفحل سلطانه عليكم ـ إلىٰ ـ النارالمُعدّة لكم) واو الجماعة في أقحموكم وما بعده من الافعال هي لجنود ابليس، والمعنىٰ استحوذ عليكم. واحتل نفوسكم بجنوده فأوردها موارد الذل والهلكة في الدنيا، وساقها في الآخرة إلىٰ النار وغضب الجبار فاصبح اعظم في دينكم جرحاً.. الخ.. والضمير المستترفي اصبح يعود للشيطان، والمعنىٰ ان وساوس الشيطان وألاعيبه اشدّ ضرراً عليكم من اخوانكم في الإنسانية الذين تجاهرونهم بالعداء وتتألبون علىٰ حربهم ومنابذتهم. (فاجعلوا عليه حدكم، وله جدكم) الضمير في (عليه وله) للشيطان والمراد بالحد الغضب والحدة، وبالجد ـ بكسر الجيم ـ الجهد والطاقة، والمعنىٰ حاربوا الشيطان بكل ما تملكون من طاقة وحول وقوة (فلعمر الله لقد فخر الخ..) المراد بالاصل بالنسب هنا آدم، والمعنىٰ ان ابليس ازدرىٰ أباكم آدم، ورماكم بنبال الهوىٰ، وداسكم بأقدام الشهوات، وضربكم بسيوف المغريات حتىٰ أذلكم و أوقعكم في البلاء والشدة ولم يبقِ لكم من باقية ـ وهذا تكرار وتوكيد كما تقدم من قوله (دلف

بجنوده نحوكم الخ).

فأطفؤوا ما كمن في قلوبكم ـ إلىٰ ـ نزغاته و نفثاته) المسلم الحق هو الإنسان المتفتح الذي يحب ويسع الناس جميعاً، أما الذي يتعصب لِعْرق أو فئة ـ فما هو بمسلم، بل هو من أتباع الشيطان، وعلىٰ سُنّة الجاهلية وأهلها، (واعتمدوا وضع التذلل ـ إلىٰ ـ جنوده) دعوا التكبر والترفع، فانه ينمّ علىٰ صاحبه بالصَغار (أي الذل) وتواضعوا للحق، وانقادوا له، واسمعوا منه، فانه منه، فانه الدرع الواقي من ابليس وجنوده.

(فأن له ـ أي لابليس من كل أمة جنوداً (وأعواناً) ـ وما كان ابليس في يوم من الأيام أقوىٰ سلطاناً، واعز نفراً منه في هذا العصر فجنوده في الغرب يصنعون ويخترعون اسلحة الخراب والدمار، أما الشّرق فقد أصبح وكراً للخونة وعملاء الغرب... وعلىٰ دوي القنابل، واغنيات العملاء، وبكاء المنكوبين، وأنين الجائعين ـ يرقص الشيطان ويطرب، وخاصة بعد أن تعهد زعماء الاشتراكية أن لا يصطدموا مع زعماء الامبريالية... فالمنهج واحد والمذهب واحد (ولا تكونوا كالمتكبر علىٰ ابن أمة الخ) قيل: هذا اشارة إلىٰ ما حدث بين قابيل وهابيل، وان نار الغضب وعداوة الحسد في قلب الأوّل طغتا على القربىٰ وصلة الدم، والسبب غواية الشيطان وفتنته (الكبر الذي اعقبه الله به الندامة الخ).. قتل قابيل أخاه هابيل، ثم ندم تماماً وباء باثمه وإثم اخيه، وكان من اصحاب الجحيم ـ ذلك جزاء من اقتص أثر الشيطان وترسم خطاه[1].

---

١ ـ في ظلال نهج البلاغة ـ محمد جواد مغنية ج ٣، ص ١١٨ .

ثم بعد ذلك يقول عليه السلام: «اتخذهم ابليس مطايا ضلال وجنداً بهم يصول على الناس. و تراجمه ينطق على السنتهم، استراقاً لعقولكم، ودخولاً في عيونكم، ونفثاً في اسماعكم، فجعلكم مرمىٰ نبله، وموطئ قدمه، ومأخذ يده».

(اتخذهم ابليس مطايا الخ) ان الزعماء المنحرفين يفعلون بوحي من الشّيطان، وينطقون بلسانه، وينظرون بعينه، وبأذنه يسمعون، بل هم في قبضته وتحت قدمه.

اول معصية للشيطان:ـ

يقول لنا أميرالمؤمنين عليه السلام في اول خطبة بعد خلق آدم: « فقال سبحانه (اسجدوا لآدم فسجدو إلّا إبليس) اعترته الحميّة وغلبت عليه الشقوة وتعزّز بخلقة النار واستوهن خلق الصلصال، فاعطاه الله النظرة استحقاقاً للسُّخطة واستتماماً للبلية، وانجازاً للعِدة فقال:

(إنك من المنظرين، إلىٰ يوم الوقت المعلوم)

ثم اسكن سبحانه آدم داراً أرغد فيها عيشه، وآمن فيها محلتهُ، وحذَّره إبليس وعداوته. فاغتره عدوّه نفاسةً عليه بدار المقام ومرافقة الابرار. فباع اليقين بشكه، والعزيمة بوهنه واستبدل بالجذل وجلاً، وبالاغترار ندماً...»[١].

هنا يفصح اميرالمؤمنين عليه السلام عليه بقوله تعالىٰ (اسجدوا لآدم...) حيث كان الخطاب إلى الملائكة فسجدوا... اِلاّ ابليس حيث انه لم يسجد لادم وأخذته

---

١ ـ نهج البلاغة ـ محمد عبده ص ٤١ ـ ٤٢ .

العصيبة وغلبت عليه الشقاوة حيث فقدان السعادة، وتعززه بخلقة النار حيث انه مخلوق من جوهر لطيف ومادة من الصلصال الذي هو الطين الحر المخلوط بالرمل، فقد نظر الشيطان لادم المخلوق من الصلصال نظرة عدم احترام وتعالىٰ عليه وتكبر، فامهله الله سبحانه ـ بعد ان دعاه ـ إلىٰ يوم الوقت المعلوم يقول ابن أبي الحديد في شرح النهج (... و منها ان يقال كيف جاز للحكيم ان يقول لابليس انك من المنظرين إلىٰ يوم القيامة وهذا اغراء بالقبيح، وانتم تمنعون ان يقول الحكيم لزيد أنت لاتموت إلىٰ سنة بل إلىٰ شهر او يوم واحد، لما فيه من الاغراء بالقبيح والعزم على التوبة قبل انقضاء الأمد والجواب ان اصحابنا قالوا ان الباري تعالىٰ لم يقل لابليس إني منظرك إلىٰ يوم القيامة، وانما قال إلىٰ يوم الوقت المعلوم، وهو عبارة عن وقت موته واخترامه، و كل مكلف من الانس والجن منظر إلىٰ يوم الوقت المعلوم علىٰ هذا التفسير، واذا كان كذلك لم يكن ابليس عالماً انه يبقىٰ لامحالة، فلم يكن في ذلك اغراء له بالقبيح)[1]

ثم ان الله سبحانه اسكن آدم وإلىٰ جانبه حواء الجنة رغيد العيش هانئ البال ـ لاجوع و لا ضمأ و لا حر ولاقر ولاعُري ولانكد ولانصب ـ وحذّره من ابليس وعداوته حيث قال له تعالىٰ ﴿فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾[2]

فانتهز الشيطان من آدم غرّة فاغواه حسداً من عنده لبقائه في دار المقام ومرافقة الملائكة الكرام الابرار، حتىٰ ادخل الشك عليه وحوّل يقينه إلىٰ شك

---

١ ـ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ـ المجلد الأوّل ج ١، ص ٣٣.
٢ ـ سورة طه، ١١٧.

والقوة إلىٰ ضعف، وبالطمئنينة والفرح والسعادة خوفاً وبالثبات تردداً وريبة، وانتبه إلىٰ عاقبة ما اقترف فاستشعر الندم بعد الاغترار.[١]

كما يذكر الإمام عليّ عليه السلام وسائل الشيطان وادواته وكيف يستغل اموراً ينبغي الابتعاد عنها، قال عليه السلام فيما يخرب العالم به من الفتن وبيان هذه الفتن ودور الشيطان في الاستيلاء علىٰ اوليائه (إنما بدءُ وقوع الفتن أهواء تتبع، واحكام تبتدعُ، يُخالف فيها كتاب الله، ويتولّىٰ عليها رجالٌ رجالاً، علىٰ غير دين الله، فلو أن الباطل خلص من مزاج الحقّ لم يَخْفَ على المرتادين، ولو أن الحقّ خلص من لبس الباطل، انقطعت عنه السنُ المعاندين، ولكن يُؤخذ من هذا ضِغثٌ، ومن هذا ضغث فيمزجان، فهنالك يستولى الشيطان علىٰ اوليائه وينجو ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾[٢] المرتاد هو الطالب و الضغث من الحشيش القبضة منه قال تعالىٰ: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً﴾. فإن المذاهب الباطلة والآراء الفاسدة التي يفتتن الناس بها اصلها اتباع الاهواء واتباع الاحكام التي لم تعرف فيها الكتاب وتحمل العصبية والهوىٰ[٣].

فهنا شخّص الإمام عليه السلام ان اساس وقوع الفتن يعتمد علىٰ اسباب هي: ان الهوىٰ يكون الهاً و حاكماً ومطاعاً ومتبعاً من دون الله وانه يخالف فيه القرآن الكريم الذي يكون مهجوراً، ويستعين ويستحوذ علىٰ ذلك رجالٌ بتسخيرهم

---

١ ـ نهج البلاغة ـ محمد عبده، ص ٤٢ .

٢ ـ نهج البلاغة ـ صبحى الصالح ص ٨٨، نهج البلاغة محمد عبده ص ١٢٣ ـ ١٢٤، الخطبة رقم (٥٠).

٣ ـ شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد المجلد الأوّل الجزء الثالث، ص ٢٩٩ .

اناساً ورجالاً في معاصي الله وما يغضبه سبحانه خارجين عن دين الله.

ثم بعد ان يشخص سلام الله عليه الداء يقدم الدواء فيقول:

لو ان الباطل انفصل عن الحق ولم يخفَ علىٰ طلاب الحقيقة ومريديها ولو ان الحق انفصل أيضاً عن الباطل، لانقطعت حجج المعاندين وتقطعت بهم السبل ولكن يمزج الباطل بالحق ويمزج الحق بالباطل فيظهر بصورة الحق وكأنه كله حق وليس فيه باطل، ففي هذه الحالة يستحوذ ويسيطر الشيطان علىٰ اوليائه والمنقادين إليه، والذين له سلطان عليهم، و ينجو الذين اخلصوا لله وقال سبحانه فيهم ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[١]

ومن كلامه عليه السلام في المبادرة إلىٰ صالح الاعمال يقول (.. فتزوّدوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به انفسكم غداً. فاتقىٰ عبد ربه، ونصح نفسه، وقدّم توبته، وغلب شهوته، فإنَّ أجله مستور عنه، وامله خادع له، والشيطان موكل به، يزيّن له المعصية ليركبها، ويمنّيه التوبة ليسوّفها، إذا هجمت منيّته عليه أغفل ما يكون عنها...)[٢].

هنا ـ أمير الكلام ـ أميرالمؤمنين يحث على العمل الصالح والمسارعة بالتزود من فرص الدنيا لنقلها إلىٰ الآخرة ما يحفظ المؤمن من عذاب الله ودخول الجنّة حيث لايدخلها إلّا برحمة الله وتقواه و خشيته وتوبته والتحكم بشهواته و نزواته واهوائه فإن موته مجهول لايعلم متىٰ يلقىٰ الله او ينتقل إلىٰ الآخرة وهذا

---

١ ـ سورة الحجر، ٤٢.

٢ ـ نهج البلاغة ـ د. صبحي الصالح ص ٩٥ (خطبة ٦٤) ونهج البلاغة ـ محمد عبده ص ١٣٦ (خطبة ٦٣).

مما يوجب الحيطة والحذر كما ان الآمال خادعة له والشيطان ملازم له لايبرحه مُزيّن له المعاصي والذنوب ومحببها ليرتكبها ثم يقول له لا تتعجل التوبة فبابها مفتوح وعمرك طويل وطويل ثم يسعك بعد ذلك مَرّةً واحدةً ان تستغفر وتتوب إلىٰ الله تعالىٰ، وكفىٰ، وهذا غير فائتك فيؤجل التوبة إلىٰ ان تدركه المنيّة وهو غير تائب بل حتىٰ يُنسيه ذنوبه وجرائمه فيموت مصرّاً علىٰ ذنوبه ومعاصيه بعد ان سوّف التوبة.

ومن قوله عليه السلام مخاطباً الخوارج (.. ثم انتم شرار الناس ومن رمىٰ به الشيطان مراميه، و ضرب به تيهه. وسيهلك فيّ صنفان: محب مُفرط يذهب به الحب إلىٰ غيرالحق ومبغض مفرط يذهب به البغض إلىٰ غير الحق، وخير الناس فيّ حالاً النمط الاوسط، فالزموه والزموا السواد الأعظم فإنّ يد الله مع الجماعة، واياكم والفُرقة فإنّ الشاذ من الناس للشيطان كما ان الشاذ من الغنم للذئب...)(١)

هنا يخاطب الإمام عليّ عليه السلام الخوارج ويصفهم بانهم شرار الناس حيث أضلهم الشيطان وكأنّه رمي بهم مرمىٰ بعيداً عن الطريق السالك، وضرب به تيهه أي بقوا في حيرة من امرهم.

ثم قال عليه السلام: يهلك فيّ رجلان فاحدهما من أفرط حبه له واعتقاده فيه حتىٰ ادعىٰ له الحلول كما ادعت النصارىٰ ذلك في المسيح عليه السلام والثاني من أفرط بغضه حتىٰ حاربه او لعنه وبرئ منه او ابغضه... وفي الخبر الصحيح المتفق عليه أنه لايحبه إلّا مؤمن ولا يبغضه إلّا منافق.

---

١ ـ نهج البلاغة ـ د. صبحي الصالح، ص ١٨٤ ـ الخطبة / ١٢٧، نهج البلاغة ـ محمد عبده ص٢٧٣ ـ الخطبة ١٢٥.

ففي هذا الخبر الكفايه، فأما الغلاة فيه فهالكون كما هلك في عيسىٰ عليه السلام وقد روىٰ المحدثون ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال له عليه السلام فيك من عيسىٰ بن مريم أبغضته اليهود فبهتت أُمّه، و أحبته فرفعته فوق قدره، وقد كان أميرالمؤمنين عثر علىٰ قوم من اصحابه خرجوا من حد محبته باستحواذ الشيطان عليهم إلىٰ أن كفروا بربهم وجحدوا ما جاء به نبيهم فاتخذوه ربّاً وادعوه الهاً وقالوا له انت خالقنا ورازقنا فاستتابهم واستأنىٰ وتوعَّدهم فأقاموا علىٰ قولهم فحفر لهم حفراً دخّن عليهم طمعاً في رجوعهم فأبوا فحرقهم و قال:

ألا ترونى قد حفرتُ حفراً

اني إذا رأيت امراً منكراً

أوقدتُ ناري ودعوت قنبرا[١]

لذا نجدهم قد فرّقهم الشيطان وجعل منهم الغلاة والنواصب ومزّقهم، حتىٰ آل الامرُ ان يكونوا اولياءه وطعمته، كما ان الغنم التائهة تكون من نصيب الذئاب.

ثم يحذّر عليه السلام من الكبر فيقول (الا وقد أمعنتم في البغي وأفسدتم في الارض، مصارحةً لله بالمناصَبَةِ، و مبارزة للمؤمنين بالمحاربة، فالله الله في كبر الحميّة و فخر الجاهلية فانه ملاقح الشنئان، ومنافخُ الشيطان التي خدع بها الامم الماضية، والقرون الخالية. حتىٰ أعنقوا في حنادس جهالته، ومهاوي ضلالته، ذللاً عن سياقه، سُلساً في قياده، أمراً تشابهت القلوب فيه، وتتابعت القرون عليه، وكبراً تضايقت الصدور به)[٢].

---

١ ـ شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد المجلد الثاني الجزء ٨، صفحة ٣٠٨.

٢ ـ نهج البلاغة ـ د. صبحي الصالح. خطبة القاصعه ص ٢٨٩ رقم / ١٩٢ نهج البلاغة ـ محمد

هنا يبيّن لنا الإمامعليه السلام كيف للشيطان يد في تكبر الإنسان حيث يقول انكم بالغتم في الظلم والعدوان، وأفسدتم في الارض علانية وظهوراً لله بالعداوة والبغضاء وصراعاً وحرباً على المؤمنين فاياكم والتكبّر والتفاخر فأنه في العصبية والجاهلية وسبباً لولادة البغضاء بعد إندكاكها وتجانسها وهنا يصوِّر لنا تصويراً رائعاً حيث يقول ومنافخ الشيطان.

المنافخ لغة: جمع منفاخ والمنافخ هو كير الحداد، الذي ينفخ به في النار، وابن سيده يقول: نفخ بفمه إذا أخرج منه الريح[1]. وكأن الشيطان يستخدم المنافخ التي تقوم بدفع الهواء في هؤلاء فيكونوا قد امتلأوا هواءاً واعتقدوا انهم صاروا كباراً وعظماء في حين انه لا واقع لهم بذلك.

وهذه المنافخ خدع الشيطان بها الامم الماضية والاجيال السابقة حتىٰ تلاشوا وانقرضوا واعنقوا من أعنقت الثريا ـ أي غابت، فهم غابوا واختفوا في حنادس جهالته أي في ظلمات جهالته الشديدة و تردي ضلالته العميقة، سهلة الانقياد سلسة حيث يقودها إلىٰ اية جهة شاء فهو متسلط عليهم، آمراً لهم، وكأنه توافقت القلوب عليه وتتابعت الاجيال وكأنه تواتر حصل واتفاق تم بين هؤلاء جميعاً، و تكبراً ضاقت الصدور به لانه أمر غير طبيعي.

ثم يذكر لناعليه السلام في نفس الخطبة (القاصعة) قربه من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ما قبل السنة العاشرة من عمره الشريف فيقول (... ولقد كنت اتبعه اتباعل الفصيل أثر أُمِّه يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور

عبده ـ خطبة القاصعة رقم (١٩٠) صفحة ٣٩٨.

١ ـ لسان العرب: ابن منظور ج ١٤، صفحة ٢٢٦ .

في كل سنة بحراء فأراه ولايراه غيرى، ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله ﷺ، وخديجة، وانا ثالثهما، ارىٰ نور الوحي و الرسالة، وأشم ريح النبوة.

ولقد سمعت رَنَّة الشيطان، حين نزل الوحي عليه ﷺ فقلتُ (يارسول الله ما هذه الرّنّة؟) فقال: هذا الشيطان قد آيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترىٰ ما أرىٰ، إلّا أنّك لست بنبيّ، ولكنك وزير، وإنك لعلىٰ خير)[١].

ان الإمام عليه السلام يعبِّر عن التجربة التي لم يعشها مسلم منذ كان الإسلام وإلىٰ ان قبض رسول الله ﷺ إلىٰ رحاب ربه فيقول انه سمع رّنّة الشيطان والرَّنّة هي كناية عن الصرخة، فسأل الإمام عليه السلام رسول الله ﷺ عن هذه الرنّة او الصيحة او الصرخة فاجابه رسول الله ﷺ ان هذه الصرخة هي صرخة الشيطان، صرخ لانه يأس من ان يطاع حيث جاء خاتم الانبياء بخاتم الرسالات، ثم قال له انك تسمع ما اسمع، أي ان دورك هو الامامة والخلافة والوزارة التي هي الوصاية منذ كان عليّ عليه السلام في بداية شبابة اراد له ان يواكب الرساله منذ البداية وهو دون العاشرة واجواء الغيب الذي لايشعر به الناس كما يعيش مضمون الرسالة في القرآن وفي السنة[٢].

ثم يخاطب حارث الهمداني في موضع آخر فيقول (... واحذر منازل الغفلة والجفاء وقلّة الاعوان علىٰ طاعة الله، واقصر رأيك علىٰ ما يعنيك. واياك ومقاعد الاسواق، فإنَّها محاضر الشيطان ومعاريض الفتن. واكثر ان تنظر إلىٰ من فُضِّلت

---

١ ـ نهج البلاغة ـ د.صبحي الصالح خطبة (١٩٢) ص ٣٠٠ ـ ٣٠١ / نهج البلاغة ـ محمد عبد خطبة (١٩٠) ص ٤١١ ـ ٤١٢.

٢ ـ الندوة (٩) محمد حسين فضل الله ـ ص ١٩٥ ـ ١٩٦.

عليه فإن ذلك من ابواب الشكر...)[١]

هنا الإمامﷺ يخاطب حارث الهمداني فيقول له هناك اماكن ينبغي تجنبها وهي التي تؤدّي بالانسان إلى الغفلة وابتعاد المؤمنين عنه الذين يعينونه في الهداية والسداد ثم يقول له اهتم بامورك التي تسأل عنها وتهمك في الدنيا والاخرة وابتعد عن الجلوس في الاسواق لانهاعرض ومرتع للشيطان حيث الشهوات وحب الدنيا الذين يقودان إلى المعاصي كما هي السهام التي تكون مدببة من الطرفين وغليظة الوسط تصيب بعرضها دون حدودها، فكذلك الاسواق ما يمر على النظر فيها من مثيرات اللذات والشهوات.

ثم يقول في موضع آخر مخاطباً معاوية «... وأعلم ان الشيطان قد ثبّطك عن ان تراجع احسن امورك، وتأذن لمقال نصيحتك والسلام لاهله».[٢]

الإمامﷺ يقول لمعاوية ان الشيطان قد اقعدك عن ان تراجع فكرك وعقلك وتختار افضل الحلول، وهو ان تسمع النصيحة التي هي خيرلك في الدنيا والآخرة وهي الطاعة لنا وسماع مقالنا والسلام لمن يستحق السلام واهله، وانت لست من اهله.

ومن رسائلهﷺ إلىٰ عبدالله بن العباس، عند استخلافه على البصرة «سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك، واياك والغضب فانه طيرة من الشيطان. وأعلم

---

١ ـ نهج البلاغة ـ د.صبحي الصالح ـ باب الرسائل ٦٩، ص ٤٦٠» نهج البلاغة ـ محمد عبده ـ باب الرسائل ٣٠٧، ص ٦١٥.

٢ ـ نهج البلاغة ـ د. صبحي الصالح ـ باب الرسائل ٧٣، ص ٤٦٣، نهج البلاغة ـ محمد عبده ـ باب الرسائل ٣١١، ص ٦١٩ ـ ٦٢٠.

أنّ ما قرّبك من الله يباعدك من النار وما باعدك من الله يقربك من النار)[١]

هنا الإمامعليه السلام يقول لابن عباس عليك بحسن الخلق وطلاقه الوجه وافتح ابوابك للناس، فانك ان لم تسعهم باموالك سعهم باخلاقك واياك ان تغضب، لأن الغضب باب تفتحه لنفسك يدخله الشيطان فتكون حالة من الخفة والطيش وسوء التصرف. وأعلم ان كل عمل يقربك من الله يبعدك ذلك العمل من النار وكل عمل يبعدك من الله فانه يدخلك نفس ذلك العمل النار وباختصار ان الطاعات يدعو بعضها بعضاً فتدخل بها الجنة والمعاصي يدعو بعضها بعضاً فتدخل بها النار.

وقالعليه السلام، وقد مر بقتلىٰ الخوارج يوم النهروان:

«بؤساً لكم، لقد ضرَّكم من غَرّكم، فقيل له: من غرَّهم يا أميرالمؤمنين؟ فقال: الشيطان المُضلّ، والانفس الامّـارة بـالسوء، غـرتهم بـالاماني، وفسـحت لهـم بالمعاصي، وَوَعَدتهم الاظهار، فأقتحمت بهم النار».[٢]

الإمامعليه السلام يتأسف علىٰ سوء عاقبة الخوارج اصحاب الليل والقرآن وأهل الجباه السود ـ فيقول لهم بؤساً لكم ـ والبؤس هو الحزن والفقر والاذىٰ والشدة ـ أي تعساً لكم، لقد الحق بكم الضرر و الاذىٰ من خدعكم، ثمَّ سُئل الإمامعليه السلام من الذي خدعهم؟ فأجابهم ان الذي خدعهم هو الشيطان المُضل لهم، فهو ضال لنفسه ومضلٌّ لغيره، وليس الشيطان وحده فحسب بل هناك تزاوج وتعاقد واتفاق مبرم بينه وبين النفس الامارة بالسوء، كلاهما يكمل بعضهم بعضاً فهما يزيّنان كل قبيح ويعدان ويمنيان بالاحلام والامال حتىٰ يتركان صاحبهما وسط الطريق ليواجه

---

١ ـ نهج البلاغة ـ د. صبحي الصالح ـ باب الرسائل ٧٦، ص ٤٦٥، نهج البلاغة ـ محمد عبده ـ باب الرسائل ٣١٤، ص٦٢٢.

٢ ـ نهج البلاغة ـ د.صبحي الصالح ـ الحكمة ٣٢٣، ص ٥٣٢.

المحنة وحدهُ، ويكابد سوء العاقبة ودخول النار و لكن ليس بالشكل الطبيعي وانما بالاقحام اقحمت بهم النار، والاقحام هو الدخول في الشيء من غير رويّة قال الإمام عليّ﵇ «من سرّه ان يقتحم جراثيم جهنم فليقض في الجَدٍّ» أي يرمي بنفسه في معاظم عذابها... واقتحم النجم إذا غاب وسقط، والقحم الامور العظام التي لا يركبها كل أحد[١].

الحكمة في خلق الشياطين

ان لله سبحانه في كل مخلوق حكمة ومصلحة، لاستحالة العبث و القبح في افعاله و الاهمال والتعطيل في إيجاده، وان الإنسان كما ينتفع من إلهام الملك كذلك ينتفع بوجه من وسوسة الشيطان، الم تر ان تبعة الوهم والخيال وأهل الضلال هم اصحاب الشياطين، ثم لو لم تكن أوهام المعطّلين وخيالات المتفلسفين و الدهريين وسائر أولياء الطاغوت وفنون اعوجاجهم لما انبعث اولياء الله وأهل الحكمة و العرفان في تحقيق الحقائق وتعليم العلوم وطلب البراهين لبيان التوحيد وعلّة الحدوث للعالم علىٰ سبيل اليقين، وكذا في أمثال هذه المسائل وكذا القياس في تهذيب الأخلاق واستقامة الاحوال وصحة الاعمال، لو لم يكن اغتياب المغتابين وتجسس المتجسسين لعيوب الناس، لم يجتنب الإنسان كل الاجتناب من العيوب الخفيّة التي لايراها احباؤه، وانما يظهر له ثبوتها من تدقيقات الاعداء وتجسسهم عيوبه وإظهارهم إيّاها له. فكم من عدوٍّ خبيث الذات ينتفع الإنسان من عداوته اكثر مما ينتفع به من محبة الاصدقاء.

---

١ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ج ١١ص ٤٧

فإن المحبّة مما تورث الجهل بعيوب الحبيب والعمىٰ عن معاينة معايبه وسماع مثالبه كما قيل:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين العداوة تبدى المساويا

فظهر ان لوجود الاعمال الشيطانية في العالم منافع عظيمة، ومن فوائد الآلام والمحن والشدائد التي تصل إلى العبد من أهل الظلم والجور، انه يوجب له سرعة الرجوع إلىٰ بارئه واللحوق إلىٰ اوليائه الماضين وترك الاخلاد إلىٰ الارض، والاجتناب عن معاشرة أهل الدنيا، لما يرىٰ من أبناء الزمان ما يزعجهُ عن الخلق ويمله عن الدنيا، وينفر طبعه عنهم ويفر إلىٰ الله الواحد فراراً عن الدنيا وما فيها و تقرباً إليه تعالىٰ وملكوته الأسنىٰ[1].

إذا انكشف وتحقق للعارف المحقق والبصير المحدق انه إذا تجلت ثمار عظمة القدس ووقعت انوار جماله وأشعة جلاله علىٰ صفائح هياكل الهويات وصحائف قلوب الانيّات، فكما ينشأ منه منبع النور النبوي المحمدي وضوء السراج الاحمدي ومادة الحياة الابديّة وإكسير السعادة السرمديّة، فكذلك ينشأ منه كبريت النار الابليسيّة، وينقدح منه شرارة الادخنة الظلماتية.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: (بعثت داعياً وليس الىَّ من الهداية شيء و خُلق إبليس مضلاً وليس إليه من الضلالة شئ، من يهدى الله فلا مُضل له ومن يُضلل فلا هادي له).[2]

١ ـ مفاتيح الغيب ـ صدر الدين الشيرازي ص ٣٤١ـ ٣٤٢

٢ ـ مفاتيح الغيب ـ صدر الدين الشيرازي ص ٣٤٤.

٣ـ الشّيطان كما ورد ذكره في الصحيفة السجادية

لقد ورد ذكر الشيطان الرجيم في الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالبعليهم السلام حيث يستعيذ بالله منه ومن نـزغاته ومكائده وامانيه واضلاله للمؤمنين، وكيف لنا ان نـنجوا مـن حـبائله وشِـراكـه بالانقطاع إلىٰ الله عزّوجل والتوكل عليه بشهادتنا له بـالربوبية و بـالاخلاص له بالوحدانية والعمل بحقيقة العبودية له وَحدهُ لا شريك له.

قال السجادعليه السلام:

«اللّهمّ إنّا نعوذُ بكَ من نزغاتِ الشيطانِ الرجيم وكيدِهِ ومكائدِهِ ومن الثّقةِ بامانيّهِ ومواعيدِهِ وغرورهِ ومصائدِهِ وأنْ يُطمِعَ نَفسهُ في إضـلالنا عـن طـاعتِكَ، وامتِهاننا بمعصَيتكَ أوْ انْ يَحْسنَ عِندنا ما حسّنَ لَنا أوِ أنْ يَثْقلُ عَلينا ماكرَّه إلينا.

اللّهُمَّ اخسَأهُ عنّا بِعَبادتِكِ، واكْبتهُ بُدؤوبنا في مَحبَّتكَ، واجعل بيننا وبَـيْنَهُ سِتراً لا يهتِكُه، وَرْدماً مُصمتاً لا يَفْتقُهُ. اللهمَّ صلِّ علىٰ مـحمّدٍ وآلهِ واشْـغَلهُ عـنّا بِبعضِ اعدائكَ، وأَعصِمنا مِنْهُ بِحُسْنِ رِعايتَكَ واكفنا خترَهُ، وَوَلّنا، واقطَعْ عنّا إثْرَهُ.

اللهمّ صلِّ علىٰ محمدٍ واله، وأمتعنا من الهُدىٰ بمثلِ ضلالتِهِ، وزوّدنـا مـن التّقوىٰ ضد غوايته، وَاسْلُك بنا مِنَ التُّقىٰ خلافَ سبيلهِ من الرَّدىٰ، اللّهمَّ لاتجْعَلْ لَهُ في قُلُوبنا مَدخلاً، ولا توطِنَنَّ لَهُ فيما لدينا منْزلاً. اللّهمّ وما سوَّل لنا مَـن بـاطلٍ فَعرِّفناهُ، وإذا عرّفتناهُ فقِناهُ، وَبصّرنا ما نكايُدُه به، والهمْنا ما نُعِدّهُ لهُ وأيقظنا عن سِنَةِ الغفلةِ بالرّكون إليه، وأحسن بتوفيقِكَ عَوْنَنَا عليهِ. اللهمَّ واشرَبْ قلوبنا إنكارَ عمَلِهِ، والطُفْ لنا في نَقضِ حيلهِ.

اللهم صل علىٰ محمد وآله وحوِّل سُلطانه عنّا واقطع رجاءهُ مِنّا وادْرأهُ عَنِ الولوع بنا. اللهم صلّ عل محمدٍ وآله. واجعل آباءنا وأمهاتنا و أولادَنـا وأهـلَنا وذوي أرحامِنا وقراباتَنا وجيراننا مِنَ المؤمنين والمؤمنات... مِنه في حرزٍ حارزٍ، وحِصْنٍ حافظ وكهفٍ مانع، وألبسهُم منه جُنناً واقيةً، وأعطهم عليه اسلحةً ماضيةً اللهمَّ واعْمُمَّ بذلك من شهد لك بالربوبية وأخلص لك بالوحدانية وعاداه بـحقيقة العبودية و استظهَرَ بكَ في معرفة العلوم الربانية. اللهم احلُلٍ ما عقَدَ، وافْتُقْ ما رتَقَ وافْسخْ ما دبَّرَ وثبِّطهُ إذا عَزمَ، وأنقُض ما أبرَمَ. اللهمَّ واهْزِمْ جُـندَهُ وأبـطل كـيدهُ واهدِم كَهفهُ و أرغِمْ أنفهُ.

اللهمَّ اجعَلنا في نظْم اعدائِهِ، واعـزلنا عـن عـدادِ اوليـائِهِ لانـطيعُ له إذا استهوانا، ولا نستجيبُ لَهُ إذا دعانا، نَأمُرُ بمُناواتِهِ مَن أطاعَ أمْرنا، ونعِظُ عن متابَعَتِهِ مَنِ اتّبعَ زَجْرَنا.

اللهمَّ صلِّ علىٰ محمدٍ خاتمِ النبيّن وسيّد المُرسلين وعلىٰ أهلِ بيتهِ الطّيّبين الطاثرينَ، وأعذنا و أهلنا واخوانَنا وجميعَ المؤمنين والمؤمنات ممّا استَعذْنا مِنهُ وأجِرنا ممّا استجِرنا بِكَ مِنْ خَوفِهِ، واسْمع لنا ما دعَوْنا بِهِ، وَأعْـطِنا مـا أغـفلْناهُ واحفَظْ لنا ما نسيناهُ وصيّرْنا بذلكَ في درجاتِ الصالحين ومراتب المؤمنين آمين ربّ العالمين»

يستعيذ الإمام بالله تعالىٰ شانه من الشيطان الرجيم فيقول اللهم ـ ياالله ـ انا نلجأ إليك من وساوس الشيطان المطرود من ساحة رحمتك وعزك، ونلجأ إليك من أساليب تضليله الينا ومكره وحيله ومن الاطمئنان لمواعيده وغروره وخداعه واكاذيبه، وأن يكون له الامل أو الرجاء في اضلالنا عن طاعتك يا رب العالمين،

وان تحتقرنا بارتكاب معاصيك، حيث نرىٰ الشرَ خيراً والجهل علماً، والخرافة ديناً، والهذر بلاغة ـ اللهم ـ اطرده عنا واشغلنا عنه بالطاعات وفعل الخيرات واخزه ورد كيده بجدنا و اجتهادنا فيما يرضيك واجعل بيننا وبينه ستراً وحصناً وسدّاً منيعاً لايستطيع اجتيازه أوخرقه أو نقضه و اشغله عنا ببعض اعدائك واحفظنا منه بحفظك وعنايتك، واكفنا غدره واغتياله، واصرفه عنا واجعل اقوالنا وافعالنا ومقاصدنا كلها خالصة لوجهك الكريم.

اللّهم صل علىٰ محمد وآله ومتعنا من الهدىٰ بمقدار ضلالته حيث لا أحد أخلص لمهنته وكافح من أجلها كابليس اللعين اللهم زودنا من الهدىٰ بما يقابل ضلالته، ومن التقوىٰ بما يقابل غوايته وخداعه، فمن اعطىٰ قلبه للشيطان فقد الغىٰ وجوده واصبح اداة والعوبة بيده ولا يمكن ان تستقيم الحياة في أي مجتمع يتحرك فيه الاشرار والقراصنة بحريّة وبلا رادع أو زاجر من انصار الحق والعدل. اللهم وما زين وسهل لنا من الباطل فعرفناه واذا ادركناه فقناه وجنبناه أياه، وعرفنا بما نستطيع مجابهته به وما نستعد له وبه، ونبهنا عن الغفلة والسكون والركون إليه.

واملأ افئدتنا انكاراً له، واجعل قلوبنا مشمئزة منه ومن عمله، وهب لنا نوراً نستضيء به في ظلمات الشبهات و الشكوك والمرديات.

واجعلنا من عبادك المؤمنين من الذين ليس للشيطان سلطان عليهم، واقطع رجاء الشيطان منا و ادفعه عنا فلا نحبّه ولانريده، حيث لايحب الشيطان إلّا من استمع له واغتر بحيله وعلله.

فقد ابتدأ الإمام عليه السلام دعاءه هذا متعوذاً من الشيطان بضمير المتكلم ومن معه علىٰ سبيل الأجمال ثم قال «واجعل اباءنا وامهاتنا...» أي ثم فصّل بذكر الذين

اشركهم في الدعاء وهم الاولاد والآباء وسائر الارحام والجيران والخلان وكـلّ من قال [لا اله إلّا الله محمد رسول الله] طلب للجميع الصلاح والفلاح لتبقىٰ الصلة فيما بينه وبينهم قائمة ودائمة دنيا وآخرة، حيث لا قرابة ولا صداقة يوم الفصل إلّا بين المؤمنين المتقين، قال سبحانه ﴿ٱلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1].

واذا كانت ملّة الكفر واحدة فملّة الإيمان كذلك واحدة وقد دعا رسول الله صلي الله عليه وسلم أول مادعاعشيرته الاقربين بأمرمن الله الذي خاطبه بقوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۞ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]

ولمّاردوا دعوته التمس قبولها عند الابعدين عـنه فـاستجابوا له وفـدوه بالمهج، وكان الآباء يبارزون الأبناء وهؤلاء يتربصون باولئك، وبهذا كانوا أقرب له وألصق به دنيا وآخرة من القربات واولي الارحام الكفرة وفي نهج البلاغة. «إن ولي محمد من اطاع الله وإن بعدت لحمته، وان عدو محمد من عصىٰ وإن قربت قرابته...» رب قريب أبعد من بعيد و ربّ بعيد اقرب من قريب[3]. ثم قال عليه السلام اللهم احفظ الجميع ممن سبق ذكرهم ووصفهم في مكان امين بعيد عن متناول الشيطان وقد ارتدوا الملابس الواقية الحافظة من كل سوء وقد تزودوا باسلحة قوية شديدة يدافعون بها عن انفسهم ويدفعون بها ذلك العدو، وهذا يتمتع به كل من شهد بانك خالقه وربه واخلص بشهادته في توحيدك، ونـصب للشـيطان العـداوة بـصدق

---

١ ـ الزخرف، ٦٧ .
٢ ـ البقرة، ٢١٤ .
٣ ـ في ظلال الصحيفة السجادية ـ محمد جواد مغنية ص ١٦٩.

عبوديته لك وحدك لاشريك ومثيل لك، واستعان بك عليه بالحجج البالغة و الادلة الدامغة والعلوم الربانية والالطاف الالهية...

أي معرفة مايجب الإيمان بها كعقيدة وكنظام ينبثق من تلك العقيدة، وكذلك في السلوك معرفة ما يجب فعله أو تركه وكل ذلك تصدق عليه كلمة التفقه في الدين أو معرفة الدين قال تعالىٰ: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ﴾[1]

وقال رسول الله ﷺ: (تفقهوا في الدين...)، (عليكم بالتفقه بالدين).

اللهم ابطل كل أمر عزم عليه الشيطان وبادر إليه، ومزق كل مانسج واحلل عزيمة ما اراد من كيد ومكر اراده لنا واحجبه ولاتوصله إلىٰ مرامه و مراده.

اللهم واهزم جنده المتمثل من الداخل بالنوايا السيئة ومن الجشع والطمع والحرص والحسد والحقد والشر وبالنفس الامّارة بالسوء وغيرها كثير، ومن الخارج المتمثل بشياطين الانس والجن، اللهم اهزمه امامنا وارغم أنفه واجعلنا من اعدائه ولاتجعلنا من اوليائه حيث لانطيعه ولا نستجيب له ولا نأتمر بأمره بل نأمرالمطيعين لنا بعداوته بأن يكونوا أعداءً له ونعظ من ينتهي بنهينا اذانهيناهم بأن ينتهوا عن متابعته و هكذا اطال الإمامؑ في الدعاء وجعله شاملاً للاهل والاخوة ولكافة المؤمنين والمؤمنات و قد أقترن ذلك بالصلاة علىٰ محمد وآله باعتبارها دعوة مستجابة وختم ذلك بان يكونوا في درجات الصالحين ومراتب المؤمنين.

نجد روح المحبة للجميع والتسامح من خلال قولهؑ «اللهم وصل علىٰ التابعين من يومنا هذا إلىٰ يوم الدين وعلىٰ ازواجهم وعلىٰ ذريّاتهم وعلىٰ من

---

١ ـ التوبة، ١٢٢.

اطاعك منهم صلاة تعصمهم بها من معصيتك، وتفسح لهم في رياض جنتك وتمنعهم بها من كيد الشيطان...»[١].

المراد بالصلاة هنا التوفيق والهداية إلى الطاعة بقرينة العصمة من المعصية[٢] وتكون المحصلة انك توسع لهم في بحبوحات جنانك، وتمنعَهم وتحفظهم بهذه الصلاة ودخولهم الجنة من مكرالشيطان وطرقه و احأبيله.

وقال عليه السلام «اللهم صل علىٰ محمد واله، واكفنا حدَّ نوائب الزَّمان وشرِّ مصائد الشيطان[٣] الحد هنا مأخوذ من الحِدّة والشِدّة او من الحرب والعداء كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِين يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾

والنوائب: المصائب (وشر مصائد الشيطان) كلف سبحانه وتعالىٰ الإنسان وترك له الحريّة في العمل حيث لا انسانية بلا حرية وحذَّره من خداع المغريات واتباع الشهوات وكثيراً ما يطلق عليها حبائل الشيطان ومصائده لانها تقود إلىٰ غضب الله ومعصيته تماماً كما فعل ابليس مع آدم وزوجه[٤].

ويقول عليه السلام: «ونعوذ بك ان ننطوي علىٰ غش أحد، وأن نُعجب بأعمالنا، وَنمُدَّ في اموالنا، ونعوذ بك من سوء السريرة، واحتقار الصغيرة وأن يستحوذ علينا الشيطان...»[٥].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله «من غشنا فليس منا، ويحشر يوم القيامة مع اليهود لانهم

---

١ ـ الصحيفة السجادية الكاملة ـ علي انصاريان ـ ت ٤ص٣٢و٣٣

٢ ـ في ظلال الصحيفة السجاديه ـ محمد جواد مغنية ـ ت ٤ص ٦٠

٣ ـ الصحيفة السجادية ـ علي انصاريان ـ ت ٥ص٣٦

٤ ـ في ظلال الصحيفة السجادية ـ محمد جواد مغنية ـ ت ٥ص٦٦

٥ ـ الصحيفة السجادية ـ علي انصاريان ت ٨ص٤٦

اغش خلق الله»، والذي يعجب باعماله خرافي أحمق لانه لا يرىٰ إلّا ذاته، ومن خلالها ينظر إلىٰ الاشياء فهي دينه ودنياه، وهو يعمىٰ عن نقائضها، كما ان الأمل نوعان:

مذموم: إذا بعث إلى العمل للدنيا فقط، ونسي ما وراءها

وممدوح: إذا بعث إلى العمل للدنيا والآخرة معاً، و في شتىٰ المناحي وتقلبات الظروف والاحوال. لاحياة بلاعمل، ولا عمل بلا أمل، وفي الحديث الشريف «الامل رحمة لأمتي، ولولاه ما أرضعت والدة ولدها، ولا غرس غارس شجرة».

«ونعوذ بك من سوء السريرة» هي النيّة المطلوبه، وسوؤها أن لايشعر المسيء إلّا بنفسه ولا يغضب إلّا لها... هو وحده ومن بعده الطوفان، وحسنها ان يشعر المحسن بالام الآخرين، ويغضب للمظلومين والمحرومين (واحتقار الصغيرة) أي السيئة الصغيرة ـ كما يراها الفاعل ـ وهي في واقعها كبيرة لزجره تعالىٰ عنها ونَهيه[١].

(وان يستحوذ علينا الشيطان) والاستحواذ التسلط والسيطرة فيكون من أنصار او اعوان او اولياء الشيطان والعياذ بالله، وهي من اخطر المراتب ان يتسلط علينا الشيطان فيسيّرنا كيف شاء وأنىٰ شاء، ولاتتم سلطته إلّا من بعد ما تقدم من استدراج و تمهيد.

وقوله عليه السلام « اللهم إن الشيطان قد شَمِتَ بنا إذ شايعناه علىٰ معصيتك، فصل

---

١ ـ في ظلال الصحيفة السجادية ـ محمد جواد مغنيه ت ٨ص ٩٧و٩٨

علىٰ محمد و آله، ولاتشمته بنا بعد تركنا إياه لك ورغبتنا عنه إليك»[١].

لقد شمت ابليس بآدم بعد أن أغراه بالشجرة، ونال جزاءه بالخروج منها، ثم تاب آدم عن قريب وعفا الله عما سلف والآن قد مثّل الشيطان معنا نحن اولاد آدم نفس الدور و اسرفنا علىٰ انفسنا تماماً كما اسرف الوالد، وقد تبنا كما تاب، فاصفح وتسامح عن الاولاد كما صفحت وتسامحت من قبل عن أبينا آدمعليه السلام.

ويقولعليه السلام «ومن أبعد غوراً في الباطل وأشد إقداماً على السوء منّي حين أقف بين دعوتك ودعوة الشيطان، فأتبع دعوته علىٰ غير عمىً منّي في معرفةٍ به ولانسيان من حفظي له؟ و أنا حينئذ موقن بأنَّ منتهىٰ دعوتك إلى الجنّة ومنتهىٰ دعوته إلى النار...»[٢].

هنا الإمام يعكس خطورة الاستجابة لدعوة الشيطان، حيث أنها تمثل الغور إلىٰ اعماق الباطل، و أنها شدّة في الاقدام على المعاصي والابتعاد عن رحمة الله وطاعته، والسوء هو كل مايضر بصاحبه و الآخرين، و الخير هو كل ما ينفع صاحبة والآخرين، فكيف يستجيب الإنسان لدعوة الشيطان وهو يعلم يقيناً أنها تؤدي به إلى الهلكة والنار ويترك الاستجابه للرحمان وهي تؤدي به إلى النجاة والجنة فالامام هنا يتعجب اشد العجب من وضوح الطريق وتركه إلى الضلال والنار.

وقالعليه السلام (اللهم اجعل مايُلقي الشيطان في روعي من التمني والتّظني والحسد.. ذكراً لعظمتك، وتفكراً في قدرتك، وتدبيراً علىٰ عدوك، وما أجري علىٰ

---

١ ـ الصحيفة السجادية ـ علي انصاريان ت ١٠، ص ٥٠

٢ ـ الصحيفة السجادية: علي انصاريان ت ٢٠، ص ٨٤.

لساني من لفظة فحش أو هُجْر أو شتم عِرض أو شهادة باطل أو اغتياب مؤمن غائب أو سب حاضر وما أشبه ذلك.. نُطقاً بالحمد لك، و اغراقاً في الثناء عليك، وذهاباً في تمجيدك، وشكراً لنعمتك، واعترافاً بإحسانك، وإحصاءً لمننك)[١].

أي اللهم اسألك ان تعصمني مما يلقي الشيطان في قلبي من الوساوس والاهواء والافكار السوداء، واجعل مكان ذلك ذكرك الحسن علىٰ كل حال سواء كان قلبي متوجهاً إليك أم منصرفاً عنك ومشغولاً بغيرك واجعلني متفكراً بقدرتك لأنه يؤدّي إلىٰ معرفتك والايمان بك قال تعالىٰ: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلاً سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٢]

والتدبير علىٰ عدو الله مقاومته وردعه، وما يحاول الشيطان ان يجري علىٰ لساني، من لفظ فاحش او شتم او شهادة باطل، او غيبة لمؤمن، فأسألك اللهم ان تعصم لساني عن النطق باي قبيح، و اجعل مكان ذلك النطق بحمدك على السراء والضراء وشكراً لنعمائك واقراراً باحسانك وتعظيمك لنعمك.

وقال ﷺ «وأعذني وذريتي من الشيطان الرجيم، ومن شرِّ السّامة والهامة واللامة والعامة، ومن شرّ كل شيطان مريد...»[٣]

اللهم اني ألجأ إليك وأتحصن بحصنك وذريتي من الشيطان الطريد المبعد من ساحة رحمتك، و من شر كل ذات سم غير قاتل وشر كل مؤذٍ وكل نكبة وكلٍّ ما يخاف منه، ومن شرِّ كلِّ شيطان قد اسفر للعداوة والبغضاء وقد تمرّد على الحق.

---

١ ـ في ظلال الصحيفة السجادية ـ محمد جواد مغنية ت ٢٠ ص١٩٨

٢ ـ آل عمران، ١٩١.

٣ ـ الصحيفة السجادية ـ علي انصاريان ت ٢٣، ص ٩٨.

وقال عليه السلام: «وأعذني وذريتي من الشيطان الرجيم، فإنّك خلقتنا، وأمرتنا ونهيتنا، و رغّبتنا في ثواب ما أمرتنا، ورهّبتنا عقابه، وجعلت لنا عدواً يكيدنا، سلّطته مِنّا علىٰ مالم تُسلطنا عليه منه، أسكنته صدورنا، وأجريته مجاري دمائنا، لا يغفل إن غفلنا، ولا ينسي ان نسينا، يؤمننا عقابك، ويخوّفنا بغيرك، إن هممنا بفاحشة شجعنا عليها، وإن هممنا بعملٍ صالح ثبّطنا عنه، يتعرّض لنا بالشهوات، وينصب لنا بالشبهات، إن وَعَدَنا كَذَبَنا، وإن منّانا أَخْلفنا، وإلّا تصرف عنّا كيده يُضلُّنا وإلّا تقنا خَبالَهُ يستزلُّنا.

اللهم فاقهر سلطانه عنّا بسلطانك، حتىٰ تحبسه عنّا بكثرة الدعاء لك فنُصبح من كيده في المعصومين بك»[١].

خلق سبحانه الإنسان ومنحه عناصر ثلاثه هي: العقل، والقدرة، والحرية، وبهذه العناصر مجتمعه يستحق الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية، فالله سبحانه يخوّف بعقابه في الامر والزجر، وجعل لنا عدواً هو الوسواس الخناس الذي يغلي في الصدور من الحقد والحسد والعزم علىٰ غيرهما من المآثم والدليل قوله (اسكنته صدورنا، وأجريته مجاري دمائنا)، ومعنىٰ قوله (سلطته منّا علىٰ مالم تسلطنا عليه)

معناه أن هذا الوسواس الخبيث لاهو يذهب من تلقاء نفسه، ولانحن نستطيع الفرار منه.فهو قريب جداً منّا بل هو ملازم لنا وليس لنا بُد من ذلك. و هذا واقع لاشك فيه ومن أجل ذلك لايحاسب سبحانه وتعالىٰ ولا يعاقب علىٰ أي شيء

---

١ ـ الصحيفة السجادية ـ علي انصاريان ت ٢٥، ص ١٠٦ .

يدور ويمورفي النفس من الافكار والنوايا السوداء إلّا إذا ظهرت وتجسمت في نيّة أو قصد أو عزم أو قول أو فعل، فالشيطان يؤمننا عقاب الله سبحانه حيث يضمن لنا الامن والامان من غضبه وعذابه سبحانه ويخوّفنا بغير الله تعالىٰ، ان اردنا وفكرنا ان نعمل منكراً وسوءاً يشجعنا عليه ويحثنا علىٰ ارتكابه وهنا اشارة إلىٰ جهاد النفس حيث الجهاد الاكبر، واذا أردنا ان نعمل صالحاً جثم علىٰ صدورنا وثبّطنا عنه وجعلنا نسوّفه، فهو يزين لنا الشهوات، و يظهر لنا الافكار الخاطئه انها صحيحة، حيث يلبس الباطل ثوب الحق والحق ثوب الباطل، ان وعدنا أخلف وعده ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـانُ إِلَّا غُرُوراً﴾[1]

فيا رب ان لم تصرف عنا كيد الشيطان ومكره فأنه يضلّنا، وان لم تجنبنا حيله وفساده فانه يخرجنا من طاعتك إلىٰ طاعته، ويوقعنا بالزلل والخطايا، فيا ربنا هب لنا من لدنك صبراً على الطاعة وصبراً على المعصية وصبراً على المصيبة ونصراً على الهوىٰ حتىٰ لانعصيك في كل الاحوال و حتىٰ تحبسهُ عَنا في كثرة دعائنا لك فنكون من كيده سالمين ومعصومين بك يارب العالمين.

ثم يقول‌عليه السلام « هذا مقام من تداولته ايدي الذنوب، وقادته أزمّة الخطايا، واستحوذ عليه الشيطان...»[2].

طبعاً ليس هذا اعتذاراً واقلاعاً منه‌عليه السلام، كيف وهو الإمام المعصوم بل استغفاراً وخضوعاً لله سبحانه، فهو يقول هذا مقام من وقع فريسة الذنوب وهنا تصوير رائع جداً وهو ان يشبِّه الذنوب و كأن لها أيدي تمسك بفريستها لتستحوذ

---

١ ـ سورة النساء، ١١٩ ـ ١٢٠.

٢ ـ الصحيفة السجادية: علي انصاريان، ت ٣١، ص١٢٣ .

عليها وتتصرف بها كيف شاءت، وقادته الخطايا لما تشاء، و تسلط عليه الشيطان فاملىٰ عليه وامره بالكبائر ...

ثم يقولﷺ «وقد استحوذ عليّ عدوّك الذي استنظرك لغوايتي فأنظرته، واستمهلك إلىٰ يوم الدين لاضلالي فأمهلته فأوقعني وقد هربتُ إليك من صغائر ذنوب موبقة وكبائر أعمال مردية.

حتىٰ إذا قارفت معصيتك، واستوجبت بسوءٍ سعيي سخطك، فتل عذار غدره وتلقاني بكلمة كفره وتولّىٰ البراءة مني، وأدبر موليّاً عني، فأصحرني لغضبك فريدا، وأخرجني إلىٰ فِناء نقمتك طريدا، لا شفيع يشفع لي إليك، ولا خفيرٌ يُؤمنني عليك، ولا حصن يحجبني عنك، ولا ملاذُ الجأ إليه منك»[1] قطعاً لاسبيل للشيطان علىٰ الإمامﷺ: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[2].

وعليه يكون المراد بقوله.. استحوذ عليَّ وما يشبه هذا التعبير مجرد التضرع والاسترحام او كناية عن الخوف من الله والحاجة إلىٰ فضله او ترويض النفس وعدم الرضا عنها واستمهلك إلىٰ يوم الدين «قال رب انظرني إلىٰ يوم يبعثون قال انك من المنظرين..» والحكمة من هذا الامهال ان تظهر النوايا و الافعال التي تزين او تشين، فان الحلم لايعرف إلّا عند الغضب، والشجاعة لاتعرف إلّا عند الحرب (صغائر ذنوب موبقة) أي مهلكه وكبائر ذنوب أيضاً مهلكه، ولكن للهلاك منازل مختلفة، فالعذاب الشديد على الذنب الكبير، ومادونه على الذنب الصغير، حتّىٰ إذا

---

١ ـ الصحيفة السجادية ـ علي انصاريان ت ٣٢، ص ١٣٠.

٢ ـ سورة النحل، ٩٨ ـ ١٠٠.

فعلت معصيتك، وحق عليَّ عذابك بسوء فعلي انصرف عني بوجهه وتركني وحيداً وتلقاني بكلمة كفره «وقال الشيطان لما قضى الامر... اني كفرت بما اشركتموني من قبل»[١].

وتولىٰ البراءة مني وأدبر مولّياً عني وقال: انـي أخـاف الله رب العـالمين وهكذا كل خائن محتال يغري ضعاف العقول بالفساد والضلال ويمنّيهم الاماني، فإذا وقعت الواقعة تنصل وتجاهل.

فأصحرني وجعلني تائهاً في بيداء الضلالة متصدياً لحلول غضبك بي فريداً وحيداً، وأخرجني من طاعتك إلىٰ عذابك وسطوتك لاناصر ولاشفيع.. وخفير أي مجير بمعنىٰ ولا مجير يجعلني في أمن وأمان من غضبك عليّ ولا يمنعني مـنك مانع[٢].

وقال ﷺ: «قد ملك الشيطان عِناني في سوء الظن وضعف اليقين، فأنا أشكو سوء مجاورته وطاعة نفسي له، وأستعصمك من مَلكَته، وأتضرع إليك في صرف كيده عني، وأسألك في أن تسهّل إلىٰ رزقي سبيلاً»[٣].

يقول ﷺ (وهو المعصوم) استحوذ عليّ عدوك الشيطان بخصلتين هما سوء الظن وضعف اليقين استخدمها في التسلط عليّ فانا اشكـو إليك سـوء قـربه لي وطاعتي له والجأ إليك من تأثيره علىٰ نفسي، وادعوك مخلصاً في ان تصرف عني مكره وان توسع في رزقي.

---

١ ـ سورة ابراهيم ١٤، آية ٢٢.
٢ ـ في ظلال الصحيفه السجادية ـ محمد جواد مغنيه ت ٣٢ص ٣١٧
٣ ـ الصحيفة السجادية ـ علي انصاريان ت ٣٢ص ١٣٣

ويقول‌ﷺ «فلولا ان الشيطان يختدعهم عن طاعتك ما عصاك عاص، ولولا انه صوّر لهم الباطل في مثال الحق ماضلّ عن طريقك ضال»[١].

هنا الإمام يكشف لنا حقيقة جوهرية وهي ان الشيطان لايمكنه ان يبعد الناس عن طاعة الله إلّا بشيئين هما:

أولاً: الخداع والتضليل.

ثانياً: اظهار الباطل بصورة الحق وبالعكس وإلّا ما عُصى الله قط.

وقال‌ﷺ « اللهم صل علىٰ محمد واله، واجعل القرآن لنا في ظلم الليالي مؤنسا، و من نزغات الشيطان وخطرات الوسواس حارسا...»[٢].

هنا الإمام يصلي علىٰ محمد واله ليكون الدعاء مستجاباً ثم يظهرنكهة قراءة القرآن في ظلم الليالي فيكون مؤنساً وأنيساً ويكون هنا القرآن وتلاوته حارساً من احابيل الشيطان واباطيله.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزِغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣]

وفي اصول الكافي عن عليّ‌ﷺ (البيت الذي يقرأ فيه القرآن تهجره الشياطين)[٤].

وعنه‌ﷺ «اللهم صل علىٰ محمد وال محمد، وجنبنا الالحاد في توحيدك،

---

١ ـ الصحيفة السجادية ـ علي انصاريان ت ٣٧ص ١٤٤

٢ ـ الصحيفة السجادية ـ علي انصاريان ت ٤٢، ص ١٥٩ .

٣ ـ سورة الأعراف، ٢٠٠.

٤ ـ في ظلال الصحيفة السجادية ـ محمد جواد مغنية ت ٤٢ص ٣٨٤

والتقصير في تمجيدك، والشك في دينك، والعمىٰ عن سبيلك، والاغفال لحرمتك، والانخداع لعدوك الشيطان الرجيم»[١]

اين الالحاد من زين العباد؟

يتبدىء بالصلاة على النبي واله ثم يدعو الله أن يكون موحداً متهجداً داعياً مخلصاً سالكاً الصراط المستقيم ولا يغفل فيرتكب المعاصي ثم إلّا يخدع من قبل الشيطان الطريد. وعنه‌ﷺ « اللهم صل علىٰ محمد واله، وإن ملنا فيه فَعَدِّلنا، وإن زُغنا فيه فقوّمنا، وإن اشتمل علينا عدوك الشيطان فاستنقذنا منه..»[٢].

دعاؤه‌ﷺ لدخول شهر رمضان، فهوﷺ يدعو الله الاستقامة وعدم الانحراف، واذا تسلط الشيطان واشتدّ علينا ليبعدنا عن ساحة طاعتك فاستنقذنا من شراكه واساليبه.

ثم يخاطب شهر رمضان المبارك وهو يودعه ويسلم عليه فيقول له «.. السلام عليك من مجاور رقَّت فيه القلوب وقلّت فيه الذنوب، السلام عليك من ناصر أعان على الشيطان...»[٣].

فشهر رمضان يكون عوناً علىٰ إبعاد الشيطان... حيث الشياطين فيه مغلولة.

---

١ ـ الصحيفة السجادية ـ علي انصاريان ت ٤٤ص ١٦٨
٢ ـ الصحيفة السجادية ـ علي انصاريان ت ٤٤ص ١٦٩
٣ ـ الصحيفة السجادية ـ علي انصاريان ت ٤٥ ص١٧٦

٤ ـ ماذا قال الإمام الصادق عليه السلام عن الشيطان

لقد تحدث الإمام ابوعبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن الشيطان فقال:

« إذا توضأ أحدكم ولم يسمّ كان للشيطان في وضوئه وصلاته شرك وان اكل او شرب او لبس وكل شيء صنعه ينبغي له ان يسمّىٰ عليه، فإن لم يفعل كان للشيطان فيه شرك[١].

إذن ينبغي للمتوضيء او المصلي او من يأكل او يشرب أو يلبس او يقوم باي عمل ان يسمي أي يقول (بسم الله الرحمن الرحيم) كي يطرد الشيطان و يبعده وإلّا كان شريكه في ذلك العمل.

* وعن محمد بن ادريس في آخر السرائر نقلاً عن كتاب محمد بن علي بن محبوب: عن علي بن السندي، عن حمّاد بن عيسىٰ، عن حسين بن المختار، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن عيسىٰ بن أعين يشُكُّ في الصلاة فيعيدها، قال: هل يشكّ في الزكاة فيعطيها مرّتين[٢].

هذا الحديث يكشف لنا ان الشك يحصل بسبب عدم تعلُّق القلب بتلك العبادة وانها غيرُذات بال، في حين انه لايشك في المال إذا اعطاه لانه (و تحبون المال حباً جمّاً) والصلاة إذا شك بها واعادها لاتكلفه شيئاً في حين إذا شك فيما اعطاه من الزكاة فانه يكلفه مالاً.

* عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لايزال الشيطان فرحاً ما اهتجر

١ ـ تفسير الامام العسكري عليه السلام: ٢١ ، ٢٢/٥، ٧ ـ وسائل الشيعة الحر العاملي، ج ٧، ص ١٧٠ .
٢ ـ وسائل الشيعة ـ الحر العاملي ج ٨، ص ٢٤٨ .

المسلمان فإذا التقيا اصطكّت ركبتاهُ وتخلّعت اوصاله ونادىٰ ياويله مالقي من الثبور[١]. إذن مرتع الشيطان في ان يهجر المسلمون بعضهم البعض الآخر فهو يفرح و يكون منتصراً عليهم في تفريقهم وتشتيتهم.اما إذا التقوا وزالت البغضاء من بينهم فانه يصِبه الويل والثبور إلىٰ درجة اصطكاك ركبتيه وتخلّع اوصاله وتمزقها وصراخه بالويل والثبور.

❊ و عن مفضّل بن عمر قال:« قال لي ابوعبدالله عليه السلام: من روي علىٰ مؤمن رواية يريد بها شينه و هدم مروئته ليسقط من اعين الناس، اخرجه الله من ولايته إلىٰ ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان»[٢]

فقد يستحلي البعض تلفيق الاكاذيب الساخرة، للتندر على الناس والسخرية بهم، وهو لهو عابث خطير، ينتج الاحقاد والآثام[٣] وهذا مما ينطبق عليه قوله تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَاتَعْلَمُونَ﴾[٤]

فهذا الذي يريد أن ينتقص من المؤمنين باشاعة الاباطيل عنهم وتلفيق التهم إليهم بقصد أسقاطهم اجتماعياً فإن الله سبحانه سوف يعاقبه اشد العقاب ويعذبه اشد العذاب واكثر من هذا، فإن الله يطرده من ولايته فلايكون ولياً له إلّا الشيطان، وحتىٰ الشيطان لايقبله ويطرده ويتبرأ منه فيكون لا ناصر له ولا معين والكل خصمه.

---

١ ـ الكافي ـ الكليني ٢: ٢٥٨/٧ ـ وسائل الشيعة ـ الحر العاملي ج ١٢، ص٢٦٢ .
٢ ـ الكافي ـ الكليني ٢: ٢٦٧/٢ ـ وسائل الشيعة ـ الحر العاملي ج ١٢، ص ٢٩٤ .
٣ ـ أخلاق أهل البيت ـ السيد مهدي الصدر ص ٢٩ ـ الكافي .
٤ ـ النور، ١٩ .

❊ وعن غياث بن ابراهيم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ان الشيطان يدير ابن آدم في كل شئ، فإذا أعياه جثم له عند المال فأخذ برقبته»[١].

ان الشّيطان يدخل علىٰ الإنسان من كل باب، فإذا كان هذا الإنسان من الصالحين الحذرين اغلق الابواب و المنافذ عليه كلها ولم يسمح له بذلك، فـإذا آيس الشيطان منه توجه إليه صوب المال. او بالمعنىٰ الثاني ان الشـيطان يـبقىٰ متابعاً للإنسان حتىٰ يتعبه ثم إذا اتعبه توجه إليه صوب المال لانه يعلم ان الناس يحبون المال حباً جمّاً كما قال تعالىٰ: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا ❊ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[٢].

وكما قال رسول الله (ان الدينار و الدرهم أهلكا من كـان قـبلكم و هـما مهلكاكم)[٣]

و عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام « قال: من علامات شرك الشيطان الذي لايشكّ فيه أن يكون فحّاشاً لايبالي ماقال ولا ما قيل فيه»[٤]

قال تعالىٰ: ﴿... وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَادِ...﴾[٥]

فالشيطان شريك الآباء في ابنائهم إذا كانت الاموال مـن سـحت وحـرام وأخذت بغير حقّ، وكل ولد زنا وقيل كل مال حرام او فرج حرام[٦]

---

١ ـ الكافي ـ الكليني: ٤ / ٢٣٨ : ٢ـ وسائل الشيعة ـ الحر العاملي ج ١٦ص ٢١

٢ ـ الفجر، ١٩ ـ ٢٠ .

٣ ـ وسائل الشيعة ـ الحر العاملي ـ ج ١٦ص ٢٢

٤ ـ وسائل الشيعة ـ الحر العاملي ـ ج ١٦ص ٣٢

٥ ـ سورة الأسراء، ٦٤.

٦ ـ مجمع البيان ـ الطبرسي ج ٦ص ٦٥٨

فمن علامات هؤلاء تجده فحّاشاً. أي كثير الفحش ـ في الكلام الفاحش البذيء والفعل الفاحش البذيء، فهؤلاء لايبالون ولا يهتمون بما يخرج من افواههم او ما يقول الناس فيهم.

... وعن النوفلي عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يقول ابليس لجنوده: القوا بينهم الحسد والبغى فإنهما يعدلان عند الله الشرك[1].

هنا يبيّن الإمام عليه السلام مدىٰ خطورة الحسد والبغي بين الناس سيّما المؤمنين حيث يذكر علىٰ لسان الشيطان كيف يأمر جنوده وحزبه بان يلقوا بين الناس الحسد والبغى فإنهما يعدلان الشرك (عند الله سبحانه) ويقودان إليه.

* و عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: « قال اميرالمؤمنين عليه السلام عليهما السلام لمّتان: لمّة من الشيطان و لمّةٌ من الملك، فلمّة الملك الرقّة والفهم، ولمّة الشيطان السهو والقسوة»[2]

قال ابن منظور «وفي حديث ابن مسعود قال: لابن آدم لمّتان: لمّة من الملك، لمّة من الشيطان، فأما لمّة الملك فاتّعادٌ بالخير وتصديق بالحق وتطييب بالنفس، واما لمّة الشيطان فاتّعادٌ بالشرّ و تكذيب بالحق و تخبيث بالنفس.

وفي الحديث: فأما لمّة الملك فيحمد الله عليها ويتعوّذ من لمّة الشيطان... قال ابن الاثير: اراد المام الملك او الشيطان به والقرب منه، فما كان من خطرات الخير فهو من الملك وما كان من خطرات الشرّ فهو من الشيطان. واللّمّة: كالخَطرة

١ ـ الكافي ـ الكليني ٢٤٦/٢ : ٢ـ وسائل الشيعة ـ الحر العاملي ج ١٦ ص ٣٨ ـ ٣٩.
٢ ـ الكافي ـ الكليني ٢٤٨/٣ : ٢ـ وسائل الشيعة ـ الحر العاملي ج ١٦ص ٤٤.

والزّورة والأتية[١].

إذن الملك والشيطان قريبان من الإنسان بل مجتمعان معه ومؤثران فيه فعليه الحيطه والحذر وليأخذ من الأوّل وينبذ الثاني.

❊ عن محمد بن علي بن الحسين باسناده عن هشام بن الحكم وأبي بصير جميعاً عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان رجل في الزمن الأوّل طلب الدنيا من حلال فلم يقدر عليها، وطلبها من حرام فلم يقدر عليها، فأتاه الشيطان فقال له: ألا أدلك علىٰ شيء تكثر به دنياك وتكثر به تبعك؟ فقال بلىٰ، قال: تبتدع ديناً وتدعو الناس إليه، ففعل فاستجاب له الناس وأطاعوه، فأصاب من الدنيا، ثم انه فكّر فقال: ماصنعت ابتدعت ديناً ودعوت الناس إليه، ما أرىٰ لي من توبة إلّا ان آتي ممن دعوته إليه فأرده عنه، فجعل يأتي اصحابه الذين أجابوه فيقول: إنّ الذي دعوتكم إليه باطل، إنّما ابتدعته فجعلوا يقولون: كذبت هو الحق، ولكنك شككت في دينك، فرجعت عنه، فلمّا رأىٰ ذلك عَمَدَ إلىٰ سلسلة فوتد لها وتداً ثم جعلها في عنقه، وقال: لاأحلّها حتىٰ يتوب الله عزوجل عليَّ، فأوحىٰ الله عزوجل إلىٰ نبي من الانبياء: قل لفلان: وعزّتي لو دعوتني حتىٰ تنقطع اوصالك ما استجبت لك حتىٰ تردّ من مات علىٰ مادعوته إليه فيرجع عنه[٢].

ان مسألة ابتداع دين مسألة خطيرة جداً تودي بالمبتدع الهلكه وغلق باب التوبه حتىٰ يزيل آثار تلك البدعه وهيهات ازالتها حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «ان

---

١ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ج ١٢ ص ٣٣٤

٢ ـ من لايحضره الفقيه ـ أبي جعفر الصدوق ـ ج ٣ص /٣٧٥ الوسائل ـ الحر العاملي ج١٦ ص ٥٤

الله غافر كل ذنب إلّا من أحدث ديناً»[١].

فمن سَنّ سُنّة حسنه كان له اجرها واجر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة، ومن سنّ سُنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة.

❊ عن على بن سليمان النوفلي، عن فطر بن خليفة، عن الصادق جعفر بن محمدعليه‌السلام قال لما نزلت هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ...﴾[٢]

صعد ابليس جبلاً بمكة يقال له ثور فصرخ بأعلىٰ صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه فقال: نزلت هذه الآية فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين فقال: انا لها بكذا و كذا، فقال: لست لها، ثم قام آخر فقال مثل ذلك، فقال: لست لها، فقال الوسواس الخناس: انا لها، قال: بماذا؟ قال: أعدهم و أُمنّيهم حتىٰ يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة انسيتهم الاستغفار، فقال: انت لها فوكله بها إلىٰ يوم القيامة[٣]

فكما يجب عدم ارتكاب الذنب ويحرم ذلك كذلك يجب استغفار الذنب وحرمة تركه فقد قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله بعد ان سُئِلَ عن خيرالعباد؟ الذين إذا أحسنوا استبشروا، و إذا اساؤوا استغفروا، واذا أُعطوا شكروا، واذا ابتلوا صبروا، واذا غضبوا غفروا»[٤]

و عن على ابراهيم في تفسيره، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل عن

---

١ ـ عقاب الاعمال: ٣٠٦/١، وسائل الشيعة ـ الحر العاملي ج ١٦، ص ٥٥ .
٢ ـ آل عمران، الآية ١٣٥ .
٣ ـ الامالي ـ الصدوق: ٣٧٦/٥ـ وسائل الشيعة ـ الحر العاملي ج ١٦ ص ٦٦ ـ ٦٧ .
٤ ـ الامالي ـ الصدوق: ١٩/٤ـ وسائل الشيعة ـ الحر العاملي ج ١٦ص ٦٧

زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا أعطي الله إبليس ما أعطاه من القوّة، قال آدم: يارب سلّطت إبليس علىٰ ولدى، وأجريته منهم مجرىٰ الدم في العروق، وأعطيته ما أعطيته، فمالي ولولدى؟ قال: لك ولولدك السيئة بواحدة والحسنة بعشر امثالها، قال: يارب زدني، قال: التوبة مبسوطة إلىٰ أن تبلغ النفس الحلقوم، قال: يارب زدني، قال: أغفر ولاأُبالي، قال: حسبي»[1].

هنا الدعوة إلىٰ عدم اليأس والقنوط بل إلىٰ الاستبشار والاستغفار.

... عن غياث بن ابراهيم، عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث قال:« ما اجتمع ثلاثة من الجاحدين إلّا حضرهم عشرة أضعافهم من الشياطين، فإن تكلّموا تكلّم الشياطين بنحو كلامهم، واذا ضحكوا ضحكوا معهم، واذا نالوا من أولياء الله نالوا معهم، فمن ابتلي من المؤمنين بهم فإذا خاضوا في ذلك فليقم، ولايكن شرك شيطان ولا جليسه، فإن غضب الله لايقوم له شئ، ولعنته لايردّها شئ، ثم قال عليه السلام فإن لم يستطع فلينكر بقلبه وليقم ولو حلب شاة، او فواق ناقة[2].

هذا الحديث يكشف لنا مدىٰ اغراء واغواء الشياطين لاوليائهم ومن تسلطوا عليهم والالقاء في مخيلاتهم لذا إذا ابتلي البعض بذلك فعلاجها الرد فأن لم يقدر فالترك والمغادرة فإن لم يقدر فالانكار بالقلب وذلك أضعف الايمان والمغادرة القصيرة اشعاراً بالانكار القلبي.

.. عن ابن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: « قال اميرالمؤمنين عليه السلام: ذكرنا أهل

---

١ ـ تفسير القمي ٢ : ٤٢ : ١ـ وسائل الشيعة ـ الحر العاملي ج ١٦ص٨٨
٢ ـ الكافي ـ الكليني: ٦ / ١٥٠ : ٢ـ وسائل الشيعة ـ الحر العاملي ج ١٦ص٢٦٣

البيت شفاء من الوعك والاسقام ووساوس الريب، وحبنا رضا الربّ تبارك وتعالىٰ»[١]

وهذا الحديث يظهر لنا ان ذكر أهل البيت شفاء للجسد والروح سيما الوسوسة والتشكيك والتردد فإنَّها أخطر من مرض الجسد، فالجسد قد يجد العلاج السريع النافع اما الوسوسة إذا لم تجد من يعالجها فإنَّها تودى بصاحبها الهلكة.

.. عن اسحاق بن عمّار قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: «أحسن يا اسحاق إلىٰ أوليائى ما استطعت، فما أحسن مؤمن إلىٰ مؤمنٍ، إلّا خمش وجه إبليس، وقرّح قلبه»[٢]

ان احسان المؤمن لاخيه المؤمن يؤدّي إلىٰ ابعاد الشيطان وانزال الاذىٰ إلى الدرجة التي يخمش فيها وجهه حيث يلطمه لما اصاب المؤمنين من خير، بل حتىٰ يلهب قلبه ويقرّحه.

و قال الصادق عليه السلام الحسد حسدان: حسد فتنة وحسد غفلة، فأما حسد الغفلة فكما قالت الملائكة حين قال الله: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣]

أي إجعل ذلك الخليفة منا ولم يقولوا، حسداً لآدم من جهة الفتنة والرد

---

١ ـ المحاسن ـ احمد البرقي: ١٠٧ / ٦٢ـ وسائل الشيعة ـ الحر العاملي ج ١٦ ص ٣٤٨
٢ ـ الكافي: ٩ / ١٦٥ : ٢ـ وسائل الشيعة ـ الحر العاملي ج ١٦ص ٣٧٧
٣ ـ البقرة، ٢٨ .

والححود. والحسد الثاني الذي يصيربه العبد إلى الكفر والشرك فهو حسد إبليس في رده علىٰ الله وإبائه عن السجود لآدمعليه السلام[١].

والذي يظهر من قوله تعالىٰ هو ان الملائكة ارادت الخلافة لنفسها باعتقادها انها افضل المخلوقات ولم يكن حسداً لآدم وتنافساً وصراعاً، اما ابليس فعلي العكس، وهو الحسد الثاني حيث يصل إلى الكفر والشرك في رده علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ واعتراضه عليه ولم يسجد له.

وفي حضور الشيطان لدىٰ المحتضر بهدف سلبه الايمان قال الصادقعليه السلام: «ما من أحد يحضرهُ الموتُ وإلاّ وِكِّل به إبليس من شياطينه من يأمره بالكفر ويشككه في دينه حتىٰ تخرج نفسه، فمن كان مؤمناً لم يقدر عليه، فإذا حضرتم موتاكم فلقنوهم شهادة أن لااله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله حتىٰ يموت» و في رواية أخري: «لقنه كلمات الفرج وسمِّ له الاقرار بالأئمة واحداً بعد واحد حتىٰ ينقطع عن الكلام»[٢].

وفي الخبر «انه يجيء الشيطان إليه فيجلس عند يساره فيقول اترك هذا الدين وقل اثنين حتىٰ تنجو من هذه الشدّة» فإن أشد حال على المؤمن هي النزع، والعطش، واحراق الكبد، ففي ذلك الوقت يجد الشيطان عليه فرصة، لنزع إيمانه، لأن المؤمن يعطش في ذلك الوقت، فيجيء الشيطان عند رأسه في قدح من ماء بارد فيحرك له فيقول المؤمن: اعطني من الماء ولايدري انّه شيطان فيقول: قل لا صانع للعالم حتىٰ أُعطيك، فإن لم يجبه يجيء إلىٰ موضع قدميه فيحرك القدح

---

١ ـ تحف العقول ـ الحراني ص٢٧٣

٢ ـ سفر الآخرة: رضا علي حجازي العاملي ص٣٥

فيقول المؤمن أعطني من الماء فيقول: قل كذّب الرسول حتىٰ أُعطيك، فمن أدركته الشقاوه يجيب إلىٰ ذلك، ويخرج من الدنيا كافراً، ومن أدركته السعادة يردّ كلامه ويلتفت أمامهُ.

وقد حُكي عن ابن زكريا الزاهد: «أنه لما حضرته الوفاة أتاه صديقه وهو في سكرات الموت ولقنه لا اله إلّا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله فأعرض الزاهد بوجهه ولم يقل فقال له ثانياً فاعرض ولم يقل، وقال له ثالثاً فقال: لا أَقول ثم غشي عليه فتعجب صديقه، فلما كان بعد ساعة وجد ابوزكريا خفّةً ففتح عينيه فقال لصديقه: هل قلتم لي شيئاً، قالوا: نعم عرضنا عليك الشهادة ثلاثاً فأعرضت في المرتين الاولتين وقلت في الثالثه لا أقول قال: اتاني إبليس عليه اللعنة ومعه قدح من الماء وقف علىٰ يميني وحرّك القدح وقال لي أتحتاج إلى الماء فقلت بلىٰ قال: قل عيسى ابن الله فأعرضتُ عنه، ثم أتىٰ من قبل رجلي فقال لي كذلك، وفي الثالثة قال: قل (لا إله) فقلتُ له لا أقول، فضرب القدح على الارض وولىٰ هارباً رددتُ علىٰ ابليس لاعليكم فأشهد أن لااله إلّا الله...)[١].

وفي رواية عن أبي عبد الله عليه السلام: «ان الشيطان ليأتي الرجل من اوليائنا عند الموت عن يمينه وعن شماله ليضله عما هو عليه» وفي خبر آخر (ليصدّهُ عما هو عليه فيأبىٰ الله له ذلك وذلك قوله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني عند معاينة ملك الموت وحضور الشياطين لاضلاله (وفي الآخرة) يعني في القبر عند سؤال منكر ونكير إلىٰ دخول الجنّة[٢].

---

١ ـ سفر الآخرة ـ رضا علي حجازي العاملي ص٣٦

٢ ـ سفر الآخرة ـ رضا علي حجازي العاملي ص ١٢٤

الصراع محتدم علىٰ اشُدّه بين الإنسان والشـيطان ومـحتوم ولابـد مـنه، وميدان هذا الصراع هي الحياة الدنيا والمعركة بينهما سجال، كرٌّ وفرٌّ مرّة يـنتصر علىٰ الإنسان بتسويلاته فيوقعه في المعصية، وأُخري يكون النصر حليف الإنسان إما بعدم انصياعه لتزييناته، واغراءاته، وإما بالتوبة النصوح بعد المعصية ففى كلا الحالتين انتصار لابن آدم علىٰ ابليس.

٥ ـ حديث العلماء عن الشيطان

لقد تحدث الكثير من العلماء عن الشيطان قديماً وحديثاً واسندوا حديثهم إلىٰ العديد من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة، وقد اخترنا البعض من تلك الاحاديث لبعض العلماء.

١ ـ الشيخ الصدوق: (المتوفىٰ ٣٨١ هـ ق)

أبي جعفر محمد بن على بن الحسين ابن بابويه القمي المتوفي سنة ٣٨١هـ ق فقد ذكر في كتابه ثواب الأعمال وعقاب الأعمال قال: حدثني محمد بن علي ماجيلويه رضي الله عنه، عن عمه، عن محمد بن على الكوفي، عن ابن فضّال، عن سعيد بن غزوان، عن اسماعيل بن أبي زياد، عن أبي عبدالله، عن أبيه، عن آبائه، عن اميرالمؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لايزال الشيطان هايباً لابن آدم ذعراً منه ما صلىٰ الصلوات الخمس لوقتهن، فإذا ضيعهن اجترأ عليه فأدخله في العظائم[١].

وفي باب (عقاب من ترك فريضة من فرائض الله، أو ارتكب كبيرة من الكبائر) عن المفضل بن عمر عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: لاينظر الله إلىٰ عبد ولايزكيه إذا ترك فريضة من فرائض الله و ارتكب كبيرة من الكبائر، قال: قلتُ لا ينظر الله إليه؟ قال نعم قد أشرك بالله قال: قلتُ اشرك؟ قال: نعم ان الله عزوجل امر

---

١ ـ ثواب الاعمال وعقاب الاعمال ـ للشيخ الصدوق، صفحة ٢٧٤ .

بأمرٍ وأمرهُ إبليس بامرٍ فترك ماأمر الله عزوجل به وصار إلىٰ أمر إبليس به فهذا مع إبليس في الدرك السابع من النار[١].

وعن الفضيل بن يسار عن أبي عبد الله ﷺ قال: إذا اخذ القوم في معصية الله عزوجل فإن كانوا ركباناً كانوا من خيل ابليس، وان كانوا رجّالة كانوا من رجالته. كأنه اشار ﷺ إلىٰ قوله تعالىٰ لابليس حين قال: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً * قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُوراً * وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ...﴾[٢][٣].

وكان علي بن أبي طالب ﷺ بالكوفة في الجامع اذ قام إليه رجل من أهل الشام فقال يا اميرالمؤمنين اني اسألك عن اشياء فقال سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً فاحدق الناس بابصارهم فقال اخبرني... عن اسم أبي الجن فقال: شومان و هو الذى خلق من مارج من نار وسأله هل بعث الله عزوجل نبياً إلىٰ الجن؟فقال: نعم، بعث إليهم نبياً يقال له يوسف، فدعاهم إلىٰ الله عزوجل فقتلوه، وسأله عن اسم ابليس ما كان في السماء؟ قال كان اسمه الحارث[٤].

---

١ ـ ثواب الاعمال و عقاب الاعمال ـ للشيخ الصدوق ص ٢٩٣ .

٢ ـ سورة الأسراء، ٦٤.

٣ ـ نفس المصدر السابق صفحه ٣٠٢ .

٤ ـ عيون اخبار الرضا ـ للشيخ الصدوق ج ٢، ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .

٢ ـ المحقق محسن الكاشاني: (المتوفىٰ ١٠٩١ هـ ق)

قال وهو يتحدث عن القلب واثر الشيطان فيه: ـ

القلب متجاذب بين الشيطان والملك فقد قال:ﷺ (في القلب لُمّتان لُمّة من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ولُمّة من العدو إيعاد بالشر و تكذيب بالحقّ ونهي عن الخير، فمن وجد ذلك فليتعوَّذ بالله من الشيطان ثم تلا ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ... الآية﴾[1] وقال بعض السلف إنما هما همّان يجولان في القلب همّ من الله وهمّ من العدو فرحم الله عبداً وقف عند همّه فماكان من الله امضاه وماكان للعدو جاهده، ولتجاذب القلب بين هاتين اللّمتين قال رسول اللهﷺ (قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن).[2]

والله سبحانه وتعالىٰ منزه أن يكون له اصابع مركبّة، من لحم ودم وعظم تنقسم بالانامل، و لكن روح الاصابع سرعة التقليب والقدرة علىٰ التحريك والتغيير، فانك لاتريد اصبعك لشخصها بل لفعلها في التقليب والترديد، وكما انك تتعاطىٰ الافعال بأصابعك، فالله تعالىٰ انما يفعل ما يفعله باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلاً، والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة ولقبول آثار الشياطين صلاحاً متساوياً ليس يترجح أحدهما علىٰ الآخروانما يترجح أحد

---

١ ـ سورة البقرة، ٢٦٨.

٢ ـ أخرجه الحاكم.

الجانبين باتباع الهوىٰ والاكباب على الشهوات، أو الاعراض عنها ومخالفتها فإن اتبع الإنسان مقتضىٰ الشهوة والغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوىٰ، وصار القلب عش الشيطان ومعدته، لأن الهوىٰ هو مرعىٰ الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها علىٰ نفسه وتشبَّه باخلاق الملائكة صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم، ولمّا كان لايخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل إلىٰ غير ذلك من الصفات البشرية المتشبعة عن الهوىٰ لاجرم لم يخل قلب أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال رسول الله ﷺ: (مامنكم من أحد إلّا وله شيطان، قالوا: وأنت يارسول الله؟ قال: وانا إلّا أن الله عزّوجلّ اعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلّا بخير)[١].

وانما كان هذا لأن الشيطان لا يتصرف إلّا بواسطة الشهوة فمن اعانه الله علىٰ شهوته حتّىٰ صار لاينبسط إلّا حيث ينبغي وإلى الحد الذي ينبغي فشهوته لاتدعوه إلىٰ الشر، فالشيطان المتدرع بها لا يأمر إلّا بالخير.

ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوىٰ وجد الشيطان مجالاً فوسوس، ومهما انصرف القلب إلىٰ ذكر الله ارتحل الشيطان وضاق بحاله واقبل الملك والهم، فالتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم إلىٰ ان ينفتح القلب لاحدهمافيسكن ويستوطن ويكون اجتياز الثاني اختلاساً، واكثر القلوب قد فتحها جنود الشيطان وملكوها فامتلأت بالوساوس الداعية إلىٰ ايثار العاجلة وإطراح الآخرة، ومبدأ استيلائها اتباع الهوىٰ. ولايمكن فتحها بعد ذلك

---

١ ـ أخرجه مسلم ج ٨، ص ١٣٩، من حديث ابن مسعود.

إلا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوي والشهوات وعمارته بذكر الله تعالىٰ إذ هو مطرح أثر الملائكة، قال جرير بن عبيدة العدويّ: شكوت إلىٰ العلاء بن زياد ماأجد في صدري من الوسوسة فقال: «إنما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فإن كان فيه شيء عالجوه وإلّا مضوا وتركوه».

يعني ان القلب الخالي عن الهوىٰ لايدخله الشيطان، ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾[١]

وكل من اتبع الهوىٰ فهو عبد الهوىٰ لا عبدالله فلذلك تسلَّط عليه الشيطان وقال الله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَاهُ ...﴾[٢]

هو اشاره إلىٰ ان الهوىٰ الهه ومعبوده فهو عبدالهوىٰ لا عبدالله.

وقال عثمان بن أبي العاص: (يارسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال: ذلك شيطان يقال له خنزبٌ، إذا احسست به فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً، قال ففعلت ذلك، فأذهبهُ الله عني)[٣].

وفي الخبر ان للوضوء شيطاناً يقال له ولهان فاستعيذوا بالله منه)[٤].

ولايمحو وسوسة الشيطان عن القلب إلّا ذكر شيء سوىٰ ما يوسوس به لانه اذا حضر في القلب ذكرشيء انعدم عنه ماكان فيه من قبل ولكن كل شيء

---

١ ـ سورة الحجر، ٤٢.

٢ ـ سورة الجاثية، ٢٣.

٣ ـ اخرجه مسلم ج ٧، ص ٢١، وقال النووي: قوله (حال بيني وبين صلاتي) أي نكدني فيها ومنعني لذتها والفراغ للخشوع فيها.

٤ ـ اخرجه ابن ماجة تحت رقم ٤٢١، وفي هامشه قوله (ولهان) مصدر (وله) اذا تحير الشيطان لالقاء الناس في التحيّر سمي بهذا الاسم.

سوىٰ ذكر الله وسوىٰ ما يتعلق به يجوز أن يكون أيضاً مجالاً للشيطان، فذكر الله سبحانه هو الذي يؤمن جانبه و يعلم انه ليس للشيطان فيه مجال و لا يعالج الشيء إلّا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله تعالىٰ والاستعاذة به والتبري عن الحول و القوّة، ولا حول ولاقوة إلّا بالله العلى العظيم، وذلك لايقدر عليه إلّا المتقون، الذين الغالب عليهم ذكر الله وانما الشيطان يطوف بقلوبهم في اوقات الفلتات علىٰ سبيل الخلسة، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُّبْصِرُونَ﴾[1].

وقال مجاهد في قوله تعالىٰ: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ قال: هو منبسط علىٰ قلب الإنسان فإذا ذكرالله سبحانه خنس وانقبض واذا غفل انبسط علىٰ قلبه، فالتطارد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتطاردهما قال الله تعالىٰ سبحانه: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَـٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾[2].

وفي الحديث (ان الشيطان واضع خطمه علىٰ قلب ابن آدم فإذا ذكرالله خنس وإن نسي الله التقم قلبه).[3]

وقال ابن وضاح في حديث ذكره: (اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال: بأبي وجه لايفلح[4].[5]

---

١ ـ سورة الأعراف، ٢٠١.

٢ ـ المجادلة، ١٩.

٣ ـ اخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان وابو يعلي والبيهقي في الشعب من حديث انس بسند ضعيف كما في الجامع الصغير.

٤ ـ قال العراقي لم اجد له اصلاً.

كماان الشهوات ممتزجة بلحم الآدمي ودمه فسلطنة الشيطان أيضاً سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه، ولذلك قال النبيﷺ: (ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرىٰ الدم فضيقوا مجاريه بالجوع)[٦].

ذلك لأن الجوع يكسر الشهوة، ومجرىٰ الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالىٰ اخباراً عن ابليس: ﴿... لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ...﴾[٧]

وقال رسول اللهﷺ: (ان الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الإسلام فقال له: اتسلم وتترك دينك ودين آبائك؟فعصاه فاسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال:اتهاجر وتدع ارضك ونساءك؟ فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: اتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك؟ فعصاه فجاهد، قال رسول اللهﷺ: فمن فعل ذلك فمات كان حقاً علىٰ الله ان يدخله الجنة)[٨].

فقد ذكر رسول اللهﷺ معنىٰ الوسوسة وهي الخواطر التي تخطر للمجاهد انه يقتل وتنكح نساؤه وغيرذلك مما يصرفه عن الجهاد، وهذه الخواطر معلومة،

---

٥ ـ المحجة البيضاء: المحقق محسن الكاشاني ج ٥، ص ٤٨ ـ ٥١ .
٦ ـ اخرجه الدارمي ج ٢، ص ٣٢٠، واحمد في المسند ج ٣، ص ١٥٦ و ٢٨٥ و ٣٠٩ دون قوله (فضيقوا مجاريه بالجوع).
٧ ـ سورة الأعراف، ١٦ ـ ١٧ .
٨ ـ اخرجه النسائي ج ٦ص ٢٢، واحمد والطبراني وابن حبان والبيهقي في الشعب عن سبره بن أبي فاكه كما في الدر المنثور ج ٣، ص ٧٣ .

فاذن الوسواس معلوم بالمشاهدة، وكل خاطر فله سبب ويفتقر إلىٰ اسم يعرفه، فإسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه آدمي وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال رسول الله ﷺ: (مامن أحد إلّا وله شيطان) وقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنىٰ الوسوسة والإلهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان[١]...

تلبيس ابليس

انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد في المذاهب والاعمال حتىٰ لم يبق من الخيرات إلّا رسمها كل ذلك إذعان لتلبيسات الشيطان ومكائده، فحق على العبد ان يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه لمّة الملك أو لمّة الشيطان وان يمعن النظر فيه بنور البصيرة لا بهوىٰ من الطبع ولا يطلع عليه إلّا بنور التقوىٰ وغزارة العلم كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا (أي رجعوا إلىٰ نور العلم) فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[٢] أي انكشف لهم الاشكال، فاما من لم يرض نفسه بالتقوىٰ فيميل طبعه إلىٰ الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوىٰ ويكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لايشعر، وفي مثلهم قال الله تعالىٰ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[٣].

قيل هي اعمال ظنوها حسنات فإذا هي سيئات وأغمص[٤] أنواع علوم

---

١ ـ المحجة البيضاء ـ في تهذيب الاحياء: محسن الكاشاني ص ٥١، ٥٢.
٢ ـ سورة الأعراف، ٢٠١.
٣ ـ الزمر، ٤٧.
٤ ـ أغمص: أي أحقر.

المعاملة الوقوف علىٰ خدع النفس ومكائد الشيطان، وذلك فرض عين علىٰ كل عبد وقد اهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتزاز عنه، ولا يُنجي من كثرة الوسواس إلّاسدّ أبواب الخواطر، وأبوابها من خارج الحواس الخمس وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا...[١]

مداخل الشيطان إلى القلب[٢]

ان القلب مثاله مثال الحصن والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه ولا يقدر علىٰ حفظ الحصن عن العدو إلّا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولايقدر علىٰ حراسة أبواب الحصن عن العدو من لا يعرف أبوابه، وحماية القلب عن فساد الشيطان واجبة وهي فرض عين علىٰ كلّ عبد مكلف، وما لا يتوصل إلىٰ الواجب إلّا به فهو أيضاً واجب ولا يتوصل إلىٰ دفع الشيطان إلّا بمعرفة مداخله، فصارت معرفة مداخل الشيطان واجبة، ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة، ولكنا نشير إلىٰ الابواب العظيمة الجارية مجرىٰ الدروب التي لاتضيق عن كثرة جنود الشيطان.

أوّلاً وثانياً: فمن أبوابه العظيمة الحرص والحسد، فمهما كان العبد حريصاً على الشيء أعماه حرصه و أصمّه اذ قال ﷺ: (حبك الشيء يعمي ويصم)[٣] ونور

---

١ ـ المحجة البيضاء ـ في تهذيب الاحياء: محسن الكاشاني ص ٥٤، ٥٥ .

٢ ـ المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء ـ محسن الكاشاني ص ٥٧ .

٣ ـ اخرجه ابو داود في السنن ج ٢، ص ٦٢٧ .

البصيرة هو الذي يصرف مداخل الشيطان، فإذا غطاه الحرص أو الحسد لم يبصر فوجد الشيطان فرصة فيحسّن عند الحريص كل ما توصله إلىٰ شهوته وان كان منكراً وفاحشاً، فقد روي ان نوحاً لمّا ركب البحر وحمل في السفينة من كل زوجين اثنين كما أمر فرأىٰ في السفينة شيخاً لم يعرفه فقال له نوح عليه السلام ماأدخلك؟ قال: دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وابدانهم معك، قال نوح عليه السلام اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم، قال له ابليس: خمسٌ أُهلِكُ بِهنَّ الناس وساحدثك منهن بثلاث ولا أُحدثك بالثنتين فاوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ نوح عليه السلام انه لاحاجة بك إلىٰ الثلاث مُرْهُ فليحدثك بالثنتين فقال: هما اللتان لا تكذبانني، هما اللتان لا تخلفانني بهما اهلك الناس الحرص والحسد، بالحسد لُعنتُ و جُعلتُ رجيماً وامّا الحرص فانه أبيح لآدم الجنة كلها فاصبت حاجتي منه بالحرص).[1]

ثالثاً ورابعاً: الغَضَبَ والشهوة، فان الغضب غول العقل فإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان، ومهما غضب الإنسان لعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة، فقد روي ان ابليس لقي موسىٰ عليه السلام فقال: ياموسىٰ انت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليماً، وانا من خلق الله اذنبت ذنباً واريد التوبة فاشفع لي إلىٰ ربي ان يتوب عليّ، قال موسىٰ: نعم فدعا موسىٰ عليه السلام ربه عزّوجل، فقال: يا موسىٰ قد قُضيت حاجتك فمره ان يسجد لقبر آدم، فلقي موسىٰ عليه السلام إبليس فقال له: اُمرتَ

---

١ ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان. وابن عساكر عن ابن عمر كما في الدر المنثور ج ٣، ص ٣٢٣.

ان تسجد لقبر آدم ليُتاب عليك، فاستكبر وغضب، وقال: لم أسجد له حياً فكيف اسجد له ميتاً، ثم قال إبليس: يا موسیٰ ان لك عليّ حقاً بما شفعت لي إلیٰ ربك فاذكرني عند ثلاث لا اهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فإن روحي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجریٰ الدم، واذكرنى حين تلقیٰ الزحف فاني آتي ولد آدم حين يلقي الزحف فأذكرّه ولده و زوجته واهله حتّیٰ يولّي، واياك ان تجالس امرأة ليست لك بذات محرم فإنّي رسولها إليك ورسولك اليها)[1]

فقد اشار في هذا إلیٰ الشهوة والغضب والحرص، فإن الفرار من الزحف حرص على الدنيا، وامتناعه عن سجوده لآدم مَنْشَؤُه الحسد وهو من أعظم مداخله، وقال بعض الانبياء عليهم السلام لابليس: باى شيء تغلب ابن آدم؟

قال: آخذه عند الغضب وعند الهویٰ.

خامساً: ومن أبوابه العظيمة حب التزيّن بالثياب والاثاث والدار، فإن الشيطان إذا رأیٰ ذلك غالباً علیٰ قلب انسان باض فيه وفرخ فلا يزال الشيطان يدعوه إلیٰ عمارة الدار و تزيين سقوفها وحيطانها.. ويستسخره فيها طول عمره وإذا اوقعه في ذلك استغنیٰ عن معاودته، فإن بعض ذلك يجرّه إلیٰ البعض ولا يزال يؤديه شيء إلیٰ شيء إلیٰ ان يساق إليه اجله..

سادساً: الشبع من الطعام وإن كان حلالاً صافياً فإن الشبع يقوّي الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان، روي ان ابليس ظهر ليحییٰ عليه السلام فرأیٰ عليه مغاليق من كل شيء فقال له يحییٰ عليه السلام: ياابليس ما هذه المغاليق؟ قال هذه الشهوات التي

---

١ ـ اخرجه ابن أبي الدنيافي مكائد الشيطان عن ابن عم كما في الدر المنثور ج ١، ص ٥١، والمجلد الرابع عشر من بحار الانوار، ص ٦٣٤.

أصبت بها بني آدم. قال: فهل لي فيها شيء؟

قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر، قال: هل غير ذلك؟ قال: لا. قال يحيىٰ عليه السلام: الله عليّ أن لا أملأ بطني من طعام أبداً. فقال ابليس: والله عليّ ان لا انصح مسلماً ابداً[١].

سابعاً: الطمع في الناس: ـ فإذا غلب الطمع على القلب لم يـزل الشـيطان يحسِّن التصنع والتزيّن لمن طمع فيه بانواع الرياء والتلبيس حتّىٰ يصير المطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب إليه ويدخل كل مدخل في الوصول إلىٰ ذلك وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة مـعه بـترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد روى صفوان بن سليم:أن ابليس تـمثل لعبدالله بن حنظلة وقال: يا ابن حنظلة احفظ عني شيئاً أُعلّمكه، قال:لاحاجة لي به، قال: انظر فإن كان خيراً قبلت، وان كان شراً رددت، يا ابن حـنظلة لا تسأل أحداً غيرالله شيئاً سؤال رغبة، وانظر كيف تكون إذا غضبت.

ثامناً: العجلة وترك التثبت في الامور: قال رسـول الله ﷺ: (العـجلة مـن الشيطان والتأني من الله عزّوجلّ)[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿خُلِقَ ٱلإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾[٣]

وقال ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً﴾[٤]

---

١ ـ رواه ابن الشيخ في مجالسه نحو ابسط بحار الانوار ج ١٤، ص ٦٢٠.

٢ ـ اخرجه الترمذي كما في كنوز الحقائق للمناوي باب العين هكذا (العـجلة مـن الشـيطان والاناء من الله).

٣ ـ الأنبياء، ٣٧.

٤ ـ الأسراء، ١١.

وقال لنبيّه ﷺ ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾[1].

هذا لأن الاعمال ينبغي أن تكون بعد البصيرة والمعرفة، والبصيرة تحتاج إلىٰ تأمل ومهلة، و العجلة تمنع من ذلك، فعند الاستعجال يروّج الشيطان شرّه للإنسان من حيث لايدري، روى انه لما ولد عيسىٰ عليه السلام اتت الشياطين ابليس فقالت: اصبحت الاصنام قد نكست رؤوسها، قال: هنا حادث قد حدث مكانكم، فطار حتّى جال خافقي الارض ولم يجد شيئاً، ثم وجد عيسىٰ عليه السلام قد ولد، واذا بالملائكة قد حفت حوله، فرجع إليهم فقال: ان نبياً قد ولد البارحة، ما حملت انثىٰ قط ولا ضعت إلّا وانا بحضرتها إلّا هذا فآيسو أن تعبد الاصنام بعد هذه الليلة، ولكن ائتوا بني آدم من قِبَل العجلة والخفّة.

تاسعاً: الدراهم والدنانير وسائر اصناف الاموال من العروض والاثاث والدواب والعقار، وكل ما يزيد علىٰ قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان، فإن من معه قوته فهو فارغ القلب، فلو وجد مائة دينار مثلاً علىٰ طريق انبعثت من قلبه مائة شهوة يحتاج كل شهوة منها إلىٰ مائة دينار، فلاتكفيه مائة واحدة بل يحتاج إلىٰ تسعمائة اخرىٰ، وقد كان قبل وجود المائة مستغنياً، فالآن وجد مائة، وظن انه صار غنياً بها. وقد صار محتاجاً إلىٰ تسعمائة ليشتري بها داراً ويعمرها... ويشتري أثاث البيت، و يشتري الثياب الفاخرة، وكل شيء من ذلك يستدعي شيئاً آخر يليق به...

١ ـ طه، ١١٤.

قال ثابت: لما بعث النّبيﷺ قال ابليس لشياطينه: لقد حدث أمر فانظروا ماهو؟ فانطلقوا، ثم جاؤه وقالوا: ماندرى، قال ابليس! انا آتيكم بالخبر فذهب وجاء وقال: قد بعث محمدﷺ فجعل يرسل شياطينه إلىٰ اصحاب النّبيﷺ فينصرفون خائبين ويقولون: ماصحبنا قوماً قط مثل هؤلاء، نُصيبُ منهم، ثم يقومون إلىٰ صلاتهم فيُمحىٰ ذلك، قال ابليس: رويداً بهم عسىٰ الله ان يفتح لهم الدنيا فَهناك تصيبون حاجتكم منهم[1] وروى ان عيسىٰ﷣ توسَّد حجراً فمرّ به ابليس فقال: ياعيسىٰ رغبت في الدنيا فأخذه من تحت رأسه ورمي به، وقال: هذا لك مع الدنيا، و على الحقيقة من يملك حجراً ليتوسده عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عدّة للشيطان عليه، فإن القائم بالليل مثلاً للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسده فلايزال يدعوه إلىٰ النوم وإلى ان يتوسده، ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ولاتتحرك رغبته للنوم، هذا في حجر فكيف من يملك المخادّ الوثيرة والفرش الوطئة والمتنزهات الطيّبة، فمتىٰ ينشط لعبادة الله تعالىٰ.

عاشراً:... البخل وخوف الفقر:

فإن ذلك هوالذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو إلىٰ الادخار والكنز والعذاب الاليم هوالموعد للكانزين كما نطق به القرآن، قال خيثمة بن عبدالرحمن: ان الشيطان يقول: ماغلبني عليه ابن آدم فلن يغلبني علىٰ ثلاث ان آمره بأخذ المال من غيرحقّه، وانفاقه في غيرحقّه، ومنعه من حقّه ـ و قيل ليس

١ ـ اخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان مرسلاً كما في المغني.

للشيطان سلاح علیٰ الإنسان مثل خوف الفقر فإذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق، وتكلم بالهویٰ، وظنَّ بربه ظن السوء.

حادي عشر: التعصّب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار: ـ وذلك مما يهلك الفُساق والعُبّاد جميعاً، فإن الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصانهم صفة مجبولة في طبع الإنسان من الصفات السبُعية، فإذا خيّل الشيطان إليه ان ذلك هو الحقّ وكان موافقاً لطبعه غلبت حلاوته علیٰ قلبه، فاشتغل به بكلِّ همّته وهو بذلك فرحان مسرور يظنُّ انه يسعیٰ في الدين و هو ساع في اتباع الشيطان[١].

تریٰ الواحد منهم يتعصب لعليّ عليه السلام وكان من زهد عليّ عليه السلام وسيرته أنّه ليس في خلافته ثوباً اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمّين إلیٰ الرسغ، وتریٰ الفاسق لابساً الثياب الحريرية ومتجملاً بأموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب عليّ عليه السلام ويدعيه وهوأول خصمائه يوم القيامة وليت شعري من اخذ ولداً عزيزاً لانسان وهو قرّة عينه وحياةُ قلبه يضربه ويمزّقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض و هو مع ذلك يدعي حب أبيه وولاءه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم ان الدّين والشرع كانا أحب إلیٰ علي عليه السلام من الاهل والولد، بل من نفسه عليه السلام، والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع و يقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون إلیٰ ابليس عدو الله وعدو اوليائه، فيریٰ كيف يكون حالهم يوم القيامة

---

١ ـ في بعض النسخ (في اتباع الهویٰ والشيطان).

عند عليّ عليه السلام وعند اولياء الله تعالىٰ، لابل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء مـا يحبّه اولياء الله في أمّة محمد صلى الله عليه وآله، لاستحيوا ان يجروا على اللسان ذكـرهم مـع قـبح افعالهم، ثم ان الشيطان يخيل إليهم ان من مات محباً لعلى عليه السلام فالنار لاتحوم حوله، وكل من أدعي مذهب امام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الإمام هو خـصيمه إذ يقول له: كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فمالك خالفتني في العمل والسـيرة التـي هـي مسـلكى ومذهبي الذي سلكته وذهبت فيه إلىٰ الله، ثم ادعيت مذهبي كاذباً.

... ماروواه في الكافي باسناده عن جابرعن أبي جـعفر عليه السلام قـال: قـال لي: ياجابر أيكتفى من انتحل التشيّع ان يقول بحبنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلّا من اتقىٰ الله واطاعه وما كانوا يعرفون يا جابر إلّا بالتواضع والتخشع والامانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبرّ بالوالدين والتـعهد للـجيران مـن الفـقراء وأهـل المسكنة والغارمين والايتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الالسـن عـن الناس إلّا من خير وكانوا امناء عشائرهم في الاشياء.

قال جابر: يا ابن رسول الله مانعرف اليوم أحداً بهذه الصفة، فقال ياجابر لا تذهبنَّ بك المذاهب حسب الرجل ان يقول: أُحِبُّ علياً واتولاّه ثُمَّ لايكونُ مـع ذلك فعّالاً، فلو قال إني احبُّ رسول الله صلى الله عليه وآله، فرسول الله خير من عليّ ثم لايتبع سيرته ولايعمل بسنته ما نفعه حبَّه ايّاه شيئاً، فاتقوا الله و أعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، والله مايتقرب إلىٰ الله تعالىٰ إلّا بالطاعة، وما معنا براءة من النار، ولاعلىٰ الله لاحد من حُجّة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان لله

عاصياً فهو لنا عدو، وما تنال ولايتنا إلّا بالعمل والورع)[١].

ومن عظيم حيل الشيطان ان يشتغل الإنسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات، قال ابن مسعود، قعد قوم يذكرون الله فأتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم فيفرّق بينهم فلم يستطع، فأتىٰ رفقة اخرىٰ يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس إيّاهم يريد فقام الذين يذكرون الله تعالىٰ واشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم.

ثاني عشر: حمل العوام والذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحّروا فيه على التفكر في ذات الله و صفاته وفي أمور لايبلغها حد عقولهم حتّىٰ يشككهم بذلك في أصل الدين، أو يخيّل إليهم في الله خيالاً يتعالىٰ الله عنه فيصير به كافراً أو مبتدعاً وهو به فرح مسرور متبجح بما وقع في صدره يظنّ ان ذلك هو المعرفة والبصيرة وأنه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله، واشدّ الناس حماقة أقواهم اعتقاداً في عقل نفسه، واثبت الناس عقلاً أشدهم اتهاماً لنفسه وظنّه، واحرصهم على السؤال من العلماء، روي ان رسول الله ﷺ قال:(ان الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلقك؟ فيقول: الله تبارك وتعالىٰ، فيقول: فمن خلق الله تعالىٰ؟ فإذا وجد أحدكم فليقل آمنتُ بالله وبرسله، فإن ذلك يذهب عنه)[٢] فالنبي ﷺ لم يأمر في علاج هذا الوسواس بالبحث، فإن هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء، وأنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعباداتهم وبمعايشهم ويتركوا العلم

---

١ ـ الكافي ـ للكليني ج ٢، ص ٧٤.

٢ ـ اخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان بسند حسن كما في الجامع الصغير.

إلىٰ العلماء، فالعامي لو زنا أو سرق كان خيراً له من ان يتكلم في العلم فانه من تكلم من غيرإتقان العلم في الله وفي دينه وقع في الكفر من حيث لايدرى، كمن يركب لجّة البحر وهو لايعرف السباحة. ومكائد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب لاحصر لها وانما قصدنا بما اوردناه في المثال.

ثالث عشر: سوء الظن بالمسلمين:

ولذلك قال الله تعالىٰ: **﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا واجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِ إنَّ بَعْضَ الظَّنِ إثْم...﴾**[١] ومن حكم بشرّ علىٰ غيره بالظن بعثه الشيطان علىٰ أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه أو يتوانىٰ في اكرامه أوينظر إليه بعين الاحتقار ويرىٰ نفسه خيراً منه وكل ذلك من المهلكات ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتّهم فقال رسول الله ﷺ: (اتقوا مواضع التهم)[٢].

... وعن بعض ازواج رسول الله ﷺ قالت: حتّىٰ ان رسول الله ﷺ كان معتكفاً فأتيته فتحدثت عنده فلمّا امسيت انصرفت فقام يمشي معي فمرّ به رجلان من الانصار فسلّما ثم مضيا فدعاهما فقال: إنها صفية بنت حييّ، قالا يارسول الله افنظن بك إلّا خيراً؟ قال: ان الشيطان ليجري من بني آدم مجرىٰ الدم وإني خشيت ان يدخل عليكما[٣] فانظر كيف اشفق علىٰ دينهما فحرسهما، وكيف اشفق علىٰ امته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتّىٰ لايتساهل العالم الورع المعروف

---

١ ـ سورة الحجرات، ١٢.
٢ ـ ذكره المولىٰ على القارئ في الموضوعات الكبيرة، ص ٢٤.
٣ ـ اخرجه البخاري ومسلم ج ٧، ص ٨.

بالدين في احواله فيقول: مثلي لايظن به إلّا خيراً إعجاباً منه بنفسه فإن أورع الناس وأعلمهم لاينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم و بعين السخط بعضهم:

وعين الرضا عن كل عيب كليلةٌ ولكن عين السخط تبدى المساويا

فيجب الاحتراز عن السوء وعن تهمة الاشرار فإن الاشرار لايظنون بالناس كلهم إلّا الشر فمهما رأيت انساناً يسيء الظن بالناس طالباً للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه، وإنما يرىٰ غيره من حيث هو، فإن المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العيوب، والمؤمن سليم القلب في حق كافة الخلق، فهذه بعض مداخل الشيطان إلىٰ القلب... فليس للآدمى صفة مذمومة إلّا وهي سلاح للشيطان ومدخل من مداخله[1].

٣ ـ الشيخ محمد باقر المجلسي: (المتوفى ١١١١ هـ ق)

صاحب الموسوعة المعروفة بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار عليهم السلام.

فقد افرد الجزء الثالث والستين في الحديث عن باب تأثير السحر والعين ثم الحديث عن حقيقة الجن واحوالهم وباب ذكر إبليس وقصصه، والجزء باكمله يكاد أن يكون عن الجن وابليس وبما تضمن الحديث من الآيات القرآنية الكريمة والاحاديث الشريفة.

١ ـ المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء ـ لمحمد بن المرتضي المدعو بالمولىٰ محسن الكاشاني ج ٥ص ٥٧ إلىٰ ٦٧.

عن الرازى في تفسيره قال: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ...﴾[١] ذلكم الشيطان أي المثّبط الشّيطان، وقيل الشيطان يخوّف اولياءه بالوسوسة.

وقال في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفاً﴾[٢] لأن الله ينصر أولياءه والشيطان ينصر اولياءه، ولاشك ان نصرة الشيطان لاوليائه أضعف من نصرة الله لاوليائه ألا ترىٰ أن أهل الخير والدين يبقىٰ ذكرهم الحميد علىٰ وجه الدهر وان كانوا حال حياتهم في غاية الفقر والذلة، واما الملوك والجبابرة فإذا ماتوا انقرضوا ولا يبقىٰ في الدنيا رسمهم ولاظلمهم. (والكيد) السعي في فساد الحال علىٰ جهة الحيلة، وفائدة ادخال (كان) للتأكيد لضعف كيده، يعني انه منذ كان، كان موصوفاً بالضعف والذلة[٣].

وقال الرازي: أعلم انه لايجب أن يكون كل معصية تصدر عن إنسان فإنَّها تكون بسبب وسوسة شيطان، وإلّا لزم التسلسل أو الدور، فوجب الأعتراف بانتهاء هذه القبائح والمعاصي إلىٰ اول معصية سابقة حصلت لابوسوسة شيطان آخر، اذا ثبت هذا فنقول:إن اولئك الشياطين كما انهم يلقون الوساوس إلىٰ الأنس والجن فقد يوسوس بعضهم بعضاً، وللناس فيه مذاهب: منهم من قال: الأرواح إما فلكية واما ارضية، والارواح الارضية منها طيبة طاهرة ومنها خبيثة قذرة شريرة تأمر بالمعاصي والقبائح وهم الشياطين.

---

١ ـ آل عمران، ١٧٥ .

٢ ـ النساء، ٧٦.

٣ ـ بحارالانوار ـ محمد باقر المجلسي الجزء ٦٣، ص ١٤٥ .

ثم إن تلك الارواح الطيبة كما أنها تأمر الناس بالطاعات والخيرات فكذلك قد يأمر بعضهم بعضاً بالطاعات، والارواح الخبيثة كما أنها تأمر الناس بـالقبائح والمنكرات فكذلك قد يأمر بعضهم بعضاً بتلك القبائح والزيادة فيها، وما لم يحصل نوع من أنواع المناسبة بين النفوس البشرية وبين تلك الأرواح لم يـحصل ذلك الأنضمام بالنفوس البشرية وان كانت طاهرة نقية عن الصفات الذميمة كانت في جنس الأرواح الخبيثة فتنظم اليها.

ثم ان صفات الطهر كثيرة وصفات النقص والخسران كثيرة وبحسب كل نوع منها طوائف من البشر وطوائف من الأرواح الارضية.

وبحسب تلك المجانسة والمشاكلة ينضم الجنس إلىٰ جنسه، فإن كان ذلك في أفعال الخير كان الحاصل عليها ملكاً، وكان تقوية ذلك الخاطر إلهاماً، وإن كان في باب الشر كان الحاصل عليها شيطاناً، وكان تقويه ذلك الخاطر وسوسة ويقال: فلان يزخرف كلامه: إذا زينه بالباطل والكذب، و كل شـيء حسـن مـموه فـهو مزخرف.

وقوله تعالىٰ: (وان الشياطين) قال الطبرسي (قـدس سـره) يـعني عـلماء الكافرين ورؤساءهم المتمردين في كفرهم (ليوحون) أي يوحون ويشيرون (إلىٰ اوليائهم) الذين اتبعوهم من الكفار، والوحي القاء المعنىٰ إلىٰ النفس مـن وجـه خفي، وهم يلقون الوسوسة إلىٰ أهل الشرك. وقوله: (فـبما اغـويتني) قـيل: أي خيبتني من رحمتك وجنتك، وقيل: أي صرت سبباً لغوايتي بان أمرتني بالسجود لآدم فغويت عنده، وقيل أي اهلكتني بلعنك إياي. (لاقعدن لهم) أي ارصد لهـم لأقطع سبيلهم (صراطك المستقيم) دين الحق.

(ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم) أي من جميع الجهات وبأي وجه امكنه، وقيل من جهة دنياهم وآخرتهم ومن جهة حسناتهم وسيئاتهم عن ابن عباس وغيره و حاصله: أني أزين لهم الدنيا واخوفهم بالفقر واقول لهم لاجنة ولانار ولابعث ولاحساب واثبطهم عن الحسنات واشغلهم عنها وأحبب إليهم السيئات وأحثهم عليها قال ابن عباس:وانما لم يقل: ومن فوقهم، لأن فوقهم جهة نزول الرحمة من السماء، فلاسبيل له إلىٰ ذلك، ولم يقل من تحت ارجلهم لأن الاتيان منه موحش.

وقيل (من بين ايديهم وعن ايمانهم) من حيث يبصرون(ومن خلفهم وعن شمائلهم) من حيث لا يبصرون وروي عن أبي جعفر عليه السلام قال (ثم لآتينهم من بين ايديهم) معناه اهوّن عليهم أمر الآخرة (ومن خلفهم) أمرهم بجمع الاموال والبخل بهاعن الحقوق لتبقىٰ لورثتهم (وعن ايمانهم) افسد عليهم امر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة (وعن شمائلهم) بتحبيب اللذات إليهم وتغليب الشهوات علىٰ قلوبهم.

وقال البيضاوي (من بين ايديهم)، من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه (ومن خلفهم) من حيث لايعلمون ولايقدرون (وعن أيمانهم وعن شمائلهم) من حيث يتيسّر لهم ان يعلموا أو يتحرزوا، و لكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم[١] وعن اميرالمؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة قال: فاعتبروا بما كان من فعل الله بابليس إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهيد وكان قدعبد الله ستة آلاف

---

١ ـ بحارالانوار ـ محمد باقر المجلسي ج ٦٣ الصفحات ١٥٠ إلىٰ ١٥٣.

سنة لايُدرىٰ أمن سني الدنيا أم من سني الآخرة عن كبر ساعة واحدة[١] وقد ورد في مواعظ الإمام موسىٰ بن جعفر الكاظمعليه السلام لهشام... فقلت له: فاي الاعداء اوجبهم مجاهدة؟

قالعليه السلام أقربهم إليك واعداهم لك... ومن يحرض اعداءك عليك وهو ابليس...[٢].

٤ ـ الشيخ محمد مهدي النراقي (المتوفىٰ ١٢٠٩ هـ ق):

«المطاردة بين جندي الملائكة والشياطين في معركة النفس».

... الوسواس اثر الشيطان الخناس، والالهام عمل الملائكة الكرام، ولاريب في ان كل نفس في بدو فطرتها قابلة لأثر كل منهما على التساوي، وانما يترجح أحدهما بمتابعة الهوىٰ وملازمة الورع و التقوىٰ، فإذا مالت النفس إلىٰ مقتضىٰ شهوة أو غضب وجد الشيطان مجالاً فيدخل بالوسوسة وإذا انصرفت إلىٰ ذكر الله ضاق مجاله وارتحل فيدخل الملك بالإلهام. فلايزال التطارد بين جندي الملائكة و الشياطين في معركة النفس. لهيولانية وجودها وقابليتها للأمرين بتوسيط قوتيها العقلية والوهمية، إلىٰ أن يغلب أحد الجندين ويسخّر مملكة النفس ويستوطن العقلية والوهمية، فيها وحينئذ يكون اجتياز الثاني علىٰ سبيل الإختلاس، وحصول الغلبة إنما هو بغلبة الهوىٰ أو التقوىٰ، فإن غلب عليها الهوىٰ وخاضت فيه صارت مرعي الشيطان و مرتعه وكانت من حزبه، وإن غلب عليها الورع والتقوىٰ

---

١ ـ بحارالانوار ـ محمد باقر المجلسي ج ٦٣صفحة / ٢١٤عن نهج البلاغة خطبة ١٩٢ .

٢ ـ بحارالانوار ـ محمد باقر المجلسي ج ٧٨، ص ٣١٥ .

صارت مستقر الملك ومهبطه ودخلت في جنده، قال رسول الله ﷺ: (خلق الله الإنسان ثلاثة أصناف: صنف كالبهائم قال الله تعالىٰ:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾[١].

وصنف أجسادهم أجساد بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنفٌ كالملائكة في ظل الله يوم لاظل إلّا ظله).

ولاريب في أن أكثرالقلوب قدفتحها جنود الشياطين وملكوهاويتصرفون فيهابضروب الوساوس الداعية إلىٰ إيثار العاجلة وإطراح الآجلة. والسر فيه: إنّ سلطنة الشيطان سارية في لحم الإنسان و دمه ومحيطه بمجامع قلبه وبدنه، كما ان الشهوات ممتزجة بجميع ذلك، ومن هنا قال رسول الله ﷺ: «إنّ الشيطان ليجرى من بني آدم مجرىٰ الدم» وقال الله سبحانه حكاية علىٰ لسان ابليس اللعين: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾[٢].

فالخلاص من أيدي الشياطين يحتاج إلىٰ مجاهدة عظيمة ورياضة شاقة. فمن لم يقم في مقام المجاهدة كانت نفسه هدفاً لسهام وساوسهم وداخلة في أحزابهم[٣].

---

١ ـ الأعراف، ١٧٩.

٢ ـ سورة الأعراف، ١٦ ـ ١٧.

٣ ـ جامع السعادات / الجزء الأول / الشيخ محمد مهدي النراقي ص ١٤٥ ـ ١٤٦.

تسويلات الشيطان ووساوسه

لما كانت طرق الباطل كثيرة وطريق الحقّ واحد، فالأبواب المفتوحة للشيطان إلىٰ القلب كثيرة، و باب الملائكة واحدة، ولذا روي إنّ النّبي ﷺ خط يوماً لأصحابه خطاً وقال: (هذا سبيل الله) ثم خط خطوطاً عن يمينه وشماله فقال (هذه سبل علىٰ كلّ سبيل منها شيطان يدعو إليه) ثمّ تلا قوله سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[١].

ثمّ لسهولة ميل النفس إلىٰ الباطل وعسرانقيادها للحقّ تكون الطرق المؤدية إلىٰ الباطل الّتي هي أبواب الشيطان جليّة ظاهرة، فكانت أبواب الشيطان مفتوحة أبداً، والطرق المؤدية إلىٰ الحقّ الّتي هي باب الملائكة خفية، فكان باب الملائكة مسدوداً دائماً، فما أصعب بالمسكين ابن آدم أن يسد هذه الأبواب الكثيرة الظاهرة المفتوحة ويفتح باباً واحداً خفيّاً مسدوداً. علىٰ ان اللعين ربـمّا يلبس بين طريقي الحق والباطل ويعرض الشر في موضع الخير، بحيث يظن انّه لُمّة الملك و إلهامه، لاوسوسة الشيطان وإغواؤه، فيهلك ويضل من حيث لايعلم، كما يلقي في قلب العالم انّ الناس لكثرة غفلتهم أشرفوا على الهلاك، وهم من الجهل موتىٰ، ومن الغفلة هلكىٰ.

أمَا لك رحمة علىٰ عباد الله؟

أما تريد الثواب والسعادة في العُقبىٰ؟

---

١ ـ سورة الأنعام، ١٥٣.

فما بك لاتنبههم عن رقدة الغفلات بوعظك، ولا تنقذهم من الهلاك الأبدي بنصحك؟

وقد مَنّ الله عليك بقلب بصير وعلم كثير ولسان ذلق ولهجة مقبولة، فكيف تخفي نعم الله تعالىٰ ولاتظهرها، فلا يزال يوسوسه بأمثال ذلك ويثبتها في لوح نفسه إلىٰ ان يسخره بلطائف الحيل، و يشتغل بالوعظ فيدعوه إلىٰ التزيّن والتصنع، والتحسن بتحسين اللفظ، والسرور بتملق الجماعة، والفرح بمدحهم إياه، والإنبساط بتواضعهم لديه، وانكسارهم بين يديه، ولايزال في أثناء الوعظ يقرر في قلبه شوائب الرياء وقبول العامة، ولذّة الجاه وحب الرياسة، والتعزز بالعلم والفصاحة والنظر إلىٰ الخلق بعين الحقارة، فيهدي الناس ويضل نفسه ويعمر يومه ويخرب أمسه، ويخالف الله ويظن أنّه في طاعته، ويعصيه ويحسب أنّه في عبادته فيدخل في جملة من قال الله فيهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[١]

ويكون ممن قال ـ رسول الله ﷺ ـ فيهم (ان الله ليؤيد هذا الدّين بأقوام لاخلاق لهم) و (إنّ الله ليؤيد هذا الدّين بالرجل الفاجر). فلا نجاة من مصائد الشيطان ومكائده إلّا ببصيرة باطنة نورانيّة وقوة قدسية ربانية، كما لانجاة للمسافر الحيران في بادية كثيرة الطرق غامضة المسلك في ليلة مظلمة إلّا بعين بصيرة صحيحة وطلوع شمس مشرقة نيّرة[٢].

«العلائم الفارقة بن الإلهام والوسوسة»

---

١ ـ الكهف، ١٠٣ ـ ١٠٤.

٢ ـ جامع السعادات / الجزء الأول / الشيخ محمد مهدي النراقي ص ١٤٦ ـ ١٤٨.

من تمكن من معرفة الخير والشر سهل عليه التفرقة بين الإلهام والوسوسة، وقد قيل إنّ إلهام الملك ووسوسة الشيطان يقع في النفوس علىٰ وجوه وعلامات:

أحدها: كالعلم واليقين الحاصلين من جانب يمين النفس وتقابله الشهوة والهوىٰ الحاصلان من جانب شمالها.

وثانيها: كالنظر إلىٰ آيات الآفاق والأنفس علىٰ سبيل النظام والإحكام المزيل للشكوك والأوهام والمحصل للمعرفة والحكمة في القوة العاقلة هي الجانب الأيمن من النفس ويقابله النظر إليها علىٰ سبيل الإشتباه والغفلة والإعراض عنها، الناشئة منها الشبه والوساوس في الواهمة والمتخيلة الّتي على الجانب الأيسر منها، فإنّ الآيات المحكمات بمنزلة الملائكة المقدسة من العقول والنفوس الكلية لأنها مبادئ العلوم اليقينية، والمتشابهات الوهميات بمنزلة الشياطين والنفوس الوهمانية، لأنها مبادئ المقدمات السفسطية.

وثالثها: كطاعة الرسول المختار والأئمة الأطهار في مقابلة أهل الجحود والإنكار وأرباب التعطيل والتشبيه من الكفار فكلّ من سلك سبيل الهداية فهو بمنزلة الملائكة المقدسين الملهمين للخير، ومن سلك سبيل الضلال فهو بمنزلة المغوين بالشرور.

ورابعها: كتحصيل العلوم والإدراكات الّتي هي في الموضوعات العالية والأعيان الشريفة، كالعلم بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والبعث وقيام الساعة، ومثول الخلائق بين يدى الله تعالىٰ، و حضور الملائكة والنبيين، والشهداء والصالحين، في مقابلة تحصيل العلوم والإدراكات، الّتي هي من باب الحيل والخديعة والسفسطة، والتأمل في أمورالدنيا الغير خارجة عن دار المحسوسات،

فإنّ الأول يشبه الملائكة الروحانية، وجنود الرّحمن الّـذين هـم سكـان عـالم الملكوت السماوي، والثاني يشبه الأبالسه المطرودة عن باب الله الممنوعة مـن ولوج السماوات، المحبوسة في الظلمات، المحرومة فـي الدّنـيا عـن الإرتـقاء، والمحجوبة في الآخرة عن دارالنعيم[١].

علاج الوساوس

الوساوس إن كانت بواعث الشرور والمعاصي، فالعلاج في دفعها أن يتذكر سوء عاقبة العصيان ووخامته، في الدّنيا والآخرة ويتذكر عظيم حقّ الله وجسيم ثوابه وعقابه ويتذكر ان الصبر عما تدعو إليه هذه الوساوس أسهل من الصبر على النار لو قذفت شرارة منها إلىٰ الأرض أحرقت نبتها وجمادها، فإذا تـذكر هـذه الأمور وعرف حقيقتها بنور المعرفة والايمان، حبس عنه الشيطان وقـطع عـنه وساوسه إذ لا يمكن أن ينكر عليه هذه الأمور الحقّة، إذ يقينه الحاصل من قواطع البرهان يمنعه عن ذلك و يخيّبه، بحيث يرجع هارباً خائباً.

فإن التهاب نيران البراهـين بـمنزلة رجـوم الشـياطين فـإذا قـوبلت بـها وساوسهم فرت الحُمُر من الأسد.

وإن كانت مختلجة بالبال بلاإرادة واخـتيار مـن دون أن تكـون مـبادئ الأفعال، فقطعها بالكلية في غاية الصعوبة والإشكال، وقد اعترف أطباء النفوس بأنها الداء العضال ويتعسّر دفعه بالمرّة وربما قيل بتعذره ولكن الحق امكانه لقول

١ ـ جامع السعادات / الجزء الأول / الشيخ محمد مهدي النراقي ص ١٤٨ ـ ١٤٩ .

النّبي ﷺ (من صلّىٰ ركعتين لم تتحدث نفسه فيها بشيء غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)، ولولا امكانه لم يتصور ذلك.

والسر في صعوبة قطعها بالكلية إنّ للشيطان جندين: جنداً يطير وجنداً يسير، الواهمة جنده الطيار، والشهوة جنده السّيار، لأنّ غالب ماخلقتا منه هي النّار الّتي خلق منها الشيطان، فالمناسبة اقتضت تسلطه عليهما وتبعيتهما له.

ثمّ لمّا كانت النّار بذاتها مقتضية للحركة، إذ لا تتصور نار مشتعلة لاتتحرك، بل لاتزال تتحرك بطبعها، فشأن كلّ من الشيطان والقوتين أن يتحرك ولا يسكن، إلّا إنّ الشيطان لمّا خلق من النّار الصرفة من دون امتزاج شيء آخر بها فهو دائم الحركة والتحريك للقوتين بالوسوسة والهيجان، و القوتان لمّا امتزج بغالب مادتها ـ أعني النّار ـ شيء من الطين لم تكونا بمثابة ما خلق من صرف النّار في الحركة، إلّا أنهما استعدتا لقبول الحركة منه، فلايزال الشيطان ينفخ فيهما ويحركهما بالوسوسة والهيجان ويطير ويجول فيهما.

ثمّ الشهوة لكون النارية فيها أقل فَسكونها ممكن، فيحتمل أن يكف تسلط الشيطان عن الإنسان فيها، فيسكن بالكلية عن الهيجان. وأمّا الواهمة فلايمكن أن يقطع تسلطه عنها، فيمتنع قطع وسواسه عن الإنسان، إذ لو أمكن قطعه أيضاً بالمرة، لصار اللعين منقاداً للإنسان مسخراً له، وانقيادهُ له هو سجوده له، إذ روح السجود وحقيقته هوالإنقياد والطاعة، ووضع الجبهة حالته وعلامته، وكيف يتصور أن يسجد الملعون لأولاد آدم عليه السلام مع عدم سجوده لأبيهم واستكباره من أن يطمئن

عن حركته ساجداً له معللاً بقوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[١].

فلا يمكن أن يتواضع لهم بالكف عن الوسوسة، بل هو من المنظرين لإغوائه إلىٰ يوم الدّين، فلا يخلص منه أحد إلّا من أصبح وهمومه هم واحد، فيكون قلبه مشتغلاً بالله وحده، فلا يجد الملعون مجالاً فيه، ومثله من المخلصين الداخلين في الإستثناء عن سلطنة هذا اللعين، فلا تظنن أنه يخلو عنه قلب فارغ، بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم، وسيلانه مثل الهواء في القدح، فإنك إن أردت أن تخلي القدح عن الهواء ومن غير أن تشغلهُ بمثل الماء فقد طمعت في غير مطمع، بل بقدر ما يدخل فيه الماء يخلو عنه الهواء. فكذلك القلب إذا كان مشغولاً بفكر مهم في الدّين يمكن أن يخلو من جولان هذا اللعين، وأمّا لو غفل عن الله ولو في لحظة، فليس في تلك اللحظة قرين إلّا الشيطان كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَـٰناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[٢].

وقال رسول الله ﷺ: (إنّ الله يبغض الشاب الفارغ) لأن الشاب إذا تعطل عن عمل مباح يشغل باطنه لابد أن يدخل في قلبه الشّيطان ويعيش فيه ويبيّض ويفرخ، وهكذا يتوالد نسل الشّيطان توالداً أسرع من توالد الحيوانات، لأن الشيطان طبعه من النّار، والشهوة في نفس الشاب كالحلفاء اليابسة، فإذا وجدها كثر توالده، وتولدت النّار من النّار ولم تنقطع أصلاً.

فظهر أنّ وسواس الخناس لايزال يجاذب قلب كلّ إنسان من جانب إلىٰ جانب، ولاعلاج له إلّا قطع العلائق كلّها ظاهراً وباطناً، والفرار عن الأهل والمال

---

١ ـ الأعراف، ١٢.

٢ ـ سورة الزخرف، ٣٥.

والولد والجاه والرفقاء، ثم الإعتزال إلىٰ زاوية[١]، وجعل الهموم همّاً واحداً وهو الله. وهذا أيضاً غيركاف ما لم يكن له مجال في الفكر وسيرفي ملكوت السماوات والأرض وعجائب صنع الله، فإن استيلاء ذلك على القلب واشتغاله به يدفع مجاذبة الشيطان ووساوسه، وبأن لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه إلّا الأوراد المتواصلة المترتبة في كلّ لحظة من الصلوات والأذكار والأدعية والقراءة، ويحتاج مع ذلك إلىٰ تكليف القلب الحضور، وإذا فعل كلّ ذلك لم يسلم له من الأوقات إلّا بعضها، إذ لا يخلو في بعضها عن حوادث تتجدد وتشغله عن الفكر والذكر، كمرض أو خوف أو إيذاء وطغيان، ولو من مخالطة بعض لا يستغني عنه في الإستعانة في بعض أسباب المعيشة[٢].

ما يتم به علاج الوسواس

لو أمكن العلاج في القطع الكلي للوساوس فإنما يتم بأمور ثلاثة:ـ

الأول: سد الأبواب العظيمة للشيطان في القلب، وهي الشهوة، والغضب، والحرص، والحسد والعداوة والعجب، والحقد، والكبر، والطمع، والبخل، والخفّة، والجبن، وحب الحطام الدنيوي، والشوق إلىٰ التزين بالثياب الفاخرة، والعجلة في الأمر، وخوف الفاقة والفقر، والتعصب لغيرالحق، وسوء الظن بالخالق والخلق،

---

١ ـ والمقصود ينبغي عدم التعلق المطلق بالأهل والمال والولد والجاه والرفقاء والاشتغال كاملاً بهم ليل نهار، كما ينبغي التفرغ إلىٰ عبادة الله عزوجل وتخصيص أوقات لها وتحقيق الهدف الذي من أجله خلق الله سبحانه البشر، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ سورة الذاريات، ٥٦.

٢ ـ جامع السعادات / الشيخ محمد مهدي النراقي ج ١ ـ ص ١٥٠ ـ ١٥٣.

وغيرذلك من رؤوس ذمائم الصفات، ورذائل الملكات فإنها أبواب عظيمة للشيطان فإذا وجد بعضها مفتوحاً يدخل منه في القلب بالوسواس المتعلقة به، وإذا سدت لم يكن له إليه سبيل إلّا علىٰ طريق الإختلاس والإجتياز.

الثاني: عمارة القلب بأضدادها من فضائل الاخلاق وشرائف الاوصاف، والملازمة للورع و التقوىٰ، و المواضبة علىٰ عبادة الله سبحانه و تعالىٰ.

الثالث: كثرة الذكر بالقلب و اللسان، فإذا قلعت عن القلب أصول ذمائم الصفات المذكورة الّتي هي بمنزلة الأبواب العظيمة للشيطان، زالت عنه وجوه سلطنته وتصرفاته، سوي خطراته واجتيازاته، و الذكر يمنعها ويقطع تسلطه وتصرفه بالكلية ولو لم يسد أبوابه أوّلاً لم ينفع مجرد الذكر اللساني في ازالتها، إذ حقيقة الذكر لايتمكن في القلب إلّا بعد تخليته عن الرذائل وتحليته بالفضائل، ولولاهما لم يظهر على القلب سلطانه، بل كان مجرد حديث نفسي لايندفع به كيد الشيطان وتسلطه، فإنّ مثل الشيطان مثل كلب جائع، ومثل هذه الصفات المذمومة مثل لحم أوخبز أو غيرهما من مشتهيات الكلب و مثل الذكر مثل قولك له: إخسأ ـ ولاريب في أنّ الكلب إذا قرب إليك ولم يكن عندك شيء من مشتهياته فهو ينزجر عنك بمجرد قولك إخسأ وإن كان عندك شيء منها لم يندفع عنك بمجرد هذا القول ما لم يصل إلىٰ مطلوبه. فالقلب الخالي عن قوت الشيطان يندفع عنه بمجرد الذكر، وأمّا القلب المملوء منه فيدفع الذكر إلىٰ حواشيه ولا يستقرفي سويدائه، لاستقرار الشيطان فيه. وأيضاً الذكر بمنزلة الغذاء المقوّي، فكما لاتندفع الأغذية المقوية مالم ينقَ البدن عن الإخلاط الفاسدة ومواد الأمراض الحادثة، كذلك لاينفع الذكر مالم يطهر القلب عن الأخلاق الذميمة الّتي هي مواد مرض

الوسواس، فالذكر إنما ينفع للقلب إذا كان مطهراً عن شوائب الهوىٰ ومنوّراً بأنوار الورع والتقوىٰ كما قال سبحانه:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[1].

وقال سبحانه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[2].

ولوكان مجرد الذكر مطرداً للشيطان لكان كل أحد حاضر القلب في الصلاة، ولم يخطر بباله فيها الوساوس الباطلة والهواجس الفاسدة، إذ منتهي كل ذكر وعبادة إنما هو في الصلاة، مع ان من راقب قلبه يجد ان حضور الخواطر في صلاته أكثرمن سائر الأوقات، وربما لايتذكر مانسيه من فضول الدّنيا إلّا في صلاته، بل يزدحم عندها جنود الشياطين علىٰ قلبه ويصير مضماراً لجولانهم، ويقلبونه شمالاً ويميناً بحيث لايجد فيه إيماناً ويقيناً، ويجاذبونه إلىٰ الأسواق وحساب المعاملين وجواب المعاندين، و يمرون به في أودية الدّنياومهالكها.ومع ذلك كله لاتظننّ ان الذكر لاينفع في القلوب الغافلة أصلاً.فإنّ الأمر ليس كذلك، إذ للذكر عند أهله أربع مراتب كلّها تنفع الذاكرين، إلّا أن لبّه وروحه والغرض الأصلى من ذلك المرتبة الأخيرة:

الأولي: اللساني فقط.

الثانية: اللساني والقلبي، مع عدم تمكنه من القلب، بحيث احتاج القلب إلىٰ

---

١ ـ سورة الأعراف، ٢٠١.

٢ ـ ق، ٣٧.

مراقبته حتّىٰ يحضر مع الذكر، ولو خليٰ وطبعه استرسل في أودية الخواطر.

الثالثة: القلبي الّذي تمكن من القلب واستوليٰ عليه، بحيث لم يمكن صرفه عنه بسهولة بل احتاج ذلك إلىٰ سعي وتكلف، كما احتيج في الثانية إليهما في قراره معه ودوامه عليه.

الرابعة: القلبي الّذي يتمكن المذكور من القلب بحيث انمحىٰ عند الذكر، فلا يلتفت القلب إلىٰ نفسه ولا إلىٰ الذكر، بل يستغرق بشراشره[١] في المذكور، وأهل هذه الرتبة يجعلون الالتفات إلىٰ الذكر حجاباً شاغلاً. وهذه المرتبة هي المطلوبة بالذات، والبواقي مع اختلاف مراتبها مطلوبة بالعرض، لكونها طرقاً إلىٰ ما هو مطلوب بالذات[٢].

٥ ـ سيد قطب:

ذكر سيد قطب في تفسيره (في ظلال القرآن) تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَٰبِ السَّعِيرِ﴾[٣].

إنّ وعد الله حق.. انه آت لاريب فيه.. انه واقع لايتخلف.. انه حق.. والحق

١ ـ شراشره: القىٰ عليه شراشره وهو ان يحبه حتّىٰ يستهلك في حبّه. (لسان العرب / ابن منظور / ج ٧، ص ٧٩.

٢ ـ جامع السعادات / الشيخ محمد مهدي النراقي / ج ١، ص ١٦٥ـ١٥٣

٣ ـ سورة فاطر، ٥ ـ ٦ .

لابد أن يقع.. و الحق لا يضيع ولا يبطل ولا يتبدد ولا يحيد... ولكن الحياة الدّنيا تغر وتخدع ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا﴾ ولكن الشيطان يغر ويخدع فلا تمكنوه من أنفسكم ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ والشيطان قد أعلن عداءه لكم وإصراره علىٰ عدائكم ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾ لاتركنوا إليه.. ولاتتخذوه ناصحاً لكم ولاتتبعوا خطاه.. فالعدو لايتبع خطىٰ عدوّه وهو يعقل ! ولا يدعوكم إلىٰ الخير، ولا ينتهي بكم إلىٰ النجاة ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَـٰبِ السَّعِيرِ﴾ فهل من عاقل يجيب دعوة الداعي إلىٰ عذاب السّعير؟!

إنها لمسة وجدانية صادقة فحين يستحضرالإنسان صورة المعركة الخالدة بينه وبين عدوه الشيطان، فإنه يتحفزبكلّ قواه وبكل يقظته وبغريزة الدفاع عن النفس وحماية الذات. يتحفز لدفع الغواية والإغراء ويستيقظ لمدخل الشيطان إلىٰ نفسه، ويتوجس من كلّ هاجسه، ويسرع ليعرضها علىٰ ميزان الله الّذي أقامه له ليتبين، فلعلها خدعة مستترة من عدوه القديم !

وهذه هي الحالة الوجدانية الّتي يريد القرآن أن ينشئها في الضمير حالة التوفر والتحفز لدفع وسوسة الشيطان بالغواية، كما يتوفر الإنسان ويتحفز لكل بادرة من عدوه وكلّ حركة خفيّة ! حالة التعبئة الشعورية ضد الشر ودواعيه، وضد هواتفه المستترة في النفس، وأسبابه الظاهرة للعيان. حالة الإستعداد الدائم للمعركة الّتي لا تهدأ لحظة ولاتضع أوزارها في هذه الأرض أبداً[١].

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا لِأَدَمَ

---

١ ـ في ظلال القرآن ـ سيد قطب، الجزء الخامس ـ صفحة ٢٩٢٦.

فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ * قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ﴾[١].

تبدأ قصة البشرية باحداثها المثيرة، تبدأ باعلان ميلاد الإنسان في احتفال مهيب، في رحاب الملأ الأعلىٰ... يعلنه الملك العزيز الجليل العظيم، وزيادة في الحفاوة والتكريم. وتحتشد له الملائكة ـ وفي زمرتهم وان لم يكن منهم ابليس ـ وتشهده السماوات والارض وما خلق الله من شيء.. انه أمر هائل وحدث عظيم في تاريخ هذا الوجود ان الخلق قد يكون معناه الانشاء والتصوير قد يكون معناه الصورة و الخصائص و هما مرتبتان في النشأة لامرحلتان فإن (ثم) قد لاتكون للترتيب الزمني، ولكن للترقي المعنوي. والتصوير أرقىٰ مرتبة من مجرد الوجود...

وعلىٰ أية حال فإن مجموع النصوص القرآنية في خلق آدمعليه السلام، وفي نشأة الجنس البشرى ترجح ان اعطاء هذا الكائن خصائصهُ الإنسانية ووظائفه المستقلة، كان مصاحباً لخلقه. وان الترقي في تاريخ الإنسان كان ترقياً في بروز هذه الخصائص ونموها وتدريبها واكتسابها الخبرة العالية، ولم يكن ترقياً في

١ ـ سورة الأعراف، ١١ ـ ١٧.

(وجود) الإنسان كما تقول الدارونية...

... لقد اعلن الله بذاته العليّة الجليلة هذا الكائن الانساني، في حفل حافل من الملأ الاعلىٰ

﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾[1].

والملائكة خلق آخر من خلق الله لهم خصائصهم ووظائفهم.. وهم الذين لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فقد سجدوا مطيعين منفذين لامر الله، لا يترددون ولا يستكبرون ولا يفكرون في معصية لأي سبب ولأي تصور ولأي تفكير.. هذه طبيعتهم وهذه خصائصهم وهذه وظيفتهم وإلى هنا تتمثل كرامة هذا الكائن الإنساني علىٰ الله كما تتمثل الطاعة المطلقة في ذلك الخلق المسمىٰ بالملائكة من عباد الله.

اما ابليس فقد امتنع عن تنفيذ امرالله سبحانه وعصاه.. نجد في المشهد ثلاثة نماذج من خلق الله:

نموذج الطاعة المطلقة والتسليم العميق.

ونموذج العصيان المطلق والاستكبار المقيت.

وطبيعة ثالثة هي الطبيعة البشرية.

اما الطبيعة الاولىٰ فهي خالصة لله وقد انتهىٰ دورها بهذا التسليم المطلق.

واما الطبيعتان الاخريتان، فسنعرف كيف تتجهان.

---

١ ـ سورة الاعراف، ١١ .

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[١].

لقد جعل ابليس له رأياً مع النص. وجعل لنفسه حقاً في ان يحكم نفسه وفق ما يرىٰ هو من سبب وعلة مع وجود الامر... وحين يوجد النص القاطع والأمر الجازم ينقطع النظر، ويبطل الفكر، و تتعين الطاعة، ويتحتم التنفيذ..وهذا إبليس ـ لعنة الله ـ لم يكن ينقصه أن يعلم ان الله هو الخالق المالك الرازق المدبر الذي لا يقع في هذا الوجود شيء إلّا باذنه وقدره. ولكنه لم يطع الامر كما صدرإليه ولم ينفذه بمنطق من عند نفسه: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[٢] فكان الجزاء العاجل الذي تلقاه لتوه: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[٣].

ان علمه بالله لم ينفعه واعتقاده بوجوده وصفاته لم ينفعه وكذلك كل من يتلقىٰ امر الله ثم يجعل لنفسه نظراً في هذا الأمر يترتب عليه قبوله أو رفضه، وحاكمية في قضية قضىٰ الله فيها من قبل يرد بها قضاء الله في هذه القضية.. انه الكفر إذن مع العلم ومع الاعتقاد فابليس لم يكن ينقصه العلم ولم يكن ينقصه الاعتقاد!

لقد طُرد من الجنة وطُرد من رحمة الله وحقت عليه اللعنة وكتب عليه الصغار ولكن الشرير العنيد لاينسىٰ ان آدم هو سبب الطرد والغضب ولا يستسلم

---

١ ـ سورة الاعراف، ١٢.
٢ ـ سورة الاعراف، ١٢.
٣ ـ سورة الاعراف، ١٣.

لمصيره البائس دون ان ينتقم ثم ليؤدي وظيفته وفق طبيعة الشر التي تمخّضت فيه: ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ﴾[1].

فهو الاصرار المطلق على الشر، والتصميم المطلق على الغواية... وبذلك تتكشف هذه الطبيعة عن خصائصها الاولىٰ... .

شر ليس عارضاً ولا وقتياً انما هو الشر الاصيل العامد القاصد العنيد... ثم هو التصوير المشخص للمعاني العقلية والحركات النفسية، في مشاهد شاخصة حيّة.

لقد سأل ابليس ربه ان ينظره إلىٰ يوم البعث.. وهو يعلم ان هذا الذي يطلبه لا يقع إلا بارادة الله وقدره.

وقدأجابه الله إلىٰ طلبه في الانظار، ولكن ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ كما جاء في السورة الاخرىٰ وقد وردت الروايات: انه يوم النفخة الاولىٰ التي يُصعق فيها من في السماوات والارض ـ إلّا من شاء الله ـ لا يوم يبعثون.

وهنا يعلن ابليس في تبجح خبيث ـ وقد حصل علىٰ قضاء بالبقاء الطويل ـ أنه سيرد علىٰ تقدير الله له الغواية وانزالها به، بسبب معصيته وتبجحه، بان يغوي ذلك المخلوق الذي كرّمه الله والذي بسببه كانت مأساة ابليس ولعنه وطرده ! ويجسم هذا الاغواء بقوله الذي حكاه القرآن عنه:

---

١ ـ سورة الاعراف، ١٤ ـ ١٧ .

﴿... لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ...﴾[١]

إنّه سيقعد لآدم وذريته علىٰ صراط الله المستقيم، يصد عنه كل من يهم منهم باجتيازه ـ والطريق إلىٰ الله لايمكن أن يكون حساً، فالله سبحانه جل عن التحيّز، فهو إذن طريق الايمان والطاعات المؤدي إلىٰ رضىٰ الله ـ وانه سيأتى البشر من كل جهة: ﴿مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ للحيلولة بينهم وبين الإيمان والطاعة... وهو مشهد حي شاخص متحرك لاطباق إبليس على البشر في محاولته الدائبة لاغوائهم، فلا يعرفون الله ولايشكرونه، اللهم إلّا القليل الذي يفلت ويستجيب: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ﴾ ويجيء ذكر الشكر، تنسيقاً مع ما سبق في مطلع السورة:

﴿قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ... لبيان السبب في قلّة الشكر، وكشف الدافع الحقيقي الخفي، من حيلولة ابليس دونه، وقعوده على الطريق إليه ليستيقظ البشر للعدو الكامن الذي يدفعهم عن الهدىٰ، وليأخذوا حذرهم حين يعرفون من اين هذه الآفة التي لاتجعل اكثرهم شاكرين. لقد اجيب ابليس إلىٰ ملتمسه ـ لأن مشيئة الله ـ سبحانه ـ اقتضت ان يترك الكائن البشري يشق طريقه، بما ركّب في فطرته من استعداد للخير والشر، وبما وهبه من عقل مرجح، وبما أمده من التذكير والتحذير علىٰ أيدي الرسل، ومن الضبط والتقويم بهذا الدين كما اقتضت ان يتلقىٰ الهداية والغواية، وان يصطرع في كيانه الخير و الشر، وان ينتهي إلىٰ أحدىٰ النهايتين،

---

١ ـ سورة الأعراف، ١٧ .

فتحق عليه سنه الله وتتحقق مشيئته بالابتلاء، سواء اهتدىٰ أو ضل، فعلىٰ سنة الله الجارية وفق مشيئته الطليقة، تحقق الهدىٰ أو الضلال.

لكن السياق هنا لايصرح بترخيص الله ـ سبحانه ـ لابليس ـ عليه اللعنة ـ في إبعاده هذا الاخير كما صرح باجابته في انظاره انما يسكت عنه، ويعلن طرد إبليس طرداً لا معقب عليه. طرده مذموماً مقهوراً، وابعاده بملء جهنم منه وممن يتبعه من البشر ويضل معه:

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَّدْحُوراً لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1] ومن يتبعه من البشر قد يتبعه في معرفته بالله واعتقاده بالوهيته، ثم رفض حاكمية الله وقضائه، وادعاء أن له الحق في اعادة النظر في اوامر الله. وفي تحكيم منطقه هو في تنفيذها أوعدم تنفيذها..كما أنّه قد يتبعه ليضله عن الاهتداء إلىٰ الله اصلاً... وهذا وذلك كلاهما اتباع للشيطان، جزاؤه جهنم مع الشيطان!

لقد جعل الله ـ سبحانه ـ لابليس وقبيله فرصة الاغواء ـ وجعل لآدم وذريته فرصة الاختيار تحقيقاً للابتلاء الذي قضت مشيئته أن تأخذ به هذا الكائن، وتجعله به خلقاً متفرداً في خصائصه لا هو ملك ولا هو شيطان لأن له دور آخر في هذا الكون، ليس هو دور الملك ولا هو دور الشيطان.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَانُ...﴾

وسوسة الشيطان لاندري نحن كيف تتم، لاننا لاندري كنه الشيطان حتىٰ ندرك كيفيات افعاله، وكذا اتصاله بالانسان وكيفية اغوائه... ولكنا نعلم ـ بالخبر

---

١ ـ سورة الأعراف، ١٨.

الصادق وهو وحده المصدر المعتمد عندنا عن هذا الغيب ـ ان إغواء على الشر يقع في صورة من الصور، وايحاء بارتكاب المحظور يتم في هيئة من الهيئات. وان هذا الإيحاء وذلك الاغواء يعتمدان علىٰ نقاط الضعف الفطرية في الإنسان. وان هذا الضعف يمكن اتقاؤه بالايمان والذكر، حتّىٰ مايكون للشيطان سلطان علـى المؤمن الذاكر، ومايكون لكيده الضعيف حينئذٍ من تأثير[1].

وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ﴾[2]

هناك حقيقة واقعة ـ هي جدية المعركة مع الشيطان واصالتها واستمرارها وضراوتها...

لقد بدأ من سياق القصة اصرار هذا العدو العنيد علىٰ ملاحقة الإنسان في كل حالة، وعلىٰ اتيانه من كل صوب وجهة، وعلىٰ اتباعه في كل ساعة ولحظة.

لقد اختار اللعين القصة اصرار هذا العدو العنيد علىٰ ملاحقة الإنسان في كل حالة، وعلىٰ اتيانه من كل صوب وجهة، وعلىٰ اتباعه في كل ساعة ولحظة.

لقد اختار اللعين ان يزاول هذا الكيد، وان ينظر لمزاولتـه عـلى المـدىٰ الطويل ... اختار هذا علىٰ ان يضرع إلىٰ الله ان يغفر له خطيئتهُ في معصيته عياناً وقد سمع أمره مواجهة! ثم بين انه سيقعد لهم علىٰ طريق الله لايمكنهم من سلوكه، وأنه سيأتيهم من كل جهة يصرفهم عن هداه.

١ ـ في ظلال القرآن / سيد قطب / الجزء الثالث ص ١٢٦٨.

٢ ـ سورة الأعراف، ١٦ ـ ١٧ .

وهو إنما يأتيهم من ناحية نقط الضعف فيهم ومداخل الشهوة ولاعاصم لهم منه إلّا بالتقوي و بالايمان والذكر والتّقوى علىٰ اغوائه ووسوسته، والاستعلاء على الشهوات واخضاع الهوىٰ لهدىٰ الله.

والمعركة مع الشيطان هي المعركة الرئيسية. انها المعركة مع الهوىٰ باتباع الهُدىٰ، والمعركة مع الشهوات باستعلاء الارادة. والمعركة مع الشر والفساد في الارض الذي يقود الشيطان اولياءه إليه باتباع الهُدىٰ، والمعركة مع الشهوات باستعلاء الارادة. والمعركة مع الشر والفساد في الارض الذي يقود الشيطان اولياءه إليه باتباع شريعة الله المصلحة للارض...

والمعركة في الضمير، والمعركة في الحياة الواقعية متصلتان لامنفصلتان .فالشيطان وراءهما جميعاً !

والطواغيت التي تقوم في الارض لتخضع الناس لحاكميتهاوشرعها وقيمها وموازينها، وتستبعد حاكمية الله وشرعه والقيم والموازين المنبثقة من دينه.. انما هي شياطين الانس التي توحي لها شياطين الجن. والمعركة معها هي المعركة مع الشيطان نفسه. وليست بعيدة عنها.

وهكذا تتكرر المعركة الطويلة الضارية فالمعركة مع الشيطان ذاته ومع اوليائه، ويشعر المسلم وهو يخوض المعركة مع هواه وشهواته، وهو يخوضها كذلك مع اولياء الشيطان من الطواغيت في الأرض و أتباعهم وأذنابهم، وهو يخوضها مع الشروالفساد والانحلال الذي ينشئونه في الارض من حولهم... يشعرالمسلم وهو يخوض هذه المعارك كلها، انه انما يخوض معركة واحدة جديّة صارمة ضارية لأن عدوه فيها مصر ماضٍ في طريقه... وان الجهاد ـ من ثم ـ ماض

إلىٰ يوم القيامة، في كل صوره ومجالاته[١].

٦ ـ ابراهيم محمد الجمل:

مسائل حول عصيان ابليس ومحاجته:

المسألة الاولىٰ:

ان ابليس لم يكن من الملائكة فهو غير مأمور بالسجود لآدم، فكيف يعاقب علىٰ مخالفته امراً لم يوجه إليه؟ والجواب: ـ ان ابليس لو لم يكن مأموراً لقال لله: إنك لم تأمرني حين قال الله له ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[٢] ولكنه أظهر التكبر ولم ينف الامر، ففهمنا انه كان مأموراً، وانه وإن كان من غيرالملائكة ولكن الله تعالىٰ كان قد أمر الشاهدين لنفخ الروح في آدم بالسجود وابليس كان حاضراً، وانما عبَّر الله تعالىٰ بالملائكة لانهم كانوا الجمهور الأعظم في الحاضرين. ووجود فرد من غيرهم لايغيّر في صدور الامر علىٰ هذه الصورة، فهو كان من الحاضرين المأمورين حقيقة وإن كان غيرملك، وليس لاحد أن يكون أقوم بحجة ابليس نفسه.

وهناك رأي آخر: وهو أن في الملائكة صنفاً يقال لهم الجن فلفظ الملائكة يشمله.

---

١ ـ في ظلال القرآن / سيد قطب، الجزء الثالث ص ١٢٢٤ ـ ١٢٧٥ .

٢ ـ سورة الاعراف، ١٢ .

وكذلك قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً...﴾[١].

حيث اراد بالجنّ الملائكة وانّما سماهم جنّاً لأستتارهم عن الأعين[٢].

المسألة الثانية

نعلم ان ابليس طرد من الجنة عقب إبائه السجود، فكيف وصل إلىٰ آدم في الجنّة حتىٰ أغواه و دلاّه و زوجه بغروره؟

والجواب: أن طرده من الجنة لا يجعل دخولها مستحيلاً عليه، وأنه قد دخلها عاصياً آثماً لإغواء من حسده من أول يوم، علىٰ ان ابليس تصل وسوسته إلىٰ النفس وان كان بعيداً، كما يصل تأثير السحر إلىٰ الغائب والبعيد، وكما يصل صوت البعيد بواسطة الهاتف واللاسلكي، فلا منع من ان يصل تأثير وسوسته إلىٰ آدم من خارج الجنة إلىٰ داخلها. واني اميل إلىٰ أنه دخلها آثماً وعاصياً أمر ربه بدليل قوله تعالىٰ: ﴿اهبطوا مِنْهَا جَمِيعَاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[٣][٤].

المسألة الثالثة

أكان ابليس وقت امتناعه عن السجود منافقاً أم كافراً؟ والجواب: قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أبىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَافِرِين﴾[٥].

---

١ ـ الصافات، ١٥٨.

٢ ـ المجمع الطبرسي، ج ٤، ص ٥٣٠.

٣ ـ الأعراف، ٢٤.

٤ ـ قصص الانبياء للشيخ النجار ط ٨، إحياء التراث بيروت

٥ ـ سورة ص، ٧٤.

وفيه قولان: أحدهما انه وقت العبادة كان منافقاً، والقول الثاني أنـه كـان مؤمناً ثم كفر، وهذا قول الاكثرين فقيل في معنىٰ الآية وكان من الكافرين في علم الله أي كان عالماً منذ الازل أنّه سيكفر، و الذي عليه الاكثرون أن ابليس اول كافر بالله فرد إلىٰ ماهية تقتضي وجودها ـ او يقال معنىٰ الآية انه صار من الذين وافقوه في الكفر بعد ذلك ـ واختلف الناس بأي سبب كفر إبليس لعنه الله، فقالت الخوارج انما كفر بمعصية الله، وكل معصية كفر، هذا قول باطل بالكتاب والسـنة وإجـماع الامة، وقال آخرون كفر بترك السجود لآدم ومخالفته أمر الله ـ وقال: السجود في الصلاة ركن واحتج به طائفة علىٰ كفر تارك الصلاة كما هو مذهب احمد.

وحكىٰ اجماع الصحابة، وقال ابوهريرة (كـان اصـحاب رسـول الله ﷺ لايرون من الاعمال شيئاً من تركه فقد كفر إلّا الصلاة) رواه الحاكم.

وقد جاء تكفير تارك الصلاة عن أحد عشر نفساً من الصحابة وسبعة مـن التابعين وعامة فقهاء الحديث وقال آخرون: كفر ابليس لأنه خالف الامر الشفاهي من الله، فإن الله خاطب الملائكة وامرهم بالسجود ومخالفة الامر الشفاهي أشد قبحاً.

وقال جمهورالناس: كفر ابليس لانه أبىٰ السجود واستكبر وعـاند وطـعن واعتقد انه محق في تمرده واستدل بأنّه خير منه فكأنه ترك السجود لآدم تسفيهاً لامر الله وحكمته، وهذا الكبر عبَّر عنه رسول الله ﷺ بقوله (لايدخل الجنة مـن كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) (أ.هـ)

وقال الميموني: ذكر ابوعبدالله بن حنبل ابليس فقال: إنما امـر بـالسجود فاستكبر وكان من الكافرين والاستكبارهوالكفر، وقد حكىٰ الشهرستاني في اول

كتابه: الملل والنحل عن شارح الاناجيل الاربعة قال: إعلم أن أول شبهة وقعت في الخليقة شبهة إبليس ومصدرها استمراره بالرأي في مقابلة النص، واختياره الهوىٰ واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على الطين، وتشعبت عن هذه الشبهة سبع شبهات، وسارت في الخليقة، وتلك الشبهات مسطورة في شرح الاناجيل الاربعة و مذكورة في التوراة متفرقة علىٰ شكل المناظرة بينه وبين الملائكة بعد الامر بالسجود والامتناع منه. و قال ابليس ـ لعنه الله ـ للملائكة يتوجه علىٰ مساق حكمته سبحانه اسئلة سبعة، قال شارح الاناجيل فاوحىٰ الله من سرادقات الجلال والكبرياء يا ابليس ما عرفتني ولو عرفتني لعلمت أنه لا اعتراض عليَّ في شيء من أفعالي فإنني انا الله لا اله إلّا انا لا أُسألُ عما أفعل: (أ.هـ)

وهذه القصة والمناظرة هي من نقل أهل الكتاب، ونحن لانصدقها ولا نكذبها وكأنها والله أعلم مناظرة وضعت علىٰ لسان ابليس ولاريب انها من كيده، وقد اخبرالله سبحانه ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفاً﴾[1] واسئلته وشهادته من اضعف الاسئلة عند أهل الايمان، وان ضعف موقعها عند من أصَّلَ اصولاً فاسدة كانت سداً بينه وبين ردها[2]. (أ. هـ)

وفي ذلك كلام لايسعه هذا الموضع.

وبذلك عصىٰ ابليس ربه وأُخرج من الجنة، فحشد جنوده وأتباعه، وجمع طاقاته، واستعد للاغواء والاضلال...[3]

---

١ ـ النساء، ٧٦.

٢ ـ مصائب الإنسان مكايد الشيطان ـ لابن مفلح المقدسي الحنبلي

٣ ـ جذور الشر ـ ابراهيم محمد الجمل ص ٢٢٢ ـ ٢٢٤ .

هرب الشيطان من الاذان

عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال:

(اذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان له صراخ حتّىٰ لايسمع الاذان، فإذا قُضي الاذان أقبل، فإذا ثوب بها ادبر، فإذا قضي اقبل حتّىٰ يخطر بين المرء ونفسه يقول له: اذكر كذا ـ لما لم يكن يذكر حتّىٰ يظل الرجل لايدرى كم صلي) (أ.هـ)[1]

عن جابرقال: قال رسول الله ﷺ (اذا أذن المؤذن هرب الشيطان حتّىٰ يكون بالروحاء وهي من المدينة ثلاثون ميلاً) (أ.هـ) رواه الإمام احمد ورواه مسلم فقال: الروحاء من المدينة ستة وثلاثين ميلاً، وفي هذه فضل عظيم للاذان فإن الشيطان يدبر منه ولايدبر من القرآن) ذكره ابن عبد البر.

وقال ابن عباس: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُوراً﴾[2].

المراد بهم الشياطين، وقال ابن زيد: المراد به المشركون. وقيل المعنىٰ ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾[3]، قوله لا اله إلاّ هو وانت تتلو القرآن وإنما يدبر الشيطان من الاذان لئلا يسمعه، فيضطر إلىٰ ان يشهد له بذلك يوم القيامة لقوله ﷺ: (لايسمع صوت المؤذن جن ولا انس ولا شيء إلاّشهد له يوم القيامة،

---

١ ـ متفق عليه.
٢ ـ سورة الاسراء، ١٧ .
٣ ـ الاسراء، ١٧ .

وقيل ليأسه من وسوسة الإنسان عند الاعلان بالتوحيد)[١].

ذكر بقي بن مخلد في تفسيره ان ابليس رَنَّ اربع رنّات: رنَّة حين لعن، ورنة حين هبط، ورنَّة حين ولد رسول الله ﷺ، ورنة حين انزلت فاتحة الكتاب.

قال سعيد بن جبير لما لعن الله ابليس حوّل صورته عن صورة المـلائكة ورنَّ رنَّة فكل رنَّة منها في الدنيا إلىٰ يوم القيامة) رواه ابوحاتم[٢].

١ ـ جذور الشر ـ ابراهيم محمد الجمل ص ٢٦٤.

٢ ـ جذور الشر ـ ابراهيم محمد الجمل ص ٢٧٠.

الفصل السابع

الأبواب السابقة ومحصلة الكتاب

ثمرة البحث

دعاء

الخاتمة

ثمرة البحث

بعد أن اطلعنا علىٰ ماهيّة الشيطان وخطواته ولماذا خلق وهل له دور، وكيف أنه يتبرأ من اتباعه و كيف يتعامل مع الإنسان وأن الإنسان مسؤول عن جميع اعماله، ومراحل التأثير الشيطاني على النفس الإنسانية، والغاية من ذكر القرآن الكريم لأساليب عمل الشيطان، وما ورد ذكره علىٰ لسان رسول الله ﷺ وما ورد ذكره في نهج البلاغة وفي الصحيفة السجادية وماذا قال الإمام الصادق عليه السلام عنه، ولاقوال بعض العلماء وحديثهم عن الشيطان وكيف يجري الشيطان في الميدان الاجتماعي نصل إلىٰ نهاية الكتاب أو البحث ونختم بالسؤال التالي.

هل المعرفة بالشيء تكفي وتغني أم تحتاج إلىٰ خطوات عملية وميدانية لعلاجه بعد المعرفة؟

وتوضيح ذلك، لو أن الإنسان اكتشف نفسه بأنه مصاب بمرض عضال أو خطر كالسرطان، هل أن مجرد معرفته بذلك تشفيه من دائه أم لا؟ أم ينبغي له الإسراع في اتخاذ العلاج اللازم والذي قد يتطلب عملية استئصال أو عملية جراحية كبرىٰ بالاضافة إلىٰ تناول فواتير أو نسخ الادوية وتجنّب الممنوعات من

الاطعمة والاشربة وإلى غيرها؟

صحيح ان اكتشاف المريض مرضه خطوة مهمة جداً وحساسة وعدم اكتشافه ذلك قد يعجِّل في هلاكه ولكن ذلك لايكفي ولا يغني دون اتمام الخطوات العملية التي يحتاجها و أن طالت وتعددت وكان ثمنها باهضاً وغالياً، كذلك دورنا مع الشيطان وخطواته ينبغي لنا أن نعمل على ابعاده عن ساحتنا بعزيمة و بخطوات رائدة وبشكل عملي و ليس نظري و بشكل واقعي. و اليكم أعزائي جملة من الخطوات التي ينبغي العمل بها تجنباً من تسلط الشيطان علينا:

١) ينبغي الابتعاد عن الاهتمام كثيراً بالمظاهر وعلينا الزهد في هذه الحياة القصيرة الفانية:

قال تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١]

وقال تعالىٰ: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً﴾[٢]

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من اصبح وامسىٰ والدنيا اكبر همه، جعل الله الفقر بين عينيه وشتت أمره ولم ينل من الدنيا إلّا ما قُسم له، ومن اصبح وامسىٰ والآخرة اكبر همه، جعل الله الغنىٰ في قلبه وجمع له امره»[٣]. وليس معنىٰ هذا اننا

---

١ ـ سورة الحجر، ٣٩.

٢ ـ سورة النساء، ١١٩ ـ ١٢٠.

٣ ـ الاربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ـ ص ١١٨، عن اصول الكافي المجلد الثاني ـ كتاب الايمان والكفر، باب حب الدنيا ح ١٥.

نهجر الدنيا وننزوي، فالزهدُ ليس معناه ان لاتملك شيئاً بل الزهد هو أن لا يملكك شيء.

وقال اميرالمؤمنينعليه السلام: (..ان الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنىً لمن تزوّد منها، ودار موعظة لمن اتعظ بها. مسجد أحبّاء الله، ومصلىٰ ملائكة الله ومهبط وحي الله، ومتجر أولياء الله، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنّة...)[١].

أذن المذموم هو التوجه إلى الدنيا وتعلق القلب بها وحبّها حباً يشغله عن الهدف الذي من أجله خلق، وهذا هو منشأ المفاسد والخطايا، قال الإمام الصادقعليه السلام: (رأس كل خطيئة حب الدنيا)[٢] وقال الإمام الباقرعليه السلام: (ما ذئبان ضاريان في غنم ليس لها راع هذا في أولها وهذا في آخرها بأسرع فيها من حب المال والشرف في دين المؤمن)[٣] وعن النبيصلى الله عليه وآله قال: (ان الدرهم والدينار اهلكا من كان قبلكم، وهما مهلكاكم)[٤]. إذن ينبغي الموازنة في التصرف و في السلوك وعدم الخلود إلىٰ الأرض لأنها دار مجاز و انتقال و ارتحال و لم تكن يوماً دار اطمئنان واستقرار وفرح.

وقال الإمام الحسينعليه السلام صبيحة يوم عاشوراء: (...عباد الله اتقوا الله وكونوا

---

١ ـ الأربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ـ ص ١٢٠، عن نهج البلاغة ـ الحكمة رقم ١٣١، د. صبحى الصالح.

٢ ـ الأربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ـ ص ١٢١، عن اصول الكافي المجلد الثاني كتاب الإيمان والكفر ـ باب حب الدنيا ج ١ و ٣.

٣ ـ الأربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ـ ص ١٢١، عن نهج البلاغة الخطبة ٥، د. صبحى الصالح.

٤ ـ الأربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ـ ص ١٢٣.

من الدنيا علىٰ حذر فإن الدنيا لو بقيت علىٰ أحد لكان الأنبياء أحق بالبقاء وأولىٰ بالرضا وأرضىٰ بالقضاء، غيرأن الله خلق الدنيا للفناء، فجديدها بالٍ ونعيمها مضمحل وسرورها مكفهر و المنزل تلعة والدار قلعة فتزودوا فإن خير الزاد التقوىٰ، واتقوا الله لعلكم تفلحون. أيها الناس إن الله تعالىٰ خلق الدنيا فجعلها دارفناء وزوال متصرفة بأهلها حالاً بعدحال، المغرور من غرتهُ والشقي من فتنته فلاتغرنكم هذه الدنيا فإنها تقطع رجاء من ركن اليها وتُخيّب طمع من طمع فيها...)[1].

وفي اغلب الاحيان يستحوذ علىٰ الإنسان حب الدنيا فينسيه آخرته، ويشعر وكأنه خال فيها و يكون ذلك الحب مرتعاً للشيطان اذ من خلاله ينفذ له ويغريه قال رسولﷺ في أحدىٰ مواعظه: (مالي أري حب الدنيا قد غلب علىٰ كثير من الناس، حتّىٰ كأن الموت في هذه الدنيا علىٰ غيرهم كُتب وكأن الحق في هذه الدنيا علىٰ غيرهم وجب، وحتّى كأن مايسمعون من خبرالاموات قبلهم عندهم كسبيل قوم سَفَرٌ عما قليل إليهم راجعون، تبوئونهم أجداثهم وتأكلون تراثهم وأنتم مخلّدون بعدهم، هيهات هيهات، أما يتعظ آخرهم بأولهم، لقد جهلوا ونسوا كل مواعظة في كتاب الله وأمنوا شرَّ كل عاقبة سوء ولم يخافوا نزول فادحه ولا بوائق كل حادثة)[2].

---

١ ـ مقتل سيد الشهداء يوم عاشوراء الشريفى ص ٨ و ٩.
٢ ـ تحف العقول عن آل الرسول ـ الحراني ص ٢٨.

٢) أن يكون الإنسان من المُخْلَصين

قال تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[1]

وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[2].

فما معنىٰ المُخلَصين؟ وما الفرق بين المخلِص والمخلَص؟

المُخلَص (بفتح اللام) هو الذي اخلصه الله واصطفاه لذاته المقدسة، أما المخلِص (بكسراللام) فهو الذي خلص لله عزوجل، ولايمكن أن يكون المُخلَص (بفتح اللام) مُخْلَصاً إلّا من بعد أن يكون مخلِصاً ـ بكسراللام ـ فهم الذين اخلصهم الله بأن وفّقهم لذلك ولطف بهم فليس للشيطان عليهم من سبيل. من قرأ بكسر اللام قال: وهم الذين أخلصوا عبادتهم لله وامتنعوا عن عبادة الشيطان وانتهوا عما نهاهم الله عنه، ومن قرأ بفتح اللام قال هم الذين اخلصهم الله بأن وفقهم لذلك ولطف بهم و ليس للشيطان عليهم سبيل[3] فيقول الشيطان أنا أدعوا الجميع إلى الغيّ وازين لهم القبائح إلّا عبادالله الذين إستخلفهم وآثرهم وعصمهم فلا سبيل لي عليهم.

---

١ ـ سورة الحجر، ٣٩ ـ ٤٠.

٢ ـ سورة ص، الآية ٨٢ ـ ٨٣.

٣ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ـ الطبرسي ـ ج ٦، ص ٥١٩.

وفي الرواية[١]: ان رجلاً مرّ بشجرة تُعبّد من دون الله تعالىٰ، فأخذ فأسه وركب حماره وتوجه نحو الشجرة ليقطعها، فلقاه إبليس في الطريق علىٰ صورة انسان فقال له: إلىٰ أين؟

فقال في جوابه: شجرة تعبد من دون الله تعالىٰ فعاهدت الله عهداً أن اركب حماري وآخذ فأسي و اتوجه نحوها لأقطعها، فقال له إبليس: مالك ولها دعها، فلم يرجع.

فقال له: ابليس ارجع وأنا معطيك كل يوم أربعة دراهم، فترفع طرف فراشك وتأخذها، فقال له: أوتفعل ذلك؟ قال: نعم ضمنتُ لك ذلك كل يوم، فرجع إلىٰ منزله فوجد ذلك يومين أو ثلاثة، فلما أصبح بعد ذلك رفع طرف فراشه فلم يرشيئاً، ثم جاء يوم آخر فلم يرشيئاً، فأخذ الفأس و ركب الحمار وتوجه نحو الشجرة فلقيه إبليس (لع) علىٰ صورة انسان فقال له: اين تريد؟ قال شجرة تعبد من دون الله تعالىٰ أريد أن اقطعها قال له إبليس: لاتطيق ذلك، أما أول مرة فكان خروجك من غضبك لله تعالىٰ فلو اجتمع أهل السماء والارض ماردوك عنها، وأما الآن فأنما خروجك من حيث لم تجد الدراهم فإن قدمت لأدقن عنقك.

وفي رواية أخرىٰ أن العابد في المرة الأولىٰ صرع الشيطان وهو صرع العابدفي المرة الثانية ويؤيده، ماروي في تفسير قوله تعالىٰ ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾[٢]

(أي غلب عليهم) ان الشيطان سُئل أي ذنب إذا فعله ابن آدم استحوذت

---

١ ـ الحديقة الناشرية، السيد محمد حسين الجزائرى، ناشر الإسلام ص ٢٤٣.

٢ ـ المجادلة، ١٩.

عليه؟ قال: إذا أطاعني المرة الأولىٰ[1].

٣) ينبغي أن يكون الإنسان عبداً مخلصاً رشيداً لله ولا يغوي

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[2].

وقال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾[3].

إنّ من أرقىٰ المراتب الإنسانية هي أن يكون فيها الإنسان عبداً لله وحدهُ دون غيره من الانداد و الاهواء والمحاور فما معنىٰ العبودية لله؟ وما معنىٰ الغواية؟

العبودية هي خضوع الضعيف للقوي ومطاوعة العاجز للقادر وتسليم الصغير للكبير والحقير للعظيم، فإنه قانون عام جاري في الكون حاكم في جميع أجزاء الوجود و فيه تُؤثر الأسباب في مسبباتها و تتأثر المسببات عن اسبابها. واذا ظهر الناموس (القانون) المذكور لذوات الشعور والإرادة ـ كالحيوانات ـ كان مبدأ للخضوع والمطاوعة من الضعيف للقوي كما نشاهده من حال الحيوانات العجم شعر الضعيف منها قوة القوي يئس من الظهور عليه والقدرة علىٰ مقاومته وظهوره في العالم الإنساني أوسع وأبين من سائر ـ الحيوانات ـ لما في هذا النوع من عمق الإدراك وخصيصة الفكر فهو متفنن في اجرائه في غالب مقاصده

---

١ ـ زهر الربيع نعمة الله الجزائرى ج ١، ص ١٢٥ ط . ق.
٢ ـ سورة الحجر، ٤٢.
٣ ـ سورة الأسراء، ٦٥.

وأعماله جلباً للنفع أو دفعاً للضرر كخضوع الرعية للسلطان والفقير للغني والمرؤوس للرئيس والمأمور للآمر والخادم للمخدوم والمتعلم للعالم والمحب للمحبوب والمحتاج للمستغني والعبد للسيد و المربوب للرب. وجميع هذه الخضوعات من نوع واحد وهو تذلل وهوان نفساني قبال عزة وقهر مشهود.

والعمل البدني الذي يظهر هذا التذلل والهوان هي العبادة أيّا ما كانت؟ وممن ولمن تحققت؟ ولا فرق في ذلك بين الخضوع للرب تعالىٰ وبينه إذا تحقق من العبد بالنسبة إلىٰ مولاه أو من الرعية بالنسبة إلى السلطان أو من المحتاج بالنسبة إلى المستغني أو غير ذلك فالجميع عباده.

وعلىٰ أي حال لاسبيل إلىٰ ردع الإنسان عن هذا الخضوع لاستناده إلىٰ قضاء فطرى ليس للإنسان ان يتجافىٰ عنه إلّا أن يتبيّن أن الذي كان يظنه قوياً ويستضعف نفسه دونه ليس علىٰ ما كان يظنه بل هما سواء مثلاً[١] فلا خضوع في الإسلام لأحد دون الله إلّا مايرجع إليه تعالىٰ. والعبادة حاجة إنسانية ثابتة خلقت معه وظلت ثابتة في كيانه على الرغم من التطور المستمر في حياته، لأن العلاج بصيغة ثابتة يفترض ان الحاجة ثابتة وانها تسير علىٰ ثلاثة خطوط:

١ ـ الحاجة إلىٰ الارتباط بالمطلق.

٢ ـ الحاجة إلى الموضوعية في القصد وتجاوز الذات.

٣ ـ الحاجة إلى الشعور الداخلي بالمسؤولية كضمان للتنفيذ.

الإيمان بالله يحل مشكلة الضياع والانتماء وهذا يمثل الجانب السلبي من

---

١ ـ الميزان في تفسير القرآن ـ الطباطبائي ج ١٠، ص ٢٧٤ .

المشكلة، ومن زاوية اخرىٰ تعبّر عن مشكلة: الغلو في الانتماء والانتساب بتحويل الحقائق النسبية التي ينتمي إليها إلىٰ مطلق، وهذا يمثل الجانب الإيجابي من المشكلة فهو يعالج الجانبين ويجعله خليفته في الأرض، والخلافة تستبطن المسؤولية والمسؤولية امامه، وجزاء يتلقاه تبعاً لتصرفه، بين الله والمعاد. بين الازل والابد، و هو يتحرك في هذا المسار تحركاً مسؤولاً هادفاً[١] يكون عبداً مطيعاً مهتدياً أو عبداً ضالاً عاصياً.

فإذا كان مطيعاً مهتدياً ليس للشيطان عليه سبيل ولا سلطان واذا كان ضالاً كان مرتعاً للشيطان.

والكل يسبح لله عزوجل ولا يتخلف عن هذه القاعدة الأساس، قال تعالىٰ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٢].

تدل علىٰ تسبيح جميع الكائنات حتّىٰ النباتات والجمادات لله سبحانه ومن خص التسبيح بذوي العقول من الموجودات فهو نتيجة احتجاب عقول ذوي العقول، ولو فرضنا بان هذه الآية المباركة تقبل التوجيه والتأويل لتسبيح الكائنات، ولكن هناك آيات شريفة اخرىٰ لاتقبل التأويل والتفسير مثل قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ...﴾[٣].

وأن تأويل التسبيح إلى التسبيح التكويني أو الفطري، يكون من التأويل

---

١ ـ الفتاوى الواضحة الشهيد محمد باقر الصدر، ص ٧٠٣ ـ ٧٠٧.

٢ ـ سورة الحديد، الآية ١.

٣ ـ سورة الحج، الآية ١٨.

البعيد الموهون حيث تأباه الاحاديث والآيات الشريفة، وترفضه البراهين الفلسفية، وينكره المسلك العرفاني الجميل[١].

والعبادة علىٰ ثلاث رتب، جاء في نهج البلاغة: «ان قوماً عبدوا الله رغبة، فتلك عبادة التجار و ان قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الاحرار وهي افضل العبادة»[٢].

أما الغواية فهي عكس الهداية، والغواية هي الضلالة، والاغواء عدول عن الحق ومفارقة الهدىٰ.

٤) يجب عدم اتباع ابليس في ظنه:

قال تعالىٰ: **﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾**[٣].

أي حقق ابليس عليهم ظنه، أو أوجد ظنه صادقاً عليهم إذ قال لربه: **﴿لأُغوينّهم ولأُضلنّهم﴾ ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ﴾** وقوله: **﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** بيان لتصديق ظنه. وأنهم اتبعوه عن سوء اختيارهم فهم يختارون اتباعه فيتسلط عليهم لا أنه يتسلط فيتبعونه قال تعالىٰ: **﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ**

---

١ ـ الأربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ـ ص ٥٩٤.
٢ ـ الميزان في التفسير القرآن ـ الطباطبائي ج ١، ص ٣٧.
٣ ـ سورة سبأ، ٢٠ ـ ٢١.

سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾(١).

ومنشأ اتباعهم له ريب وشك في قلوبهم من الآخرة يظهر منهم بظهور اثره الذي هو الاتباع لابليس ان يتسلط عليهم من طريق اختيارهم(٢).

أذن ينبغي لنا أن لايكون هناك شك أوريب في نفوسنا تجاه الآخرة حتّىٰ نكون من اتباع الشيطان و يتسلط علينا ونحقق ونصدق لأبليس ما قاله ظناً منه (لأغوينهم ولأضلنهم).

٥) ينبغي عدم اتباع الشيطان في خطواته:

قال تعالىٰ: **﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾**(٣).

وقال تعالىٰ: **﴿وَلَاتَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾**(٤)

وقال تعالىٰ: **﴿وَلَاتَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾**(٥)

وقال تعالىٰ: **﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنْكَرِ...﴾**(٦).

---

١ ـ سورة الحجر، ٤٢.
٢ ـ الميزان في التفسير القرآن ـ الطباطبائي ج ١٦، ص ٣٦٦ .
٣ ـ سورة البقرة، الآية ١٦٨ ـ ١٦٩.
٤ ـ سورة البقرة، الآية ٢٠٨.
٥ ـ سورة الانعام، الآية ١٤٢.
٦ ـ سورة النور، ٢١.

اتباع خطوات الشيطان هو ان يضع الإنسان قدمه موضع قدم الشيطان فينطبق في مشيته فيكون متبعاً مما يؤدّي به بأن يعبد الإنسان بطريقة لم يأذن بها الله عزوجل له، أي يحدث له تشريعاً جديداً خاصاً به، وقد يكون الدافع خشية الله فيدخل الشيطان من خلال العناوين العبادية كزيادة التهجد أو الاحتياط في النجاسات والطهارات والالتزام حتّىٰ يرهقه ويخرجه من عقيدته، وقد عالجها الشارع المقدس كما جرىٰ الحديث في الباب الثالث (...وعن إيمانهم) من الأبواب التي يلجها الشيطان علىٰ بني آدم.

٦) ينبغي الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[١]

وقال تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[٢]

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزِغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[٤].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[٥].

---

١ ـ سورة آل عمران، ٣٦.
٢ ـ سورة المؤمنون، ٩٧ ـ ٩٨.
٣ ـ سورة الاعراف، ٢٠٠.
٤ ـ سورة الفلق، الآية ١.
٥ ـ سورة الناس، الآية ١.

الاستعاذة طلب المعاذ، والعوذ: هو الاعتصام والتحرز من الشر بالالتجاء إلىٰ من يدفعه وهو الله عزوجل ويحتاج هذا الاعتصام مطلبين:

أولاً: الفورية وعدم التباطؤ والارتخاء والانبساط.

ثانياً: ترتيب الاثر الفعلي على الاستعاذة كطلب التوبة والتحرز بالله عزوجل من أن يصدونه عن تلاوة القرآن وعن الصلاة وعن فعل الخيرات، وعن الشرود الذهني وكثرة الشكوك والشعبذة والسحر، وممن يدور في فلك الشيطان من الجن والانس والنساء والساحرات اللاتى ينفثن في العقد وكل ممن له تأثير عليهم ويكون آمراً عليهم ومتسلطاً علىٰ ارادته كالحاسدين، وكذلك من شر الوسواس الخناس من الجن أو الشيطان نفسه الذي يوقع الوسوسة في صدورالناس، وأن تكون الاستعاذة من جند ابليس اجمعين سواء كانوا من الجن أم من الانس. فعن أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد الصادقعليه السلام قال، قال: رسول اللهﷺ: «ما من مؤمن إلّا و لقلبه في صدره اذنان إذن ينفث فيها الملك وإذن ينفث فيها الوسواس الخناس فيؤيد الله الملك وهو قوله سبحانه: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾»(١)(٢).

٧) الايمان بالله واليوم الاخر وعدم الرياء

بمقدار ما يكون الإنسان مؤمناً بالله واليوم الآخر فإنه يتجنب الشيطان باعتبار ان الايمان درجات كذلك تأثير الشيطان مراحل ورتب ودرجات قال

١ ـ المجادلة، ٢٢.

٢ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ـ الطبرسي م ٥، ج ١٠، ص ٨٧٠.

تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَهُۥ قَرِيناً فَسَآءَ قَرِيناً﴾[1].

تقدم الحديث عن الرياء ومخاطره في الباب الثالث من ابواب ولوج الشيطان (...وعن أيمانهم) وهنا قد اقترن الرياء بعدم الإيمان بالله وباليوم الآخر والذي يفقد الإيمان معناه اصبح طُعمة للشيطان إذن ينبغي لنا ان نتحرىٰ كيف نؤمن بالله وباليوم الآخر ايماناً صادقاً صحيحاً صافياً واضحاً لاتشوبه الشكوك والاهواء والجهل والغش، أن نعود إلىٰ دراسة عقيدتنا حتّىٰ نصل إلىٰ عمق الدقة وصحة وسلامة الطريق فالامر مهم وخَطير ومن اراد التخلص من العذاب المقيم واراد الانتقال إلىٰ خلود الجنان وإلى الروح والريحان والنعيم ومن ارد ان ينتقل من ذل المعصية إلىٰ عزّ الطاعة فعليه الجد والمثابرة لأنه شيء اساسي ومهم جداً ولم يك يوماً أمراً هامشياً قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[3].

وقال تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[4].

---

١ ـ سورة النساء، الآية ٣٨.
٢ ـ سورة الاعراف، الآية ٢٧.
٣ ـ النحل، ٩٩.
٤ ـ الحشر، الآية ١٦.

لاخيار لنا في الاختبار، إلّا ان نلج الدنيا ان نمر بمراحل حياتنا العاجلة فيها ولمّا كان الامر كذلك إذن ينبغي للعاقل ان يعيد حساباته من جديد وان يعطي الفرصة لنفسه بالتساؤلات كيف؟ ولماذا؟ وإلىٰ أين؟

٨) هجران ما يريده الشيطان من اعمال:

ينبغي أن نهجر ما يريده الشيطان عن طريق الوسوسة والالقاء والنزغ واصدار الاوامر و التسلط والتولي له قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١].

من أساليبه الخبيثة التي يلج من خلالها هي الخمر والقمار والاصنام والسهام والاستقسام بالازلام كلها من ارجاسه وسبله، إذن الخمرة مفتاح كل شروباب كل جريمة يرتكبها شاربها ولايعي ما يفعل، والقمار يورث النزاع بين اقرب الناس والصراع والحقد والكراهية وقد يؤدّي باصحابها إلىٰ الاقتتال كما جرىٰ كثيراً وكذلك تعطيل الطاقات وشل العقول من خلال الجهل والخرافة التي تكمن في الازلام وفي عبادة الاوثان والانقياد اليها بدلاً من الطاعة للواحد القهار.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[٢].

نسب المولىٰ تعالىٰ هذه الارجاس إلى الشيطان وعمله ولم يشرك له أحداً

---

١ ـ سورة المائدة، ٩٠.

٢ ـ سورة المائدة، ٩١.

وذلك بان الله تعالىٰ قد عرف الشيطان بأنه عدو للإنسان لايحبه ولايريد له الخير البتة قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1]

وقال تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[2]

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَـٰناً مَّرِيداً﴾[3]

فاثبت عليه لعنته وطرده عن كل خير[4].

٩) ذكر الله سبحانه وعدم نسيانه:

ينبغي للمؤمن لما اراد طرد الشيطان من ساحته ان يرقب الله في كل شيء، أن يكون الله عزوجل حاضراً عنده في كل حركة وسكون، في كل قول وعمل، لأنّه مامن سلوك للإنسان إلّا وفيه حكم شرعى لايعدو إلّا أن يكون أحد خمسة امور:واجب، وحرام، ومكروه، ومندوب، ومباح، لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا احصاها، و الذكر على اللسان دائماً وان كان من الذكر (سبحان الله والحمد لله ولا اله إلّا الله و الله اكبر) ولكن جعل الباري حاضراً وهو كذلك في المعتقد، هو الاهم.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُّبْصِرُونَ﴾[5].

---

١ ـ سورة يوسف، ٥.
٢ ـ سورة الحج، ٤.
٣ ـ سورة النساء، ١١٧.
٤ ـ الميزان في تفسير القرآن ـ الطباطبائي ج ٦، ص ١١٨ ـ ١٢٠.
٥ ـ سورة الأعراف، ٢٠١.

وقال تعالىٰ: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾(١)

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾(٢)

وقال تعالىٰ: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾(٣)

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰناً فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ * حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾(٤)

ولقد حث القرآن الكريم كثيراً علىٰ ذكر الله في كل حال، في العشرات من الآيات المباركة و طلب من ابن آدم ان يرقب الله عزوجل في كل شئ و أن يكون لهجاً باسمه العظيم ليل نهار في السلم و في الحرب عند الفاقة و عند الرخاء في المرض وفي الصحة في السفر وفي الحضر عند الصبا و في الشيخوخة رجلاً كان ابن آدم او امرأة عند الهموم والغموم او عند انجلائها وانكشافها قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾(٥).

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ

---

١ ـ سورة يوسف، ٤٢.
٢ ـ سورة الكهف، ٦٣.
٣ ـ المجادلة، ١٩.
٤ ـ سورة الزخرف، ٣٥ ـ ٣٧.
٥ ـ سورة الأحزاب، الآية ٢١.

يَعْلَمُونَ﴾[١].

وقال تعالىٰ: واصفاً المنافقين بأنهم لايـذكرونه إلّا قـليلاً: ﴿إِنَّ ٱلْـمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَايَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً﴾[٢]

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً ...﴾[٣].

وقال تعالىٰ: ﴿... وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَداً﴾[٤]

وقال تعالىٰ: مخاطباً عباده: ﴿فَـاذْكُـرُونِىٓ أَذْكُـرْكُـمْ وَٱشْكُـرُوا لِـى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[٥].

إلىٰ غيرها من ذكرالله او عند عطائه ونعمه قال تعالىٰ: ﴿... فاذْكُرُوٓا ءَالآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٦].

وقال تعالىٰ: ﴿... فَاذْكُرُوٓا ءَالآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِى ٱلْأَرْضِ مَفْسِدِينَ﴾[٧]

وقال تعالىٰ: ﴿... وَٱذْكُرُوٓا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ...﴾[٨].

وقال عند التقاء العدو والجهاد: ﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا

---

١ ـ آل عمران، الآية ١٣٥ .
٢ ـ سورة النساء، الآية ١٤٢ .
٣ ـ سورة الاعراف، الآية ٢٠٥ .
٤ ـ سورة الكهف، الآية ٢٤ .
٥ ـ سورة البقرة، الآية ١٥٢ .
٦ ـ سورة الاعراف، ٦٩ .
٧ ـ سورة الأعراف، ٧٤ .
٨ ـ سورة الاعراف، الآية ٨٦ .

﴿وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]

وترىٰ المؤمنين تخشع قلوبهم وتوجل عند ذكرالله قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ...﴾[2].

وقال عن المساجد: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ...﴾[3].

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «من ذكر الله في السوق مخلصاً عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه كتب الله له الف حسنة وغفرالله له يوم القيامة مغفرة لم تخطر علىٰ قلب بشر»[4] وقال الصادق عليه السلام: «الذاكر لله عزوجل في الغافلين كالمقاتل في المحاربين»[5] ونقل عن الإمام الصادق عليه السلام أن اميرالمؤمنين عليه السلام قال: من اراد أن يكون يوم القيامة كيلهُ تاماً من الثواب فليتلوا هذه الآيات المباركة ﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ * وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ في دبر كل صلاة[6].

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: مكتوب في التوراة التي لم تغيّر أن موسىٰ عليه السلام سأل ربه فقال: يا رب اقريب انت مني فأُناجيك أم بعيد فأُناديك؟ فاوحىٰ الله عزوجل إليه: ياموسىٰ انا جليس من ذكرني، فقال موسىٰ:

---

١ ـ سورة الانفال، الآية ٤٥ .

٢ ـ سورة الانفال، الآية ٢ .

٣ ـ سورة النور، الآية ٣٦ .

٤ ـ الأربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ـ ص ٢٧٢عن كتاب عدة الداعي للشيخ ابن فهد الحلّي.

٥ ـ الأربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ـ ص ٢٧٢، عن اصول الكافي، كتاب الدعاء، باب ذكر الله عزوجل في الغافلين، ج ١ .

٦ ـ الأربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ـ ص ٢٧٧عن اصول الكافي، المجلد الثاني، كتاب الدعاء باب من يجب من ذكر الله عزوجل في كل مجلس ج. ٣

فمن في سترك يوم لاستر إلّا سترك. فقال: الذين يذكرونني فاذكرهم ويتحابون فـيَّ فاحبهم فاولئك الذين اذ أردتُ ان اصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم فدفعت عنهم بهم.

وعن أبي فضال عن الصادقؑ أنه قال: (قـال الله عـزوجل لعـيسىٰؑ: ياعيسىٰ اذكرني في نفسك اذكرك في نفسى، واذكرني في ملأك اذكرك في ملأ خير من ملأ الآدميين، ياعيسىٰ أَلِن لي قلبك و اكثر ذكرى في الخـلوات وأعـلم أن سروري أن تبصبص اليّ وكن في ذلك حيّاً ولاتكن ميتاً)[1] إذن في ذكر الله حياة للقلوب وهداية على الطريق وابتعاد عن الشيطان وابعاد للشيطان بشرطي القول والعمل، و إلّا فالتمني وحده لايعالج سقيماً ولايشبع جائعاً ولايسقي أو يـروي عطشاناً.

١٠) التوكل علىٰ الله:

والتوكل علىٰ الله عزوجل من أهم العوامل التي تبعد الشيطان عن سـاحة الإنسان المؤمن قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[2].

وقال تعالىٰ: ﴿... وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ ٱللهِ وَعَـلَى ٱللهِ فَـلْيَتَوَكَّـلِ

---

١ ـ الأربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ـ ص ٢٧٧، عن اصول الكافي ـ المجلد الثاني ـ كتاب الدعاء في السر، ح. ٣

٢ ـ سورة النحل، ٩٩ ـ ١٠٠.

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[١].

والتوكل: كِلَةُ الامر إلىٰ مالكه والتعويل علىٰ وكالته[٢] ويقول بعض اصحاب العرفان (التوكل: طرح البَدَن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية)[٣].

لقد تحدثت العشرات من الآيات المباركة في القرآن الكريم عن التوكل والانقطاع إلىٰ الله عزوجل والاعتماد عليه والرجوع إليه في كل الامور، فهو الذي يدل على الطريق القويم الذي يعصم عن الضلالة وعن الفتنة ومنه تستمد القوة في الثبات وفي ردع المعتدي وفيه تنجلى الكرب وإليه الحكم وهو صاحب السلطان. قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٤]

وقال تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ...﴾[٥]

وقال تعالىٰ: ﴿...وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٦]

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْراً﴾[٧]

وقال تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[٨]

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا

---

١ ـ المجادلة، ١٠

٢ ـ الأربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ـ ص ٢٠٧عن منازل السائرين ـ التوكل.

٣ ـ الأربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ـ ص ٢٠٧.

٤ ـ المائدة، ٢٣ .

٥ ـ سورة الفرقان، ٥٨ .

٦ ـ سورة التوبة، ٥١ .

٧ ـ سورة الطلاق، ٣.

٨ ـ سورة يوسف، ٦٧ .

ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَـٰفِرِينَ وَالْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلاً﴾[٢].

وقد ورد عن علي بن سويد عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزوجل ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ فقال (التوكل علىٰ الله درجات منها ان تتوكل علىٰ الله في امورك كلها فما فعل بك كنت عنه راضياً تعلم أنه لايألوك خيراً وفضلا و تعلم أن الحكم في ذلك له فتوكل علىٰ الله بتفويض ذلك إليه وثق به فيها وفي غيرها)[٣] وان مقام (الرضا) غير مقام (التوكل) حيث أنه أسمىٰ وأرفع وذلك لأن التوكل يطلب الخير والصلاح لنفسه، فيوكل الحق تعالىٰ، بصفته فاعل الخير، للحصول على الخير والصلاح، أما الشخص (الراضي) فيكون قد أفنىٰ إرادته في ارادة الله، فلايختار لنفسه شيئاً.

والتوكل لايكون إلّا بعد وقوع سبب يستوجبه، أي عند وجود امر يتوكل فيه العبد علىٰ الله، مثل توكل النّبي صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه علىٰ الله في أن يحفظهم من المشركين، حينما قيل لهم ﴿... إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰناً وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[٤]

وأما (التفويض) فيعد الطف اشارة واوسع معنى من التوكل ومثاله ماورد

---

١ ـ سورة إبراهيم، ١٢.

٢ ـ سورة الأحزاب، ٤٨.

٣ ـ الأربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ـ ص ٢٠٦عن اصول الكافي المجلد الثانى ـ كتاب الإيمان والكفر، باب التفويض إلىٰ الله والتوكل عليه ج ٥.

٤ ـ سورة آل عمران، ١٧٣.

في الدعاء المروي عن النّبيﷺ: (اللهم اني اسلمت نفسي إليك، والجأت ظهري إليك، وفوضت امرى إليك)وأعلى الرتب هي (الثقة) حيث أنها سواد عين التوكل، ونقطة دائرة التفويض وسويداء قلب التسليم[١]. لمّا نظر الحسين يوم عاشوراء إلىٰ جمعهم كأنه السيل، رفع يديه بالدعاء وقال: اللهم انت ثقتي في كل كرب و رجائي في كل شدة، أنت لي في كل أمر نزل بي ثقةً وعدةً، كم من همّ يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو انزلته بك وشكوته إليك، رغبةً مني إليك، عمن سواك فكشفته وفرجته فأنت وليّ كلّ نعمة ومنتهىٰ كل رغبة)[٢].

والتوكل يضفي قوة هائلة للمؤمن بوجه عدوه قال تعالىٰ: علىٰ لسان نوح؈ متحدياً قومه من بعد التذكير: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[٣].

وجاء التوكل علىٰ لسان موسىٰ؈ وعلىٰ لسان قومه قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ * فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤].

---

١ ـ الأربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ـ ص ٢١٢.

٢ ـ مقتل سيدالشهداء يوم عاشوراء ـ محمود الشريفى ص ٧.

٣ ـ سورة يونس، ٧١.

٤ ـ سورة يونس، ٨٤و ٨٥.

١١) الاقتصاد وعدم البخل أو الاسراف والتبذير:

قال تعالىٰ: ﴿وَءاتِ ذَا القُرْبىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ وَكانَ الشَّيْطانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾[١].

قال في المجمع[٢]: التبذير التفريق بالاسراف واصله ان يفرق كما يفرق البذر إلّا أنه يختص بمايكون علىٰ سبيل الافساد، وما كان علىٰ وجه الإصلاح لايُسمىٰ تبذيراً وإن كثر، وبعبارة أخرىٰ: الانفاق في ما أجازهُ أو ما أوجبه الشارع المقدس لا يعد إسرافاً وان كثر وبلغ ما بلغ ويعد الإنفاق اسرافاً إذا كان بما لا يجيزه الشارع المقدس وان كان قليلاً وقليلاً. وقوله: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ﴾ تعليل للنهي عن التبذير، والمعنىٰ لاتبذر إنك إن تبذر كنت من المبذرين والمبذرون إخوان الشياطين، وكأن وجه المواخاة بينهم أن الواحد منهم يصير ملازماً لشيطانه وبالعكس كالاخوين الذين هما شقيقان متلازمان في اصلهما كما يشير إليه قوله تعالىٰ: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم﴾[٣].

وقال تعالىٰ: ﴿آحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾[٤]

أي احشروا الذين ظلمواوقرناءهم و قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُّبْصِرُونَ * وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَيِّ ثمّ لَا

---

١ ـ سورة الاسراء، ٢٦ ـ ٢٧.

٢ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ـ الطبرسي ـ ج ٦، ص ٦٣٣.

٣ ـ سورة فصلت، ٢٥.

٤ ـ سورة الصافات، ٢٢.

يُقْصِرُونَ﴾[١].

أي ان الذين اتقوا الله باجتناب معاصيه إذا وسوس إليهم الشيطان واغراهم تذكروا ما عليهم من العقاب فيجتنبون تلك المعاصي، و إخوان المشركين من الشياطين يمدونهم في غيّهم و يعينونهم ثم لايكفون عن مدهم وإعانتهم، ولا ينتهون عن غيهم ومن هنا يظهر تفسير من فسّر الآية بأنهم قرناء الشيطان أحسن من قول من قال المعنىٰ أنهم اتباع الشياطين سالكون سبيلهم، وقوله: **﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾** فالمراد بالشيطان فيه هو (ابليس) الذي هو أبو الشياطين وهم ذريته وقبيله واللام حينئذٍ للعهد الذهني ويمكن أن يكون اللام للجنس والمراد به جنس الشيطان وعلىٰ أي حال كونه كفوراً لربه من جهة كفرانه بنعم الله حيث أنه يصرف ما آتاه من قوة وقدرة واستطاعة في سبيل إغواء الناس وحملهم على المعصية ودعوتهم إلى الخطيئة وكفران النعمة، وقد ظهرت مما تقدم النكتة أي (الغاية من الحديث) في جمع الشيطان أولاً وافراده ثانياً فإن الاعتبار أوّلاً بأن كلّ مبذر أخو شيطانه الخاص فالجميع إخوان الشياطين والاعتبار ثانياً بابليس الذي هو ابو الشياطين أو بجنس الشيطان[٢].

وقال تعالىٰ: **﴿وَلاٰ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلىٰ عُنُقِكَ وَلاٰ تَبْسُطْهٰا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾**[٣].

جعل اليد المغلولة إلى العنق كناية عن الامساك كمن لايعطي ولايهب شيئاً

---

١ ـ سورة الأعراف، ٢٠١ ـ ٢٠٢.

٢ ـ الميزان ـ الطباطبائي ـ ج ١٣، ص ٨١ و ٨٢.

٣ ـ سورة الاسراء، ٢٩.

لبخله وشح نفسه، و بسط اليد كل البسط كناية عن انفاق الإنسان كل ما في وجده بحيث لايُبقي شيئاً كمن يبسط يده كل البسط بحيث لايستقر عليها شيء ففي الكلام نهى بالغ عن التفريط والافراط في الانفاق. وقوله: ﴿فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾ متفرع علىٰ قوله: ﴿وَلاَ تَبْسُطْهَا﴾ الخ.. والحسر هو الانقطاع أو العرى أي و لا تبسط يدك كل البسط حتّىٰ يعقب ذلك أن تقعد ملوماً نفسك وغيرك منقطعاً عن واجبات المعاش أو عرياناً لاتقدر علىٰ أن تظهر للناس وتعاشرهم وتراودهم. وقيل أن قوله: ﴿فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾ متفرع على الجملتين لاعلى الجملة الاخيرة و المعنىٰ إن امسكت قعدت ملوماً مذموماً و إن أسرفت بقيت متحسراً مغموماً.وفيه أن كون قوله: ﴿وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ ظاهراً في النهي عن التبذير والاسراف غير معلوم وكذا كون انفاق جميع المال في سبيل الله اسرافاً وتبذيراً غير ظاهر وإن كان منهّياً عنه بهذه الآية كيف ومن المأخوذ في مفهوم التبذير أن يكون علىٰ وجه الافساد، و وضع المال و لو كان كثيراً أو جميعه في سبيل الله وإنفاقه علىٰ من يستحقه ليس بافساد له. ولاوجه للتحسر والغم علىٰ مالم يفسد و لا أفسد[1].

ولا يفوتنا ان نقول بأن البخل شيء مذموم أو قبيح فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه تعوّذ بالله منه فقد قال صلى الله عليه وآله «اللهم إني أعوذُ بك من الهمِّ والحَزَن، وأعوذُ بِكَ من العجز والكسلِ، أعوذُ بِكَ من الجُبن، و البُخلِ، وأعوذُ بِكَ من هم الدَّين وغَلَبَةِ الرجال» فالبخل جبن، والبخيل شجاع الوجه ـ لاكرامة له ـ جبان القلب بعكس

١ ـ الميزان في تفسير القرآن ـ الطباطبائي ـ ج ١٣، ص ٨١ و ٨٢.

الكريم. وقد ذم القرآن الكريم كثيراً البخل قال تعالىٰ: ﴿فَمِنكُم مَن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيَ إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُوراً﴾[٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٤].

وقال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً﴾[٥].

وقال تعالىٰ: ﴿يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٦].

وقال رجل لأميرالمؤمنين عليه السلام أوصني فقال عليه السلام: لا تُحدث نفسك بفقر ولا طول عمر.

---

١ ـ سورة محمد، الآية ٣٨.
٢ ـ سورة الليل، ٨ ـ ١٠.
٣ ـ سورة الاسراء، ١٠٠.
٤ ـ سورة آل عمران، ١٨٠ .
٥ ـ سورة النساء، ٣٧.
٦ ـ سورة الحديد، ٢٤.

قال تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰماً * وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً * وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً * إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً * وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً﴾[1].

عباد الرحمن الذين تقدمت مزاياهم وسجاياهم وصفاتهم مدحهم القرآن بكونهم ﴿.. وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً﴾ أي كان إنفاقهم وسطاً وعدلاً بين ما ذكر من الاسراف والقتر، ومن الافراط والتفريط.

حيث ان الانفاق هو بذل المال وصرفه في رفع حوائج نفسه أو غيره، والاسراف هو الخروج عن الحد ولا يكون إلّا في جانب الزيادة وهو في الانفاق التعدي عما ينبغي الوقوف عليه في بذل المال، و القتر ـ بالفتح والسكون ـ التقليل في الانفاق وهو بازاء الاسراف علىٰ ما ذكره الراغب، القتر والاقتار و التقتير، بمعنىٰ واحد، والقَوَام ـ بالفتح ـ الوسط العدل، وبالكسر أي ـ القِوام ـ مايقوم به الشيء وقوله: (بين ذلك) متعلق بالقوام والمعنىٰ ـ كما ذكر كان انفاقهم وسطاً عدلاً بين ماذكر من الاسراف والقتر، فقوله ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً﴾ تنصيص علىٰ مايستفاد من قوله: ﴿إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً﴾ فصدر الآية ينفي طرفي الافراط والتفريط وذيلها يثبت الوسط[2].

---

١ ـ سورة الفرقان، ٦٣ ـ ٦٧.

٢ ـ الميزان في التفسير القرآن ـ الطباطبائي ج ١٥، ص ٢٤٠ .

١٢) الوقوف بوجه مراحل التأثير الشيطاني

جرى الحديث في الفصل الثالث (مراحل التأثير الشيطاني على النفس الإنسانية) ويُعدُّ هذا الفصل من أهم الفصول الأساسية التي جاءت في هذا البحث او الكتاب ابتداءً من مراحل الوسوسة وانتهاء بالمرحلة السادسة مرحلة ولاية الشيطان، فلا يفوتنا أننا بعد أن طلعنا علىٰ مراحل و طرق تأثيره ان نأخذ الحذر منه من بعد أن نعرف أو نكشف أنفسنا أننا بأيّة مرحلة، فليس عيباً أننا نجد أنفسنا مُخطئين و لكن العيب أن لا نكتشف أنفسنا أننا في أية جهة أو أي باب وصلنا من الانحراف والمعصية أو ربما عرفنا أننا مثلاً في المرحلة الثالثة أو الرابعة من تلك المراحل الحساسة والقاسية ولكننا لانعيرُ أيّة أهمية لذلك ونترك الامر دون علاج مما يؤدّي بنا بالتالي إلىٰ استفحال واستشراء وانتشار مرضه الوبيل مما يؤدّي بنا إلىٰ صعوبة العلاج إن لم تكن استحالته، أما إذا أخذنا الأمر مأخذ الجد و توجهنا إلىٰ الله عزوجل مخلصين بأنْ يُنقذنا مما نحن فيه فإن الله قريب مجيب دعوة الداعي إذا دعاهُ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾[1].

إذن لاقيمة للإنسان بدون دعائه، فوجوده وعدمه عنده سواء واساس خلقه هو الانقياد والتسليم.

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ...﴾[2].

---

١ ـ سورة الفرقان، ٧٧.

٢ ـ سورة غافر، ٦٠.

وقال تعالىٰ: ﴿... وَٱدْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً ...﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا...﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٣].

ولنتعوذ بالله من همزات الشياطين فأنه منقذنا ومنجينا من ذلك العدو والبلاء السافر المبين، وان ذلك لا جدوىٰ منه إذا لم يتحول إلىٰ سلوك واقعي بعد أن يكون قناعة تامة.

وفي الختام، فكما بدأناه بدعاء نختمه بدعاء لدفع إبليس (لعنه الله) عنا:

«اللهم إنّ إبليس عبداً مِن عبيدك يَرانى مِن حيثُ لا أراه وأنت تراهُ من حيثُ لايراك وأنت أقوىٰ علىٰ أمْرِهِ كُلِّهِ وهو لايقوىٰ علىٰ شيءٍ من أمرك اللهم فأنا استعين بك عليهِ، يارب فإنّي لاطاقة لي بهِ. ولاحول ولاقوّةَ إلّا بِكَ يارب، اللهم إن أرادني فأردهُ وإن كادني فكدهُ، وأكفني شرّه واجعل كيدَهُ في نحرِهِ. برحمتِك يا ارحم الراحمين وصلّىٰ الله علىٰ محمد وآله الطاهرين.[٤]

---

١ ـ سورة الأعراف، ٥٦.

٢ ـ سورة الأعراف، ١٨٠.

٣ ـ سورة البقرة، ١٨٦.

٤ ـ الباقيات الصالحات ـ الشيخ عباس القمي ص ١٥١ ـ ١٥٢، نقلاً عن كتاب المجتبىٰ للسيد ابن طاووس (رحمه الله).

الهي أنت الذي ملأت قلوب الأولياء بنور المحبة وأخرست ألسنة عشاق الجمال من التحدث عن أنفسهم والآخرين، وأبعدت أيادى الأنانيين المنحطين عن أذيال كبريائك. الهي ايقظنا من سكر غرور الدنيا، من النوم العميق الذي غمرنا من جراء الانغماس في عالم المادة والطبيعة، ومزّق باشارة واحدة الحجب الغليظة والستائر السميكة من الاعجاب والذاتية، وخذنا إلىٰ مجلس الطاهرين لدىٰ ساحتك، و محفل المخلصين المقدسين، وأبعد عنا شراسة الطبيعة، وسوء الخلق، وغلظ اللسان والنفاق والانحراف، وأقرن حركاتنا وسكناتنا وافعالنا وأعمالنا وأولنا وآخرنا وباطننا بالاخلاص والصفاء.

الهي إن نعمك قد ابتدأت علينا (لايشترط عطاء الحق بقابلية المعطى له) وعطاياك غير متناهية و باب رحمتك مشرعة ومائدة نعمك اللامتناهية مبسوطة، هب لنا حالاً مضطرباً وقلباً ملتهباً وعيناً تذرف الدموع، ورأساً لايعرف القرار وصدراً ينفث بالهموم والآلام واختم حياتنا بالاخلاص إليك والحب إلىٰ خواص ساحتك وهم مقدمة كتاب الوجود وخاتمة نظام الغيب والشهود محمد وأهل بيته الطاهرين صلوات عليه وعليهم اجمعين.

دعاء

اللهم انا نعوذ بك من نزغات الشيطان الرجيم وكيده ومكائده، ومن الثقة بأمانيه و مواعيده و غروره ومصائده وأن يطمع نفسه في اضلالنا عن طاعتك وامتهاننا بمعصيتك أو أن يحسُن عندنا ما حسّن لنا. أو أن يثقل علينا ماكرّه الينا.

اللهم اخسأه عنّا بعبادتك. واكبته بدؤوبنا في محبتك واجعل بيننا وبينه ستراً لا يهتكه، وردماً مصمّتاً لا يفتقه

اللهم صل علىٰ محمد واله.واشغله عنّا ببعض أعدائك، واعصمنا منه بحسن رعايتك واكفنا ختره، وولّنا ظهره، واقطع عنّا أثره.

اللهم صل علىٰ محمد وآله، وأمتعنا من الهدىٰ بمثل ضلالته، وزوّدنا من التقوىٰ ضد غوايته و اسلك بنا من التقىٰ خلاف سبيله من الردىٰ، اللهم لاتجعل له في قلوبنا مَدخلاً، ولا توطنن له فيما لدينا منزلا.

اللهم وما سوّل لنا من باطل فعرِّفناهُ، واذا عرَّفتناهُ فقناه، وبصِّرنا ما نكايدُهُ به. والهمنا ما نُعِدُهُ له، وايقظنا عن سنةِ الغفلة بالركون إليه. وأحسن بتوفيقك عوننا عليه.

اللهم صلّ علىٰ محمد وآله، وحوّل سلطانه عنّا واقطع رجاءه منا، وادرأه عن الولوع بنا.

اللهم صلّ علىٰ محمد وآله، واجعل آباءنا وامهاتنا واولادنا وأهلينا وذوى

أرحامنا و قراباتنا و جيراننا من المؤمنين والمؤمنات... منه في حرز حارز وحصن حافظ وكهف مانع وألبسهم منه جُنناً واقية، وأعطهم عليه أسلحة ماضية.

اللهم وأعمم بذلك من شهد لك بالربوبية وأخلص لك بالوحدانية وعاداه لك بحقيقة العبودية، و استظهر بك عليه في معرفة العلوم الرّبانية.

الله احلل ما عقد وافتق ما رتَقَ، وافسخ ما دبّر وثبِّطهُ إذا عَزمَ، وانقض ما أبرم.

اللهم واهزم جُنده، وأبطل كيده، واهدم كهفه، وأرغم أنفه.

اللهم اجعلنا في نظم اعدائه، واعزلنا عن عداد اولائه لانطيع له إذا استهوانا، ولا نستجيب له إذا دعانا، نأمُرُ بمناواته من أطاع أمرنا، ونَعِظُ عن متابعته من اتبع زجرنا.

اللهم صلّ علىٰ محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلىٰ أهل بيته الطيبين الطاهرين، و أعذنا و أهلينا وإخواننا وجميع المؤمنين والمؤمنات ممّا استعذنا منه وأجرنا ممّا استجرنا بك من خوفه. واسمع لنا ما دعونا به وأعطنا ما أغفلناه، واحفظ لنا ما نسيناه، وصيِّرنا بذلك في درجات الصالحين ومراتب المؤمنين آمين ربّ العالمين[١].

اللهم إنك تعلم ضعفنا ومسكنتنا وتعلم إناّ لانستطيع الهرب من هذا العدو القوي القدير الذي قد طمع في السلطة على الانبياء العظام والكُمَّل من الاولياء الرفيعي المقام. فإن فقدنا بارقة لطفك ورحمتك أوقعنا هذا العدو القوي في

١ ـ الصحيفة السجادية الكاملة ـ بتحقيق وتنسيق علي أنصاريان / المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلاميّة الايرانيه ـ دمشق تسلسل ١٧ ـ ص ٧٣ ـ ٧٥.

مصارعنا إياّه الى ارض الهلاك والدّمار وكنّا تائهين في الظلمة والشقاوة.

فأسألك بالخاصة في جنابك والمحارم في حضرتك أن تأخذ بأيدينا نحن المتحير في وادى الضلالة و الحائرين في صحراء الغواية وأن تطهر قلوبنا من الغِل والغش والشرك والشك انك ولـيّ الهداية[١].

١ ـ الآداب المعنوية للصلاة ـ الإمام الخميني، ص ٥٥ .

الخاتمة

إنَّ هناك ضرورة لوجود الشيطان من ناحية النظام الكوني حيث توجد هناك دعويان: دعوة نحو الخير والصلاح وأُخرىٰ دعوة إلى الشر والفساد، وعلىٰ الإنسان أن يختار من بين السبيلين سبيل واحد، ليكون مصداق قوله تعالىٰ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[١].

ومصداقاً لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[٢]، فإن لم تكن النفس الامّارة ولم يكن الشيطان الذي يدعو إلى الشر والفساد، ولو لم يكن الاستعداد لفعل الشر والفساد في الإنسان لم يكن حينئذٍ للخير وجود لماذا؟

لأن الخير انما يكون خيراً إذا تمكن الإنسان منه ومن الشر بأن يختار أحد النجدين، وأما إذا انسد طريق الشر وبقي طريق الخير أي انه لو قال: (فألهمها تقواها) فقط فلا يكون ذلك التقوى هو التقوى المطلوب، لأنه إنّما يكون كذلك إذا كان للإنسان ميل نحو الفجور في ذاته فيختار التقوىٰ على الفجور و هكذا بالنسبة إلى الطاعة، فإنّها إنّما يكون لها معنىٰ وتكون طاعة، إذا كان بامكان الإنسان ان لايطيع، واما إذا أُجبر عليها فليست حينئذ بطاعة، واذا لم تكن طاعة فلا معنىٰ

---

١ ـ سورة البلد، ١٠.

٢ ـ سورة الانسان، ٣.

لمدح المطيع وذم العاصي ولا معنىٰ للثواب والعقاب ولاتكليف ولا كل شيء[1].

هذا الكتاب او هذه الرسالة العلمية محاولة لفهم خطوات الشيطان و معرفة الشيطان من هو؟ ما دوره؟ و لماذا خلقهُ الله سبحانه وتعالىٰ؟ وسلطه علىٰ الإنسان ما هي خطواته كيف يخطو مع الانسان؟ كيف يضله ويرديه؟ ماذا قال القرآن عنه؟ ماذا قال رسول الله ﷺ وأهل بيته الكرام، ماذا ورد عنه في نهج البلاغة وفي الصحيفة السجاديه وهكذا.. ماذكره العلماء..

تاركاً الخوض في غمار هذا البحث للعلماء والأساتذة الأكفاء ليملأوا الفراغ الواضح في المكتبة الإسلاميّة لانه يهم الجميع ويستهدف الكل سيما أرباب الاختصاص وممن يضيئون الدرب للآخرين، فإن كان فيها خلل أو نقص فمن عندي، وان كان هناك صواب وسداد فمن عند الله سبحانه وتعالىٰ و توفيقه والحمد لله وحده.

سيد سعيد الأعرجي

---

١ ـ التوحيد ـ مرتضي مطهرى ص ٢٩٨.

مصادر الكتاب

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ اخلاق أهل البيت ـ السيد مهدي الصدر ـ مؤسسة النعمان ـ بيروت ـ لبنان.

٣ ـ الاداب المعنوية للصلاة ـ الإمام الخميني ـ روح الله ـ تعريب السيد احمد الفهري ط ١ ـ دمشق ـ دار طلاس ١٩٨٤.

٤ ـ الاربعون حديثاً ـ الإمام الخميني ـ تعريب محمد الغروي ـ مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ـ قم ـ ايران.

٥ ـ الإسلام يقود الحياة ـ خلافة الإنسان وشهادة الانبياء ـ محمد باقر الصدر ـ دار التعارف ـ بيروت.

٦ ـ أصول الكافي ـ محمد بن يعقوب الكليني ـ تحقيق اكبر الغفاري ـ ط ٣، طهران، دار الكتب الإسلاميّة ١٣٨٨ هـ ق.

٧ ـ اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ـ ابن القيّم الجوزية ـ ط ١ القاهرة تحقيق محمد عبدالقادر عطا ـ ١٤١٨ هـ ق. ١٩٩٨م.

٨ ـ إقبال الاعمال ـ رضي الدين ابن طاووس ـ تحقيق جواد قيومي الاصفهاني ـ قم ـ مركز النشر لمكتب الاعلام الإسلامي ١٤١٤ هـ ق.

٩ ـ ألامالي ـ محمد بن علي بن الحسين الصدوق (أمالي الصدوق) ط ٥ ـ بيروت، مكتبة الهدى، ١٣٨٧ هـ ق.

١٠ ـ الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ـ ناصر مكارم شيرازي ـ ط ١دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

١١ ـ اوائل المقالات ومذهب المختارات ـ محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد) تعليق فضل الله الزنجاني ط المؤتمر لألفية الشيخ المفيد ١٤٢٣ هـ ق.

١٢ ـ الباقيات الصالحات ـ الشيخ عباس القمي ـ دار الاضواء ـ بيروت ـ لبنان.

١٣ ـ بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار ـ محمد باقر تقي المجلسي ـ مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ لبنان.

١٤ ـ تاريخ الملوك والامم ـ محمد بن جرير الطبري ـ القاهرة ـ المكتبه التجارية الكبرى ـ ١٣٥٨ هـ ق.

١٥ ـ تحريرالتنوير المعروف (بتفسير ابن عاشور) ـ محمد الطاهر ابن عاشور ـ ط ١مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت ـ لبنان.

١٦ ـ تحف العقول عن آل الرسول ـ ابومحمد الحسن بن علي بن الحسين ابن شعبة الحرّاني من اعلام القرن الرابع ـ مؤسسة الاعلمي ـ بيروت.

١٧ ـ تفصيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة ـ محمد بن الحسن

الحر العاملي ـ ت ١١٠٤ هـ ـ تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث ـ قم.

١٨ ـ التعري الشيطاني ـ عدنان الطرشة ـ مكتبة العبيكان ـ مكتبة الملك فهد ـ الرياض السعودية.

١٩ ـ التفسير الحديث ـ ترتيب السور حسب النزول ـ محمد عزّة دروزة ـ ط ٢ ـ دار الغرب الإسلامي ـ دار احياء الكتب العربية ـ الحلبي ـ القاهرة.

٢٠ ـ التفسير الكبير ـ الفخر الرازي ـ دار احياء التراث العربي الطبعة الرابعة ـ ١٤٢٢ هـ ـ بيروت ـ لبنان.

٢١ ـ تفسير القرآن الكريم ـ محمد بن ابراهيم صدر الدين الشيرازي ـ الملقب ب ـ (صدر المتألهين) ـ ط ٢ ـ دار التعارف ـ بيروت ـ لبنان.

٢٢ ـ تفسير القمّي ـ علي بن ابراهيم القمي ـ مكتبة الهدى ـ النجف الاشرف ـ ١٣٨٧ هـ

٢٣ ـ تفسير نورالثقلين ـ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي ـ ط ٤ ـ قم ـ مؤسسة اسماعيليان ـ ١٤١٥ هـ ق.

٢٤ ـ تلبيس ابليس ـ جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي البغدادي ـ الطبعة الاولى ـ دار المعرفة بيروت ـ لبنان.

٢٥ ـ التوحيد ـ مرتضى مطهري ـ دارالمحجّة البيضاء ـ ترجمة ابراهيم الخزرجي ط ١ ـ بيروت ـ لبنان.

٢٦ ـ ثواب الاعمال وعقاب الاعمال ـ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق طهران ـ مكتبة الصدق ـ ١٣٩١ هـ ق.

٢٧ ـ جامع السعادات ـ محمد مهدي النراقي ـ الطبعة الثالثة ـ النجف

الاشرف ١٣٨٣ هـ ق ـ مكتبه داوري ـ قم المقدسة.

٢٨ ـ الجامع الصغير ـ جلال الدين السيوطي ـ تحقيق محمد محي عبدالحميد ـ دار خدمات القرآن ـ القاهرة.

٢٩ ـ جذور الشر ـ ابراهيم محمد الجمل ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٣٠ ـ الحديقة الناشريّة ـ محمد حسين الجزائري ناشر الإسلام ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة شاهين ـ مشهد ايران.

٣١ ـ الحياة ـ محمد رضا الحكيمي ـ ط ٣ ـ طهران ١٤٠١ هـ ق.

٣٢ ـ الخصال ـ محمد بن علي بن الحسين الصدوق ـ تصحيح علي اكبر الغفاري ـ قم انتشارات جماعة المدرسين ـ ١٤٠٣ هـ ق.

٣٣ ـ الدرر المنثور في التفسير المأثور ـ عبدالرحمان جلال الدين السيوطي ـ ١٤١٤ هـ دارالفكر ـ بيروت.

٣٤ ـ روح البيان في تفسير القرآن ـ اسماعيل حقي الحنفي الخلوتي البروسي ـ ط ١ ـ دارالكتب العلمية ١٤٢٤ هـ بيروت.

٣٥ ـ زهر الربيع ـ نعمة الله الجزائري ـ مطبعة كيميا ـ قم ـ ايران.

٣٦ ـ سفرالآخرة محطاته المهولة ـ سكرات الموت ـ رضا علي حجازي العاملي ـ دار الهادي ـ ط ١ ـ بيروت ـ لبنان.

٣٧ ـ سفينة البحار ـ الشيخ عباس القمي ـ ط ١ ـ دار الاسوة ـ ١٤١٤ هـ ق ـ طهران.

٣٨ ـ سنن الدارمي ـ الحافظ عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي تحقيق

فوازاحمد زمزلي وخالد السبع العلمي ط ١ ـ دار الفكر ـ ١٤٠٧ هـ ق ـ بيروت.

٣٩ ـ سنن النسائي ـ احمد بن شعيب ـ شرح السيوطي ـ ط ١ ـ دار الفكر ١٣٤٨ هـ ق بيروت.

٤٠ ـ سيرة رسول الله ﷺ وأهل بيته ـ مؤسسة البلاغ ـ مؤسسة الهُدى الدولية ـ طهران ـ ايران.

٤١ ـ شرح خطبة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام ـ محمد طاهر آل شبير الخاقاني ـ ط ١ ـ مطبعة سيد الشهداء ـ قم ـ ايران.

٤٢ ـ شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد المعتزلي ـ ج ١دار الهدى الوطنيّة ـ بيروت ـ لبنان.

٤٣ ـ صحيح البخاري ـ أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري ـ دار المعرفة ـ بيروت.

٤٤ ـ صحيح مسلم ـ ابوالحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري ـ ط ١ ـ الرياض ـ بيت الافكار الدولية ١٤١٩ هـ ق.

٤٥ ـ الصحيفة السّجادية الكاملة ـ مع الدليل الموضوعي والمعجم اللغوي والفهارسي ـ تحقيق وتنسيق ـ علي انصاريان ـ دمشق.

٤٦ ـ صفوة التفاسير ـ محمد علي الصابوني ـ ادارة الشؤون الدينيّة ط ٢ ـ مطابع الدوحة الحدثية ـ قطر.

٤٧ ـ عوالي اللآلي ـ ابن أبي جمهور الاحسائي ـ طبعة ـ دار سيدالشهداء ـ قم.

٤٨ ـ عيون اخبار الرضا عليه السلام ـ أبي جعفر الصدوق ـ محمد بن علي بن

الحسين بن بابويه القمي ـ ط ١ ـ مؤسسة الاعلمي ـ بيروت.

٤٩ ـ الفتاوي الواضحة ـ الشهيد محمد باقر الصدر ـ ط ٧ ـ دارالتعارف للمطبوعات ـ بيروت.

٥٠ ـ الفروع من الكافي ـ محمد بن يعقوب الكليني ـ طهران ـ دارالكتب الإسلاميّة ١٣٩١ هـ ق.

٥١ ـ في ظلال الصحيفة السجّاديّة ـ محمد جواد مغنية ـ دارالتعارف ـ ط ٢ ـ بيروت ـ لبنان.

٥٢ ـ في ظلال نهج البلاغة ـ محمد جواد مُغنية ـ دارالعلم للملايين ـ الطبعة الثالثة ١٩٧٩.

٥٣ ـ في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ دارالشروق ـ القاهرة ـ الطبعة الشرعية التاسعة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

٥٤ ـ فيض القدير ـ محمد عبدالرؤوف المناوي ـ شرح الجامع الصغير ـ ط ٢دار الفكر ١٣٩١ هـ بيروت.

٥٥ ـ القرآن من التفسير الموروث إلىٰ تحليل الخطاب الديني ـ ط ١ ـ محمد أركون ـ بيروت ـ دار الطليعة.

٥٦ ـ قصص الانبياء ـ الشيخ النجّار ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٥٧ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ٦٣٠ ـ ٧١١ هـ مؤسسة التاريخ العربي ـ الطبعة الثالثه ١٤١٣ هـ ـ بيروت ـ لبنان.

٥٨ ـ المجتبى من الدعاء المجتبى ـ السيد علي ابن طاووس ـ تحقيق صفاء

الدين البصري ـ مجمع البحوث الإسلاميّة ١٤١٣ هـ ق ـ ايران.

٥٩ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ـ أبي على الفضل بن الحسن الطبرسي ـ ط ١ ـ ١٤٠٦ هـ ـ دارالمعرفة ـ بيروت.

٦٠ ـ المحاسن ـ أحمد بن محمد بن خالد البرقي ـ تحقيق السيد مهدي الرجائي ـ ط ١ ـ المجمع العالمي لاهل البيت ـ قم ١٤١٣ هـ

٦١ ـ المحجّة البيضاء في تهذيب الاحياء ـ محمد المرتضى المدعو بالمولي محسن الكاشاني ط ٢ ـ انتشارات جامعة المدرسين ١٣٨٣ هـ ـ قم.

٦٢ ـ مسائل الفردوس ـ شيرويه بن شهردار بن شيرويد الديلمي ومعه كتاب تسديد القوس للحافظ ابن حجر العسقلاني ـ بيروت ـ لبنان ـ دارالفكر ١٤١٨ هـ ق ـ ١٩٨٩ م.

٦٣ ـ مصائب الإنسان من مكائد الشيطان ـ ابراهيم ابن أبي عبدالله محمد مفلح المقدسي الحنبلي صحيح عبدالله صديق ـ طبع في مصر ـ المكتبة التجارية الإسلاميّة.

٦٤ ـ مصاف بى پايان با شيطان ـ د. فتح الله نجّار زادگان ـ مؤسسة بوستان ـ كتاب قم ايران.

٦٥ ـ مفاتيح الجنان ـ الشيخ عباس القمي ـ دارالاضواء ـ ط ١ ـ بيروت ـ لبنان.

٦٦ ـ معاني الاخبار ـ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق ـ تحقيق علي اكبر غفاري ـ بيروت ـ دارالمعرفة ١٣٩٩ هـ ق.

٦٧ ـ معجم مفردات الفاظ القرآن الكريم ـ الراغب الاصفهاني ـ طبعة

قم ـ ايران.

٦٨ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبدالباقي ـ الناشر ـ اسماعيليان ـ ١٣٩٧ هـ ق ـ طهران ـ ايران.

٦٩ ـ مفاتيح الغيب ـ محمد بن ابراهيم صدرالدين الشيرازي الملقب ب ـ (صدر المتألهين) مع تعليقات المولى علي النوري ـ ط ٣ ـ مؤسسة التأريخ العربي ـ بيروت.

٧٠ ـ مقتل الإمام الحسين عليه السلام ـ عبدالزهراء الكعبي ـ مطبعه النعمان ـ النجف الاشرف ١٣٧٩ هـ ق ـ ط ٤ ـ قم ـ ايران.

٧١ ـ من لايحضره الفقيه ـ أبي جعفرالصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ـ ط ٥ ـ قم ـ ايران.

٧٢ ـ منهاج الصالحين ـ ابوالقاسم الخوئي ـ ط ٢٨ ـ نشرمدينة العلم ـ قم.

٧٣ ـ موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام محمود شريفي ـ ط ١ ـ دارالمعروف ـ ١٤١٥ هـ ق ـ قم.

٧٤ ـ ميزان الحكمة ـ محمدي ري شهري ـ مركزالنشرلمكتب الاعلام الإسلامي ط ١ ـ قم ١٤٠٣ هـ ق.

٧٥ ـ الميزان في تفسير القرآن ـ محمد حسين الطباطبائي ـ اسماعليان ـ ط ٥ ـ قم ايران.

٧٦ ـ الندوة رقم (٨) ـ محمد حسين فضل الله ـ دار الملاك ـ بيروت.

٧٧ ـ الندوه رقم (٩) ـ محمد حسن فضل الله ـ دار الملاك بيروت.

٧٨ ـ نهج البلاغة ـ د. صبحي الصالح ـ ط ١ ـ بيروت دارالكتاب اللبناني

١٣٨٧ هـ ق.

٧٩ ـ نهج البلاغة ـ محمد عبد هـ مؤسسة الاعلمي ط ١ ـ ١٤١٣ هـ ق ـ بيروت لبنان.

٨٠ ـ وسوسة الشيطان الرجيم ـ سامي الخضرة ١٤٢٦ هـ ـ ط ٢ ـ دارالهادي ـ بيروت لبنان.